

مطبوعات کتابی

بصره: هاشمی مراد



# قَصَصٌ مِنَ الصِّينِ

## (الْحَدِيثَةُ وَالْقَدِيمَةُ)



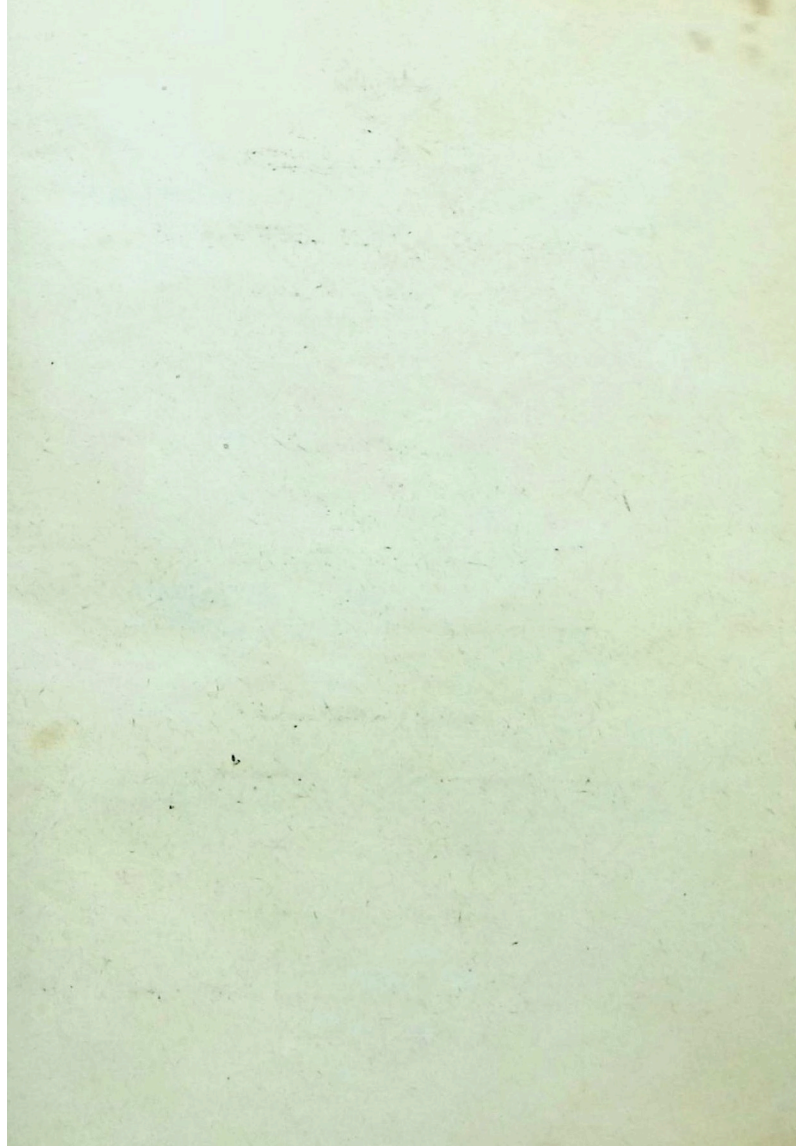
قصص من الصين



CHINESE STORIES

٢٠٠ صفحة - ١٠ قروش





مطبوعات  
كتاب

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية  
يصدرها : حلمى مراد

صادر الكتاب



منها الفكر عند الإغريق

الكتاب الثالث والثلاثون  
قصص من الصين

محمد بدر الدين خليل  
ومحمد كامل الدهميس } ترجمة

الإدارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة  
تليفون ٥٩٥٥٦



# مجموعة « كتابى »

## ( الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية )

صدر منها حتى الآن تسعة وستون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد اول كل شهر ٠٠ وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو ( فؤاد الاول سابقا ) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمان كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤ ) ١٠ قروش خالص اجرة البريد المسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمانه عشرون قرشا والاعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، اما الاعداد الستة الاولى والعدد العشرون فقد نفدت ، والادارة مستعدة لشرائها .

♦ الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واسنراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة اجر البريد المسجل ، وفى المانيا ١٦٠ قرشا بخلاف البريد الجوى .

♦ ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة او تحويلات عليه . واذا تعذر فترسل كوپونات دولية فئة ٤٠ مليما على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بان الكوپونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

## مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الابيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امراة ( جزءان ) الخطيئة الاولى ، اوديب ، مدام بوفارى ، (جزءان) ، عاشقات فى الحريف ، قلوب ضالة ، ديكاميون ، الظلم للحب ، جين اير ( ثلاثة اجزاء ) ، فانتات الرجال ، رجال ونساء ، الثار للوطن ، فرنسا الجريعة على صفاف النيل ، الابن الضال ، اسرار الجاسوسية ، بيللا دونا ( ثلاثة اجزاء ) ، بوشكين ، وجان جاك روسو ٠٠ وثمان النسخة من كل عدد عشرة قروش ، ثمنها عدا الاعداد : ١ و ٤ و ٧ و ١٩ و ٢٢ فثمان النسخة عشرون قرشا ، والاعداد : ١٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ اثنا عشر قرشا ، و ٣ و ٥ و ٦ ثمانية قروش ، ويضاف الى عدا السمر قرشان مقابل اجر البريد المسجل .

## هذه النماذج من الادب الصينى

عزيزى القارئ ..

منذ أيام ، قدمت لك « كتابى » الذى خصصته للحديث عن جولتى فى ربوع الشرق الاقصى : فى الصين الشعبية ، واليابان ، والهند ، ومستعمرة هونج كونج .. وقد حرصت فيه على أن اسجل لك شتى الانطباعات التى تركتها فى نفسى زيارتى لتلك البلاد البعيدة ، التى تعيش فيها شعوب تختلف عن شعوب الشرق الأوسط والأدنى فى الكثير من المميزات ، والسمات .. تختلف فى العادات ، والتقاليد ، والديانة ، والمعتقدات ، والعقلىة ، وأساليب الاستجابة لمختلف العواطف والانفعالات .. الخ

وقد كان طبيعيا ان ينصرف همى خلال جولتى - كما اعتدت فى كل رحلة أقوم بها - الى هدفين فى وقت معا : احدهما ان اجمع لك المادة الخام التى تمكننى من أن انقلك - على صفحات كتابى - الى أجواء تلك البلاد ، بكل معالمها ، وحضاراتها ، وشعوبها ..

والهدف الثانى ، ان أنقب لك عن نماذج لأدب تلك البلاد فى الحاضر والماضى معا ، كى أقدمها لك فى « مطبوعات كتابى » تأدية لرسالتها الثقافية من جهة ، ثم اتماما للصورة التى احب دائما ان انقلها اليك عن كل بلد أزوره ..

وجريا على هذه السنة ، أقدم لك فى هذا العدد من « المطبوعات » مجموعة من النماذج المعبرة عن أدب الصين ، فى مختلف أطواره ، منذ أقدم العصور الى اليوم .. وسوف ترى من المقارنة بين هذه القصص ، مدى المفارقة الشاسعة بين أدب الصين القديمة ، وأدب الصين الحديثة .. سواء من حيث الموضوعات والأجواء ، أو من حيث السياق والأسلوب .. وقد انتقيت لك من ادب الصين القديمة ثلاثة نماذج :

قصتين ، ومسرحية . وسوف تلحظ عند قراءة هذه النماذج الثلاثة كيف كان أدب الصين القديمة يدور حول محور الفوائى والمحظيات - شأنه فى ذلك شأن قصص ألف ليلة وليلة - بل ان اثنتين من القصص الثلاث القديمة لم تستطع ان تستبعد كلمة الغانية أو المحظية حتى من عنوانها !

اما أدب الصين الحديث فقد اخترت لك منه ثلاث قصص لأديب الصين الأشهر « لو شون » ، الذى احتفلت الصين بأسرها فى العام الماضى بانقضاء عشرين عاما على وفاته . . ورغم ان هذه القصص الثلاث الأخيرة لمؤلف واحد، فانك سوف تلمس فيها تنوعا كبيرا من حيث الموضوع : فيبينما يعالج « لو شون » فى احداها موضوعا عاطفيا مما يجرى فى البيئة الصينية المعاصرة ، نراه فى قصة أخرى يعالج أسطورة من أساطير الصين الماثورة عن الأقدمين ، وهى أسطورة تجمع بين الخرافة القديمة ، وبين فلسفة المؤلف الحديث الذى أضفى عليها من خياله ومن أسلوبه الممتع ما زادها طرافة ومغزى . . وأرجو ان أكون بهذه المجموعة من القصص قد زدتك معرفة بتلك البلاد البعيدة ، ذات الحضارة العريقة التى تصافح حضارة وادى النيل ، وحضارة دجلة والفرات ، عبر آلاف السنين !

والله ولى التوفيق

حلمى مراد





# جواهر الغانية!

قصة من الأدب الصيني القديم

## هذه القصة من الفترة بين القرنين العاشر والسابع عشر ، ولم يعرف لها مؤلف

♦ تبدأ قصتنا بغزو القائد اليابانى « هيد يوشى » لكوريا فى السنة العشرين من عهد « وان لى » ( ١٥٩٢ ) . فلما التمس ملك ( كوريا ) العون ، اوفد « ابن السماء » ( ١ ) جيوشا لنجده . واذ لم تكن الحبوب والفضة التى رصدت لهذه الجيوش كافية لسد نفقات الحملة ، فقد اقترح « مجلس الأموال » أن تفرض ضريبة خاصة ، وذلك بأن تباع الأماكن لرأبى الالتحاق بالكليات الامبراطورية . فأقر الامبراطور ذلك وكانت لذلك النظام منافع جمة لمن يملكون المال . فالى جانب الامتيازات التى كانوا يحظون بها - فى الدرس والامتحانات - كانت بعض المناصب الحكومية الصغيرة تقصر عليهم . ومن ثم فان أبناء رجال الحكومة والأسرات المثرية - الذين كانوا يربأون بأنفسهم ان يؤدوا الامتحانات فى الأقاليم - سارعوا الى الافادة من هذا المشروع ، وأقبلوا على شراء الأماكن فى الكليات الامبراطورية . وهكذا زاد عدد الطلبة فى كل من كليتى ( نانكين ) و ( بكين ) الى ما يربو على الألف !

وكان من هؤلاء الطلبة شاب يدعى « لى تشييا » . . من أبناء ( شاوشينج ) بمقاطعة ( تشيكيانج ) . . وكان اكبر أبناء ثلاثة رزقهم خازن أموال المقاطعة . ومع انه كان قد حصل على اجازة فى القانون ، الا انه فشل فى اداء الامتحان التكميلى ، فاشتري مكانا بالكلية الامبراطورية فى ( بكين ) تبعا للنظام الجديد . واعتاد - أثناء مقامه فى العاصمة - ان يختلف الى حى « فتيات الهوى » ، برفقة زميل من أبناء المقاطعة التى نشأ فيها ، ومن طلبة المدرسة ، يدعى « ليو يو - تشون » . وهناك ،



قدر له ان يلتقى بغانية ذائعة الصيت ، تدعى « تو وى » . .  
وتعرف أيضا باسم « ديسيما » - أى العاشرة - لأن هذا كان  
ترتيبها بين فتيات الحى

« انها الفتنة والحب مجسدان . .  
« فحاجباها معقوفان كما تبدو الجبال البعيدة . .  
« وعيناها صافيتان ، كمياء الخريف . .  
« ووجهها نضير ، كزهر اللوتس وقد غسله الندى . .  
« وشفتاها قرمزيتان ، مثل « الكريز » ناضجا . .  
« آه ، لكم أرثى لها ! . . تلك الأمة الحبيبة ،  
« اذ ترمى الى التراب . . الى جانب الطريق ! »  
ولقد التقت « ديسيما » - منذ أضحت مومسا - بكثير  
من شباب العائلات العريقة والغنية ، فلم يكن بينهم من يتردد  
فى انغاق كل ما يملك فى سبيل حبها . . ومن هنا اعتادت  
الأخريات من فتيات الهوى أن يقلن :  
« عندما تحضر ديسيما مجلس الخمر . .  
« فان أفقر الشاربين يقدم ألف كأس .  
« وعندما تظهر « ديسيما » فى حيننا . .  
« تبهت الوجوه المخضبة فتبدو كالأشباح ! »

\*\*\*

♦ وبالرغم من ان « لى » كان شابا عابثا ، إلا انه لم ير -  
قط - فتاة فى جمال هذه الفتاة . ففى أول لقاء له مع « ديسيما » ،  
تمكن منه سحرها فوقع فى حبها رأسا على عقب . ولم يكن وسيما  
لطيفا فحسب ، وإنما كان سخى اليد ، لا يمل الجرى وراءها ،  
ومن ثم فانه لم يلبث ان لاقى تجاوبا منها . وكانت « ديسيما »  
تود لو انها تركت « معلمتها » (١) لما راته منها من بخل وقسوة

(١) كانت صاحبات دور الهوى يسيطرن على مقاليد الفتيات اللاتى يوقعن  
سوء الحظ بين برائتهن . وكانت صاحبة الدار تلقب بـ « المعلمة »



قلب .. فما كادت ترى من « لى » حبه واخلاصه ، حتى تمت لو انها ربطت مصيرها به . ومع أن الشاب كان في خوف شديد من اغصاب ابيه ، اذا هو تزوجها ، الا انها راحا يوغان في هواهما ، فكانا يقضيان اياما وليالى بأسرها معا في لهو ، ويعيشان دون انفصال كما لو انهما كانا زوجا وزوجة حقا !

« كان جبهما أعمق من البحر  
« واخلاصهما أسمى من همامات الجبال ! »

وبعد أن أضحى « لى » عشيقا لديسيما ، أصبحت المحاولات التى كان غيره من الأغنياء - الذين سمعوا بشهرتها - يبذلونها للفوز بوصالها ، تروح عبثا . وكان يسرف في الانفاق عليها ، في البداية ، فكانت « مديرة دار الهوى » تقف بنفسها في خدمته ، وكلها ابتسامات وملاطفات . لكن تقوده لم تلبث - بعد أكثر من عام - أن اوشكت على النفاذ . ولم يعد يستطيع أن يسخو كما كان يشتهى ، فبدأت العجوز تعامله ببرود . وسمع خازن أموال المقاطعة أن ابنه يتردد على حى فتيات الهوى ، فأرسل له الخطاب تلو الخطاب يأمره بالعودة . ولكن الفتى كان مفتونا بجمال « ديسيما » ، فظل يرجى عودته .. حتى اذا سمع بمدى غضب والده عليه - فى النهاية - أصبح لا يجرؤ على العودة ! والمثل يقول ان الصداقة القائمة على المال ، تنتهى بنفاذ المال .. لكن حب « ديسيما » كان من القوة بدرجة انها أخذت تزداد به تعلقا وغراما ، كلما ازداد هو فقرا . وطلبت اليها « معلمتها » مرارا أن تنفض عنه ، فلما رأت الفتاة ترفض ذلك ، بدأت توجه الى الشباب من الاهانات ما كانت تأمل ان يصرفه عن الدار غاضبا . بيد أن اهاناتها لم تحدث تأثيرا على « لى » الذى كان ذا طبيعة هادئة ، فلم تعد تملك سوى ان تنحو باللوم على « ديسيما » ، فى كل يوم .. فكانت تقول لها :

« اننا في حرفةنا هذه نعتمد على العملاء في طعامنا وملبسنا ،  
واذا ودعنا عميلا لدى الباب الأمامي ، فلا بد من أن يكون غيره  
قادما من الباب الخلفي . وكلما زاد العملاء ، زاد ما تقتني من  
نقود وحرير . أما وهذا المفلس « لى تشيا » يحوم حولنا منذ  
أكثر من عام ، فلم يعد من المجدي أن نتحدث عن رواد جدد .  
بل ان القدامى منهم قد توقفوا عن المجيء . فكأننا أوتينا  
« تشونج كوى » (١) يبعد عنا الشياطين ، فلم يعد ثمة من  
يقرب منا ، ولن يلبث الدخان ان يتلاشى من مدختنا . فما  
الذى ينتهى اليه مصيرنا ؟ »

ولم تكن « ديسيما » ترى ذلك ، فكانت تجيب بهدوء :  
« ان السيد « لى » لم يأت هنا خاوى اليدين . . تذكرى كل  
النقود التى أنفقها هنا ! »

— لقد كان ذلك فيما سبق ، ولكننى أتحدث عن الآن .  
اطلبى اليه أن يمنحنى بعض النقود اليوم للوقود والأرز الذى  
أقدمه لكما . ان الفتيات — فى البيوت الأخرى — كالأشجار  
التي تثمر نقودا ، ولا تحتاج الا الى أن يهزها المرء فتساقط  
منها الثروات . . ان حظى السوء هو الذى رزأنى بفتاة لا تحب  
المال . اننى فى كل يوم أحمل عبء تدبير أمورنا ، لأنك تصرين  
على مساعدة ذلك الصعلوك . من أين تريننا نحصل على  
الطعام والملبس ؟ . . اذهبنى فاخبرى شحاذك هذا ، بأن عليه  
ان يعطينى بعض الفضة ، ان كان به خير لنا . . ولو انه فعل ،  
لكان فى وسعك ان ترحلى معه ، وسأشتري فتاة أخرى . الا  
يناسب ذلك كلا منا ؟

فسألته ديسيما : « أتعين ذلك حقا ؟ »  
فأجابته العجوز : « وهل كذبت فى حياتى قط ؟ . . اننى  
أعنى ما أقول حقا ! » . . وكانت مطمئنة ، لأنها كانت تعرف

(١) تقول الاساطير الصينية ان « تشونج كوى » كان صيادا للشياح



أن « لى » لم يعد يمتلك « سنتا » واحدا ، بل انه رهن ملابسه . ومن ثم فقد كان من المستحيل عليه أن يحصل على أية نقود !

— وكم تريدن منه ؟

— لو كان الأمر لسواه ، لطلبت الف « تايل » ، ولكنى لن أطلب من شيطان فقير مثله سوى ثلاثمائة . فبهذا المبلغ أستطيع أن أشتري فتاة أخرى تحل محلك . على أن هناك شرطا واحدا : يجب أن يدفع « لى » المبلغ فى مدى ثلاثة أيام . فأسلمه اياك فوراً . اما اذا لم يدفع بعد أيام ثلاثة ، فسأوسع ضربا بعصاى . . وسأطرد هذا التعس سواء كان من عليّة القوم أو لم يكن ، ولن يستطيع أحد أن يلومنى على ذلك !

فقالت ديسيما : « ان بوسعه رغم بعده عن أهله ، ونفاذ نقوده ، أن يحصل على ثلاثمائة « تايل » . لكن الثلاثة أيام مهلة قصيرة جدا . ألا تستطيعين جعلها عشرة ؟ »

فقالت القوادة فى نفسها : « أن الشاب الأحق لا يملك الا يدين خاويتين . . ولو اننى امهله مائة يوم ، فلن يستطيع الحصول على النقود . . كما انه لن يجرؤ — اذا ما فشل فى تقديمها — على المجيء ثانية ، مهما تكن صفاقته . واذ ذاك ، أستطيع أن أفرض سلطانى على دارى مرة أخرى ، ولن تجد ديسيما ذريعة للاعتراض ! » . . وما لبثت ان قالت للفتاة : « لا بأس . . سأجعلها عشرة أيام ، رغبة فى ارضائك . فاذا لم يحضر النقود فى هذه المدة ، فلا لوم لك على ! »

فقالت ديسيما : « اذا لم يحضر النقود فى هذه المدة ، فلست أراه يجرؤ على العودة . . ولست أخشى سوى أن تنكثى فى وعدك ، اذا ما أحضر الثلاثمائة « تايل » فى الموعد »

فاعترضت القوادة قائلة : « اننى عجوز فى الواحدة والخمسين ، وأنا أعبد بوذا وأصوم عشرة أيام فى الشهر ، فكيف أكذب عليك ؟ ! . . اذا لم تصدقينى فتعالى أضع كفى على كفك



لنتعاهد .. فلاصبحن كلبا أو خنزيرا في حياتي الأخرى ! » (١)  
 « من ذا الذى يستطيع أن يقيس البحر بقدر ضئيل ؟ !  
 « لقد كانت القوادة - رغم دهائها - حمقاء ،  
 « اذ ظنت انها - استنادا الى نضوب كيس الطالب الشاب -  
 « تستطيع بهذه السهولة ان تقضى على جبهما ! »

\*\*\*

♦ واذا قبل الليل ، راحت ديسيما - تبحث الأمر في  
 الفراش - مع « لى » . فقال : « ان الأمر لا يتمثل في اننى  
 لا أريد الزواج منك ، وانما في ان شراء حريتك يكلفنى - على  
 الأقل - ألف « تايل » ، فمن أين لى الحصول على ذلك الآن ،  
 وقد نفدت كل نقودى ؟ »

فأجابت ديسيما : « لقد تكلمت مع سيدتى ، وهى لا تريد  
 سوى ثلاثمائة « تايل » . على انه لا بد من دفعها في خلال  
 عشرة أيام . وعلى الرغم من انك قد بلغت نهاية مواردك ، فلا  
 بد أن لك معارف وأصدقاء في العاصمة تستطيع الاقتراض  
 منهم .. انك اذا حصلت على هذا المبلغ ، فساكون ملكا لك ،  
 ولن نقاسى بعدها شراسة طباع العجوز ! »

فقال « لى » : « ان أصدقائى ومعارفى هنا ، قد أبدوا برودا  
 نحوى لأبنى أنفق معك اكثر مما ينبغى من الوقت .. غدا  
 سأخبرهم بأننى اعد عدتى للرحيل وسأودعهم وأسألهم نقودا  
 لمصروفات رحلتى . فلعلنى أستطيع جمع ثلاثمائة تايل »  
 وقام ، فارتدى ملابسه ، واستعد للانصراف . وفيما كان  
 منصرفا ، اسرعت ديسيما تقول : « عجل بقدر ما تستطيع ،

(١) كانت بعض العقائد الصينية تبشر بالتناسخ ، أى بحلول روح الانسان  
 بعد وفاته - فى مخلوقات اخرى ، تتفاوت شرفا وقدرها تبعاً لما كان عليه  
 الانسان فى حياته الأولى من طهر وتقوى .

وسأظل في ارتقاب أخبار سارة . فوعد « لى » بأن يبذل أقصى استطاعته .

وما ان غادر البيت ، حتى راح يطرق أبواب عدد من معارفه وأصدقائه ، متظاهرا بأنه انما أتى ليوذعهم . فكانوا يفتبطون اذ يسمعون انه عائد الى أهله ، ولكنهم لا يلبثون أن يخلدوا الى الصمت اذا ما ذكر انه بحاجة الى تقود . وكما يقول المثل : « الحديث عن الاقتراض ، يضع نهاية للصدقة » . فقد اقتنعوا جميعا - لسبب وجيه - بأن « لى » شاب خليع ، جعله افتتاحه بأحدى المحظيات بتغرب عن أهله لأكثر من عام ، مما أغضب أباه عليه . لذلك فانهم كانوا يقولون لأنفسهم : « من يدرينا بأنه صادق في قوله ؟ .. لنفترض اننا أقرضناه المال للرحلة ، فأنفقه على الفتيات مرة أخرى .. ان أباه حين يسمع بذلك سيعزى اليها أسوأ النوايا .. وما دام اللوم نصيبنا في الحالين ، فلماذا لا نرفض ؟ »

ومن ثم فان كلا منهم كان يقول له بدوره : « آسف ! .. من المصادفة أنني مفلس الآن ، فليس بوسعى أن أعينك ! » وتلقى « لى » نفس هذه الاجابة من كل منهم ، فلم يتكرم أحد من معارفه بأن يقرضه ولو عشرين « تايل » ! .. وظل يطرق الباب بعد الباب لثلاثة أيام ، دون أن يتجح في اقتراض « سنت » واحد ، ولكنه لم يجرؤ على ان يخبر « ديسيما » بذلك ، بل كان يتملص منها بأجابات مراوغة . فاذا كان اليوم الرابع ، بلغ اليأس منه كل مبلغ ، حتى لقد خجل من ان يعود اليها . لكنه - بعد طول معاشرته لديسيما - لم يعد له من مأوى . فلما لم يجد مكانا يقضى فيه ليله ، يمم شطر « ليو » زميله وابن المقاطعة التى نشأ فيها ، فرجاه أن يفسح له مبيتا لديه . فلما سأله « ليو » عما كان يسدو عليه من هم بالغ ، روى له « لى » قصة « ديسيما » كلها ، ورغبتها في الزواج منه .



على ان « ليو » هز رأسه ، وقال : « لست اصدق هذه الرغبة ، فان ديسيما هي اشهر محظية في ذلك الحى ، ولا يمكن ان يقل ثمنها عن عشر حفن من اللآلىء ، أو ألف « تايل » من الفضة . ولن تتركها معلمتها من أجل ثلاثمائة « تايل » قط . . كل ما هنالك ان العجوز تضايقت - ولا بد - من نضوب مواردك ، واستئثارك بفتاتها دون ان تدفع لها شيئا ، ففكرت في هذه الحيلة للتخلص منك . وبما انها عرفتكم منذ زمن طويل ، فقد كان من الضروري ان تراعى أصول المجاملة - ولو ظاهريا - فلا تطردك طردا مباشرا . ولما كانت تعلم أنك لا تملك نقودا ، فقد طلبت منك ثلاثمائة « تايل » لتبدو كريمة ، وأمهلتك أياما عشرة للحصول على هذا المبلغ . وانهما لمقتنعان بأنك اذا عجزت عن تدبير المال في الوقت المحدد ، فلن تجد وجهها للعودة . . أما اذا استطعت ، فسيوسعانك تهكما واهانة ، حتى يتعذر عليك البقاء على اى حال . ذلك هو نوع الحيل الذى اعتاد مثل اولئك القوم ان يدبروه . ففكر وترو فى الأمر ، ولا تنسق لهما . وفى رأى المتواضع ان الخير كل الخير فى ان تبكر فى قطع علاقاتك بهما ! »

واذ سمع « لى » هذا ، داخلته الهواجس ، فلاذ بالصمت . . بينما استطرد « ليو » قائلا : « يجب ألا تتخذ قرارا خاطئا ، فاذا كنت حقا تريد العودة الى البلد ، وفى حاجة الى نقود للسفر ، فقد يستطيع أصدقاؤك ان يدبروا لك بضعة « تايلات » لكننى أشك فى امكانك الحصول على ثلاثمائة « تايل » ، ولو قضيت عشرة أشهر ، لا عشرة أيام ، لأن الناس لا يكثرثون - فى هذه الأيام - بمتاعب اصدقائهم . وهاتان المرأتان تعلمان أنك لن تستطيع اقتراض مبلغ كبير ، ومن ثم فقد حددتا لك هذا المبلغ ! »

فقال « لى » : « اظنك على حق . . يا صديقى . غير انه ظل راغبا فى التشبث بالفتاة ، فتابع طرق أبواب



المعارف ينشد قرصا ، وقد امتنع عن الذهاب الى « ديسيما » ليلا . وبقي عند « ليو » اياما ثلاثة ، انقضى باكتمالها ستة ايام من العشرة ، مما اذكى قلق « ديسيما » حتى انها ارسلت خادمتها الصغير للبحث عنه . . والتقى به الفلام في الشارع الرئيسي ، فناداه : « يا سيد لى . . ان سيدتى فى انتظارك » . فقال له : « اننى مشغول اليوم ، وسأتى غدا » على ان الفلام امسك بمعطف « لى » ، ولم يشأ ان يتركه ، تنفيذاً لأوامر ديسيما . . وقال : « لقد امرت باحضارك ، فلا بد من ان تأتى معى »

\*\*\*

• وهكذا سار « لى » - الذى كان مشوقا لعشيقته - فى صحبة الفلام الى حى الهوى . لكنه ظل صامتا عندما رأى ديسيما . واذ سألته : « اى تقدم احرزت ؟ » ، ذرف الدمع ، دون ان يحير جوابا .

فقالت : « هل قلوب الرجال بمثل هذه القسوة . . حتى انك لا تستطيع الحصول على ثلاثمائة تايل ؟ »

فاجابها « لى » والدمع فى عينيه : « لان ينشد المرء صيدا فى الجبل ، ايسر من ان يجد صديقا وقت الحاجة ! . . لقد كنت اهرول من بيت الى بيت لايام ستة ، ولكنى لم استطع ان اقترض « سنت » واحدا . ولقد بقيت بعيدا عنك طيلة الايام الماضية خجلا من ان آتى خاوى اليدين . واليوم ارسلت الى ، فاتيت مفغورا فى الخجل ، لا لانى لم ابذل قصارى وسعى ، وانما لان الناس اصبحوا بلا قلوب ! »

فقالت ديسيما : « لاتدع العجز تسمعك ، وابق هنا الليلة ، وسنتفاهم فى الأمر » . ثم اعدت وجبة ، فتمتعا بالطعام والخمر سويا !

وفى منتصف الليل سألته ديسيما : « ألم تستطع الحصول

على أى مبلغ اطلاقا ؟ فما الذى سيؤول اليه مصيرى ؟ »  
 لكن « لى » لم يجبها ، ولم يستطع الا أن يذرف الدمع .  
 وما لبث الفجر أن حل فقالت ديسىما : « لقد خبات - فى  
 حشيتى - مائة وخمسين « تايل » من الفضة ادخرتها ،  
 وأريدك أن تأخذها . والآن وقد اعطيتك نصف المبلغ ، فلا ريب  
 ان الحصول على النصف الآخر سيفقدو أسهل . على أنه لم  
 يبق الا أربعة أيام ، فلا تضيع وقتا ! » .

وقامت عن السرير فاعطت الحشية الى « لى » الذى استخفه  
 الفرح ، وانطلق الى مسكن « ليو » ، يتبعه الخادم وقد حمل  
 الحشية . . وأخبر « لى » صديقه بكل ما حدث فى تلك الليلة ،  
 فلما فكا قماش الحشية وجدا - بين القطن - كثيرا من القطع  
 الفضية ، التى بلغت قيمتها - عندما وزنت - مائة وخمسين  
 « تايل » . ونال التأثير من « ليو » فقال : « لا بد ان الفتاة  
 تحبك حقا . وبما انها على هذه الدرجة من الاخلاص ، فلا  
 يجب أن تبتعد عنها . لسوف أفعل - من أجلك - ما أستطيع ! »  
 فأجاب « لى » : « لن أنسى لك قط ما تقدمه لى الآن من  
 عون ! »

وأبقى « ليو » صديقه « لى » فى البيت ، بينما ذهب يطوف  
 بمعارفه . فاقترض - فى يومين - مائة وخمسين « تايل » ،  
 أسلمها الى « لى » قائلا : « ما فعلت ذلك من أجلك بقدر ما فعلته  
 تأثرا باخلاص الفتاة لك ! » .

واستحال « لى » الى سعادة ، تشع بالابتسامات ، فذهب  
 الى « ديسىما » فى اليوم التاسع - مستبقا نهاية المهلة بيوم -  
 ومعه الثلاثمائة « تايل » ! . . فقالت الغاية : « أنك لم تستطع  
 - فى اليوم المنصرم - ان تقترض « سنت » واحدا ، فكيف  
 استطعت اليوم ان تحصل على مائة وخمسين تايل ؟ » . فلما  
 أخبرها « لى » بما كان من زميله فى الدراسة « ليو » ، ضغطت  
 كفها الى جبهتها دليلا على العرفان ، وقالت : « يجب ان نشكر

السيد « ليو » اذ حقق لنا أمنيّتنا ! »

وقضيا الليل معا في فرح عارم . . وفي الصباح التالي ، قامت « ديسيما » مبكرة ، فقالت له : « ما ان تدفع النقود ، حتى يغدو في وسعي الرحيل معك . فيحسن ان ندبر أمر سفرنا . لقد أقترضت بالأمس عشرين « تايل » من صديقاتي ، ولك ان تأخذها للرحلة ! » .

وكان « لى » - في الواقع - في حيرة من أمر تدبير النقود لرجلتهما ، لكنه لم يشأ ان يذكر هذه الصائقة . والآن ، اذا به يشعر بالفرح لتلقى العشرين « تايل » !  
واذ كانا يتحدثان ، طرقت صاحبة البيت الباب ، وقالت : « ديسيما . . هذا هو اليوم العاشر ! »

فلما سمع « لى » ذلك ، فتح الباب ودعاها قائلا : « شكرا لك ايته الخالة ، فقد كنت موشكا أن أدعوك ! » . ووضع الثلاثمائة « تايل » على المنضدة .

ولم تكن القوادة تعتقد لحظة أن بوسع « لى » تدبير المبلغ ، فاكفهر وجهها . . وكالت موشكة على التراجع عندما قالت ديسيما : « لقد عملت هنا ثمانى سنوات ، ولا ريب في انى دررت عليك بضعة آلاف من « التايلات » في هذه الفترة .





وها قد حان اليوم السعيد الذى أبدأ فيه حياة جديدة ، كما وافقت انت .. ان الثلاثمائة «تاي» هنا ، لا تنقص «سنت» واحدا ، وقد دفعت فى الميعاد ، فاذا نكثت بكلمتك فسيأخذ السيد «لى» النقود ، وسأنتحر فى الحال . وبهذا تفقدينى وتفقدين النقود معا .. وستندمين !»

ولم تحر العجوز قولاً ازاء ذلك . وبعد تفكير طويل ، اضطرت الى ان تحضر ميزانها لتزن الفضة . وقالت اخيراً : « حسن ، حسن .. أظننى لا أستطيع ابقاءك ، ولكن .. اذا كان لك ، أن ترجلي ، فبادرى .. ولا أرى بوسعك ان تأخذى معك أى ملابس أو حلى !» . ودفعت بهما الى خارج الغرفة ، وطلبت متراساً فأغلقت به الباب !

وكان الوقت خريفاً ، وقد غادرت «ديسيما» الفراش لتوها ، فلم يفسح لها الوقت كى تستبدل ثيابها ، التى كانت غير لائقة . ومع ذلك فقد انحنت لسيدتها محبة ، وانحنى «لى» ايضا ، ثم تركا بيت العجوز معا .. كزوج وزوجة !

« وكالسمكة فرت من الشباك الذهبية ،  
« انطلقا بعيداً .. لغير ما عودة !»

وقال «لى» لـ «ديسيما» : « انتظرى ريثما اطلب لك محفة ، فاننا نستطيع الذهاب الى بيت السيد «لىو» الى أن تقرر شيئاً » . لكن «ديسيما» اعترضت قائلة : « ان صديقتى كن دائماً على صلوات حسنة معى ، ويجب أن أودعهن . فضلاً عن انهن كن شفوقات معى ، حتى لقد أقرضنا نفقات سفرنا بالأمس ، فجدير بنا ان نشكرهن على ذلك » .. وهكذا اصطحبت «لى» لتودع المحظيات الأخريات !

\*\*\*

♦ وكانت اثنتان من هاتيك الفتيات ، هما «بوه - لانج» و«سو - سو» ، تسكنان مكاناً قريباً ، وكانتا خير صديقات

« ديسيمما » . . فذهبا أولا الى « يوه - لانج » التى عجبت  
اذ رأتها فى ملابس قديمة ، دون ما حلى فى شعرها ، وتساءلت  
عما حدث ، فأخبرتها « ديسيمما » بالقصة ، وقدمت « لى »  
اليها ، وحينئذ قالت ديسيمما مشيرة نحو يوه - لانج : « هذه  
هى الصديقة التى أقرضتنا النقود بالأمس ، فعليتنا أن  
نشكرها ! » . . فانحنى « لى » مرات ومرات .

ثم ساعدت « يوه - لانج » الفتاة على ان تغتسل وتصفف  
شعرها . وارسلت - فى ذات الوقت - الى «سو - سو» . وما  
ان اغتسلت «ديسيمما» ، حتى قدمت اليها صديقتها كل حليهما  
الزمردية ، وسواراتهما الذهبية، ومشابك شعرهما ، واقراطهما  
. . فضلا عن رداء موشى، ومنطقة ، وزوج من الاحذية . وما لبثتا  
أن زينتا « ديسيمما » من رأسها الى القدم . ثم احتفلوا معا ،  
واعارت «يوه - لانج» الحبيبين غرفة نومها ليقتضيا بها الليل !  
وتجمعت المحظيات فى اليوم التالى ، فقلن لديسيمما : « لقد  
كنت الزعيمة بيننا ، وقد لا نلتقى بك ثانية ، بعد رحيلك مع  
زوجك . . فاذا ما حدثما يوم الرحيل ، فدعينا نأتى لوداعك ! » . .  
وتولت « يوه - لانج » الرد قائلة : « اذا ما تقرر الميعاد ،  
فسأخبركن جميعا . . لكن ديسيمما ستكون على سفر طويل مع  
زوجها ، وان مواردنا لمحدودة ، فيجب ان نطمئن الى ان  
نقودهما لن تنفذ فى الطريق » . ووافقت المحظيات على ذلك ، ثم  
انصرفن ، بينما قضى « لى » و « ديسيمما » ليلة أخرى فى غرفة  
« يوه - لانج » .

فلما أشرق الفجر سألته ديسيمما : « الى أين ستذهب من  
هنا ؟ هل لديك تدبير ما ؟ »

فأجاب لى : « ان أبى غاضب على . . ولو انه سمع بأننى  
تزوجت احدى فتيات الهوى ، فلن يكتفى بأن يعذبنى من أجل  
ذلك ، بل انك الأخرى ستشعرين بوطأة غضبه : ولقد شغل  
هذا الأمر بالى بعض الوقت ، ولكنى لم أفكر بعد فى منجى منها »



فقالت ديسيما : « ان أى أب لا يستطيع أن يكف عن حب ولده ، ولهذا فلن يبقى على غضبه عليك الى الأبد . على أنه قد يكون من المفيد لنا - مادام ذهابنا اليه مباشرة قد يضايقه - أن نذهب الى بقعة جميلة مثل ( سوشاو ) أو ( هنكاو ) للوقت الحاضر . وتستطيع - حينئذ - أن تعود الى البيت منفردا ، فتسأل بعض المعارف أو الأصدقاء ان يقدعوا والدك بالعفونك . فاذا ما أعدت الوئام بينك وبينه ففى وسعك أن تعود لاحتضاري ، وسيكون كل شيء على مايرام » .

فوافق « لى » قائلا : « هذه فكرة طيبة ! »

وفى الصباح التالى ودعا « يوه - لانج » ، وذهبا الى مسكن « ليو » ليحزما أمتعهما . فلما رأت ديسيما « ليو » شكرته لمعونته ، ووعدته بأن ترد له جميلة فى المستقبل ، فانحنى الشاب ، فى احترام ، قائلا : « أنك ولا بد امرأة نادرة المثال ، اذ تبقيين على اخلاصك لحبيبك ، حتى بعد أن أضحي فقيرا . أما مثل هذه الخدمة اليسيرة - التى اديتها - فليست جديرة بالذكر . . اننى لم أفعل أكثر من أن نفخت النار فى اتجاه الريح ! »

وقضى ثلاثتهم النهار فى سرور . . ولما كان اليوم التالى من الأيام المباركة للسفر ، فقد أزمع العاشقان الرحيل فيه ، واستأجرا محفتين ودابتين . ثم أوفدت ديسيما خادمها بخطاب الى « يوه - لانج » لتشكرها وتتمنى لها حظا سعيدا . وما ان تأهبوا للرحيل ، حتى وصلت عدة محفات تحمل « يوه - لانج » و « سو - سو » والغايات الأخريات ، اللأى جئن لوداعهما . وبادرت « يوه - لانج » صديقتها قائلة : « أنك مقبلة على رحلة طويلة مع زوجك ، وان نقودكما لقليلة . لذلك أعددنا هدية صغيرة للتعبير عن حينا ، عسى أن تتقبلوها . . ولعلكما تفيدان منها ، اذا ما مست بكما الحاجة فى الرحلة ! » . . وطلبت الى خادمها أن يحضر صندوقا ، مموها بالذهب من النوع الذى يستعمل لحفظ التحف الثمينة . ولكن محتوياته لم تعرف ،



لأنه كان محكم الغلق . ولم ترفض ديسيما الهدية ، وشكرت زميلاتهما ، دون ان تطلع على محتوياتها . وتأهبت المحفتان والدابتان للسير، فقدم «ليو» لكل من المسافرين ثلاث كؤوس من الخمر ، وشييعهما مع الغانيات الى بوابة ( شنجوين ) ، حيث تمنا جميعا لصديقيهما حظا سعيدا ، وهم يذرفون الدمع . .  
 « واذ كانوا في ريب من لقاء جديد . .  
 « فقد تبادلوا الوداع ، والدمع يجرى على الخدود ! »

### ☆☆☆

• وصل «لى» و « ديسيما » الى نهر (لوهو) ، حيث كان عليهما أن يركبا سفينة . ووجدا - لحسن الحظ - سفينة نقل حكومية ، فى طريقها الى (كواشو) ، فما ان اتفقا على الأجر، حتى اتخذا مكانين عليها .  
 واذ أصبحا على ظهر السفينة ، اكتشف « لى » انه لم يعد يمتلك «سنت» واحدا . فمع ان «ديسيما» كانت قد اعطته عشرين « تايل » الا انه انفقها عن آخرها ! . . والواقع ان «لى» كان قد أقام فى حى البقايا ، حتى بدد كل ما كان لديه ، ولم يعد يمتلك سوى العتيق من الثياب . فلما أخذ النقود ، كان أول ما فعله ، ان سعى - بالطبع - الى استرداد بعض أرديته ، من محل الرهونات ، وأن عمل على صنع حشية جديدة لنومهما . فكان ما بقى من الفضة لا يتجاوز أجر المحفتين والدابتين .

واذ لمحت ديسيما قلقه ، قالت : « لاتعبأ ، فقد تثبت هدية صديقاتي نفعا ! » . . وحينئذ تناولت مفتاحا ، ففتحت الصندوق . وكان « لى » - يقف الى جوارها - مفرط الخجل ، لا يكاد ينظر الى الصندوق . وأخرجت ديسيما ربطة حريرية ، فوضعتها على المسائدة . وقالت : « لننظر . . ماذا بها ؟ ! »

والتقط « لى » الرابطة ، التى كانت جد ثقيلة ، فلما فتحها وجدها تحتوى على خمسين « تايل » من الفضة . وفى ذات الوقت ، اغلقت « ديسيما » الصندوق — من جديد — دون أن تنبس بكلمة عما كان يحتويه عدا ذلك . وراحت تقول : « يا لكرم الفتيات اذ يعطينا هذا . . الآن لم يعد لدينا مايكفى لنفقات الطريق فحسب ، وانما لدينا ما يساعدنا على الانفاق عندما نزور الأماكن الجميلة فى ( سوشاو ) او ( هنكاو ) ! »

فأضاف « لى » فى دهشة وسرور : « لو لم تكن مساعدتك ، لمت بعيدا عن بيتى دون ما قبر أوارى فيه . لن أنسى أبدا مدى كرمك نحوى ! » . . واعتاد « لى » — بعد ذلك — أن يذرف دموع الشكر ، كلما تحدثا عن الماضى . ولكن « ديسيما » اعتادت أن تسرى عنه فى حنان !

واستمرت الرحلة عدة أيام ، دون أن يتخللها ما يستحق الذكر ، ثم وصلا الى ميناء ( كواشو ) ، حيث رست المركب . فاستأجر « لى » قاربا يواصلان فيه سفرهما . فنقلا اليه متاعهما ، وقررا أن يبدأ الرحيل فى الصباح التالى ، عند الفجر . وكان الشتاء قد أقبل . . والقمر بدرا يضارع سطح الماء صفاء ولمعانا !

وقال « لى » لديسيما ، وقد جلسا متجاورين فى مقدمة القارب : « لقد كنا جيبسين فى قمرة السفينة مع غيرنا من المسافرين ، فلم نكن نستطيع الحديث بحرية . . أما اليوم فان القارب كله لنا ، وفى وسعنا أن نفعل مانشتهى . والآن — ونحن نغادر شمال الصين مقتربين من وادى ( يانجسى ) — أفلا تظنين اننا يجب أن نشرب بعض الخمر احتفالا بهذا ، والتماسا للسرور ؟ »

فقالت ديسيما : « نعم . . فانى لم أحظ بفرصة للحديث أو الضحك منذ مدة طويلة . . انى أشعر بعين ما تشعرك به

أنت ! »



وأخرج « لى » أوانى الخمر فوضعها على أرض السفينة ،  
ثم فرش بساطا فجلسا عليه ليشربا معا ، حتى أصبحا تحت  
سحر الخمر . وقال « لى » وهو يقرب كأسه من شفتى  
ديسيما : « لقد كان لك احب صوت فى حيكى ، حتى لقد  
فقدت السيطرة على قلبى من أجلك ، عندما رأيتك وسمعتك  
ترددى الأنغام السماوية لأول مرة . لكن المضايقات حفت بنا  
طويلا ، حتى انى لم أسمع صوتك السماوى منذ أيام طويلة .  
والآن ، والقمر متألق ، يعكس بهاءه على الأمواج الصافية ،  
وقد انتصف الليل ، وليس من أحد حولنا . . ألا تغنين لى ؟ »  
وكانت ديسيما فى نشوة هائلة ، فراح تدق أرض القارب  
بمروحتها ، اكتسابا للوقت ، ريثما تصفى صوتها ، ثم غنت! . .  
وكانت أغنيتهما عن طالب يقدم الخمر لفتاة ، وقد أخذتها عن  
أوبرا « قصر القمر » من تأليف « تشي شون - مى » ، فى عهد  
أسرة « يوان » ، وطوعت مقاطعها للحن الذى عرف باسم  
« زهرة الخوخ الأحمر الصغيرة » :

« واذا بلغ صوتها السماء ، توقفت السحب لتصفى . .  
« واذا بلغ صوتها الأمواج ، عربدت الأسماك طربا ! »

\*\*\*

♦ **وتصادف أن كان فى قارب قريب منهما شاب يدعى**  
« سن - فو » ، من أبناء ( شينان ) فى ( هويتشو ) ، حيث  
كان يمتلك مزرعة تساوى مليون قطعة من العملة . فقد كانت  
أسرته تتجر فى الملح فى ( يانكشو ) منذ اجيال . وكان - اذا بلغ  
العشرين من العمر - قد التحق بالكلية الامبراطورية فى ( نانكين ) .  
وكان « سن » هذا ، شابا منغمسا فى الملاذ ، يتردد على  
أحياء الهوى بحثا عن اللذة ، او التماسا لابتسامات بائعات  
الغرام . والواقع انه كان واحدا من السباقين فى ميدان اللهو !  
وكان قارب « سن » قد ألقى مرساه ، فى ميناء ( كواتشاو )



من هو الآخر سقى ذلك المساء بعينه . وأقبل الشاب على الشراب وحده ، ليفرق السأم في كؤوس . . وإذا به يسمع امرأة تغنى بصوت له من الصفاء والروعة مالم يتوفر لتفريد البلابل ! فوقف في القارب وظل يصغى بعض الوقت حتى تحقق من أن الفناء كان منبعثا من القارب المجاور . لكن الأغنية انتهت في اللحظة التي عمد فيها الى الاستفسار عن صاحبة الصوت . وما لبث أن عرف من الخادم - الذي أرسله ليسائل النوتى - ان القارب مؤجر لشخص يدعى السيد «لى» . بيد انه لم يستطع أن يعلم شيئا عن المغنية . فقال الشاب لنفسه : لابد انها مغنية محترفة ، وليست من الفتيات المحترمات . . كيف أستطيع أن اتحايل على رؤيتها ؟ » . . وأرقه التفكير في ذلك طيلة ليلة .

وفي الساعة الخامسة صباحا هبت ريح عاتية ، وامتلأت سماء الفجر بسحب معتمة . . وسرعان ما انقضت عاصفة ثلجية . .

« وتوارت الاشجار - على التلال - وراء السحب الثقال »  
 « واسودت كل المعالم البشرية تحتها . . »  
 « وعلى النهر المتجمد . . وسط الثلوج ، »  
 « كان ثمة شيخ يصيد السمك في قاربه ! »

وكان من جراء هذه العاصفة الثلجية ، أن تعذر المضى في النهر ، وتحتم على القوارب جميعا أن تبقى في الميناء . وأمر « سن » ملاح قاربه بأن يرسو الى جوار قارب « لى » . فلما تم ذلك لبس قبعته السوداء ورداءه المصنوع من فراء الثعلب ، وفتح النافذة متظاهرا بأنه يرقب الثلج . ووفق الى أن يلمح « ديسيما » . . ذلك انها عندما انتهت من ارتداء ملابسها ، رفعت ستار نافذة القمرة بذراع بيضاء ملتفة لتفرغ وعاء ماء اغتسالها ، في النهر ، فادار جمالها - الذي يفوق كل جمال ارضى - رأس « سن » ، وإذا به يشبث نظرة على المكان الذي ظهرت

منه أملا في أن يحظى بلمحة أخرى منها ، لكنه خاب . وبعد قليل من التفكير ، استند الى نافذة قمرته وغنى أبياتا من شعر « كوشى » ، على لحن « البرقوق الأحمر » :

« كناسك ، فوق تل مكسو بالجليد ،  
« أو كعاشقة في روض تحت القمر .. »

فلما سمع « لى » شخصا في القارب الآخر ينشد شعرا يتم ما كانت تغنيه الفتاة ، اطل من النافذة ، كما كان « سن » يرجو أن يفعل . . فقد كانت خطته ترمى الى اجتذاب انتباه « لى » بهذه الحيلة ، ليستدرجه الى الحديث . لذلك فانه أسرع برفع يديه محييا وسأل « لى » : « ما اسمك الكريم يا سيدى ؟ »

وبعد أن قدم « لى » نفسه ، كان من الطبيعى أن يسأل جاره عن اسمه . فلما عرفه « سن » بنفسه ، ظلا يتحدثان عن الكلية الامبراطورية ، فسرعان ما أصبحا على صداقة . فقال « سن » : « لا بد ان ارادة الله هي التي بعثت هذه العاصفة الثلجية لتوقف قاربينا فلنتقى . ما اسعد حظى ! .. ان السفر بالقارب باعث على الضجر ، وكم أود ان انزل الى الشاطئ معك ، فنذهب الى حانة ، حيث استمتع بحديثك ونتناول بعض الشراب ، فأرجو أن لا ترفض »

فأجاب « لى » . « لقد جاء لقائنا محض مصادفة ، فكيف أثقل عليك هكذا ؟ » . ولكن « سن » اعترض قائلا : « آه ، حسبك ! .. ان الرجال اخوة في كل مكان ! » . ثم أمر قائد قاربه أن يمد معبرا ، وطلب الى خادمه أن يرفع مظلة أثناء العبور . وانحنى امام « لى » ، ثم تبعه في أدب الى الشاطئ .

\*\*\*

♦ وحملتهما بضع خطوات الى احدى الحانات وصعدا الى الطابق الأعلى ، فاختارا مائدة نظيفة الى جوار النافذة ، وجلسا



اليها .. وبعد ان احضر الساقى الخمر والطعام ، اقبلا على الشراب .. وهما يستمتعان بمشهد الثلوج .. وتبادلا حديثا عابرا حول ايام الدراسة، وشيئا فشيئا حول «ليو» دفعة الحديث الى المحظيات .. واذ لقيما اهتماما متبادلا - اذ ان كلا من الشابين كان ذا خبرة واسعة بهذا الميدان - شرعا يتحدثان بصراحة ، ويتبادلان الأسرار !

وما لبث « سن » أن صرف خادمه ، وسأل « لى » فى صوت خفيض : « من كانت تلك الفتاة التى غنت فى قاربك ، فى الليلة الماضية ؟ » . واذ كان « لى » تواقا الى أن يزهو بنصره ، قال له باخلاص : « تلك كانت «تو وى» .. الغانية الشهيرة فى بكين » .

ـ واذ كانت غانية ، فكيف تسنى لك الحصول عليها ؟  
وحينئذ روى له « لى » القصة كلها : كيف وقعا فى الحب وكيف أرادت ديسىما الزواج منه - وكيف اقترض المأل ليشترىها .. فقال سن : « انه ولا شك أمر جد بديع أن تصطحب الى بلدك امرأة فاتنة ، ولكن ، ترى هل مستقبل أسرتك الموقرة هذا الأمر ؟ »

**فاجاب لى : «الست أحمل هما بشأن موقف زوجتى الأولى ..**



انما تتمثل العقبة الوحيدة في أن أبى شديد الحزم ، وقد اجد منه كثيرا من المتاعب ! »

واتاحت هذه الاجابة المنفذ الذي كان « سن » يرجوه ، فتساءل : « اذا كان من المحتمل أن لا يوافق أبوك المحترم ، فأين تعتزم أن تؤوى حسناءك ؟ .. هل تدبرت الأمر معها ؟ » .. فأجاب لى ، وقد اكفهر محياه : « نعم .. لقد ناقشناه » ، فسأله « سن » فى تلهف : « وهل كان لها رأى حسن ؟ » . فأجاب لى : « انها تريد أن تبقى بعض الوقت فى ( سوتشاو ) او ( هانكاو ) .. وبعد أن نزور الأماكن الجميلة هناك ، سأذهب الى بلدى وحيدا - فى البداية - لأسأل الاصدقاء والمعارف ان يفتحوا أبى فى الأمر . فاذا مذهب غضبه ، عدت لاحتضارها . فماذا ترى فى هذه الخطة ؟ »

وبدا التفكير لحظة على « سن » ، وكأنه جد مهتم بالأمر ، ثم قال أخيرا : « اننا لم نلتق الا من وقت وجيز ، وقد يضايك أن ينصحك رفيق عابر فى مثل هذا الأمر الخاص ! » . فعارضه لى قائلا : « بل اننى فى حاجة الى نصحك .. فلا تتردد فى الحديث بحرية ! » فقال سن : « حسن اذن . مادام أبوك موظفا حكوميا جليل الشأن ، فلا بد أنه سيكون جد غيور على سمعة أسرته . وقد سبق أن عبر عن عدم رضاه لأنك تحوم حول مواطن الشبهات ، فهل تظنه سيوافق على أن تتخذ من إحدى فتيات الهوى زوجة لك ؟ .. أما اقاربك واصدقاؤك ، فسيتخذون جميعا حذرهم من والدك الوقور . ولن تجد جدوى من طلب معونتهم ، إذ انهم سيكونون مضطرين الى الرفض . ولو أن السذاجة حملت واحدا منهم على أن يذود عن قضيتك امام والدك فإنه لن يلبث أن يتحول عن ذلك ، اذا ما تبين أن السيد الكهل ضد هذه الزيجة . وهكذا ، ستكون انت سببا للتناظر فى أسرته ، ولن تفوز بنتيجة مرضية تحملها الى عشيقته .. ولو انكما الفيتما متعة فى المناظر الجميلة فى

( سو تشاو ) و ( هانكاو ) لفترة ، فلن تستطيعا ان تعيشا على المناظر الجميلة الى مالا نهاية . . وما أن تنضب مواردك ، حتى تجد نفسك في ضائقة محرجة ! »

ولم يظن « لى » - الا حين حدثه « سن » عن المصاعب المادية - الى أن كل ما كان يملكه هو خمسون « تايل » . انفق معظمها فعلا - فأوماً مقتنعا ووافق على أن الأمر كان كما صورته « سن » ، في الواقع ! . . وتابع هذا حديثه قائلاً : « والآن ، أحب أن أوجه اليك نصحاً صادقاً ، لكنك قد لاتحب أن تسمعه » . فقال لى : « بل اننى لشاكر لك ، فتكلم بصراحة . . أرجوك ! » . فقال سن : « خير لى أن لا افعل ، فليس للمعارف العارضين ان يتدخلوا بين الاحباب ! » فاعترض لى : « لاتعبأ بهذا ! » .

وهنا قال سن : « لقد قال القدامى ، ان النساء متقلبات ، وقد اثبتت فتيات الهوى انهن أقل النساء وفاء . وما دامت عشيقتك غانية شهيرة ، فلا بد ان لها صحابا في كل مكان . وقد يكون ثمة عاشق سابق لها ، في الجنوب ، تنتهز فرصة سفرها معك لتلحق برجل آخر ! » . فقال « لى » : « أوه ، لا . . لا أظن ذلك » . فأجاب سن : « قد تكون على صواب ، ولكن شبان الجنوب بارعون في غواية النساء ، ولو انك تركت عشيقتك لشأنها ، فانها قد تستسلم لواحد منهم . . ومن ناحية اخرى ، ارى انك قد تضاعف من سخط والدك ، اذا انت اصطحبته الى بلدك . الواقع اننى لا اكاد أجد لك مخرجاً . على ان العلاقة بين الأب وابنه شيء مقدس لا يجب أن ينتهك . فاذا انت أغضبت أباك ، وهجرت أهلك في سبيل غانية ، فسيحكم الناس جميعاً عليك بانك مفسود ضال ، ولن تعتبرك زوجتك جديراً بأن تكون بعلا لها ، وسيكف أخوك الصغير عن أن يبجلك ككبير ، وسيقاطعك صدقاؤك ، فتلفى نفسك منبوذاً . لهذا انصحك بأن تتروى



اليوم في الأمر ، وتفكر في امعان ! »  
 وأسلم هذا الحديث «لى» الى حيرة مطلقة . فقرب مقعده  
 من « سن » ، وسأله في حرارة : « وما الذى تظننى جديرا بأن  
 أفعله ؟ » .. فأجاب سن : « ان لدى تديرا قد ينفعك ، لولا  
 اننى أخشى أن تكون مشغوبا بغانيتك الى الدرجة التى لا تمكنك  
 من ان تقدره ، ولا تكون ثمة جدوى لحديثى ! »  
 — اذا كانت لديك خطة كفيلة بأن تردنى الى أحضان أسرتى،  
 فسأعرف لك صنيعك .. لا تتردد فى الكلام !  
 — انك قد نأيت عن أهلك أكثر من عام، فغضب عليك ابوك،  
 واستاءت منك زوجتك . ولو اننى كنت فى مكانك ، لما عرفت  
 طعما للاكل او النوم ، من جراء تأنيب الضمير . لكن اباك الفاضل  
 لم يغضب الا لأنك انسقت فى هوى غانية ، ورحت تنفق المال  
 وكأنه ماء .. انك تبرهن على انك غير أهل لأن ترث ثروته ،  
 اذ أنك خليك بأن تسوق أسرتك الى الافلاس ، اذا أنت مضيت  
 فى هذه السبيل .. لذلك فانك كفيل بأن تذكى غضب أبيك ،  
 اذا انت عدت خاوى الوفاض .. أما اذا وجدت من نفسك  
 استعدادا لأن تفرق عن غانيتك ، وتفيد من صفقة خاسرة ،  
 فانى لا أحجم عن تقديم ألف « تايل » لك ، فى مقابلها ! ..  
 وبهذا المبلغ تستطيع ان تقول لأبيك انك انما كنت تعمل فى  
 التدريس — فى العاصمة — وليس فى تبديد المال . ومن المحقق  
 انه سيصدق قولك . فيعود الوئام الى اهلك ، ولا يبقى اثر  
 للمناعب .. وبضربة واحدة ، تبدل مصيبة الأسرة الى حظ  
 سعيد . فهلا درست هذا العرض فى روية وامعان .. اننى  
 لا اقترحه اشتها لغانيتك ، وانما رغبة منى فى أن اساعدك  
 ما استطعت ، فحسب !

وكان « لى » ضعيف الشخصية دائما ، يهاب أباه الى أبعد  
 حد ، ومن ثم فان منطق « سن » أقنعه تمام الاقناع . ونهض  
 من مجلسه فانحنى له شاكرا ، وقال : « أن نصيحتك الرائعة قد



فتحت عيني .. على اننى لا استطيع أن أقطع علاقتى بغايتى على هذا النحو المبالغ ، بعد ان جاءت معى كل هذه المئات من الاميال .. سأحدثها فى الأمر، وسأخبرك عندما افوز بموافقتها! قال سن : « بما انها مشغوفة بك الى هذه الدرجة ، فلن ترتضى أن تفرق بينك وبين والدك . بل اننى واثق من انها ستساعدك على العودة الى أسرتك ! » .. وظلا يشربان حتى هبط الليل ، وخفت حدة الريح ، وانقطع تساقط الثلج . فأمر « سن » خادمه بأن يدفع الحساب ، ورجع مع « لى » الى القارب ، وقد تأبط كل ذراع صاحبه !

- « يجب ألا تغضى للغريب بأكثر من ثلث الحقيقة .. »  
 « أما ان تكشف له عن قلبك ، فمسلك بعيد عن الحكمة ! »

\*\*\*

♦ كانت ديسيما - على القارب - قد أعدت الخمر والحلوى - فى القارب - من أجل « لى » . لكنه لم يعد طيلة النهار . فلما هبط الليل ، أضاءت المصباح فى انتظاره . وما ان صعد الى سطح القارب حتى هبت مرجبة به ، فلاحظت انه كان مضطربا مهموما . واذا ملأت له كأسا دافئة من النبيذ هز رأسه رافضا ، وذهب الى سريره دون أن ينبس بكلمة . فانزعجت ديسيما . وسألته ، بعد أن نحت الكؤوس والاطباق جانبا وساعدته على خلع ملابسه : « ما الذى حدث اليوم فأحزنك الى هذه الدرجة ؟ »

وكانت اجابته الوحيدة زفرة . فظلت تكرر سؤالها ثلاث مرات أو أربعا ، حتى غشيه النوم . وكان القلق قد برح بها - فى تلك الاثناء - فجلست على حافة السرير ، لا تستطيع اطباق جفتها . وفى منتصف الليل ، استيقظ « لى » ، فأرسل زفرة عميقة أخرى . فسألته ديسيما : « أى شئ يثقل بالك على هذا النحو ؟ .. لماذا لا تنبئنى ؟ »

فاعتدل « لى » جاذبا الغطاء حوله ، وحاول عدة مرات أن يتكلم ، لكنه لم يستطع الاستمرار وانفلت الدموع على خديه . وهنا أخذته « ديسىما » بين ذراعيها ، وراحت تبرى عنه بكلمات ناعمة ، وهى تقول : « لقد ظللنا متحابين زهاء عامين ، ونفدنا معا خلال آلاف من الصعاب والمشكلات ، كما انك لم تبد مهوما قط خلال هذه الرحلة الطويلة . فقيم هذا الهم الآن ، وقد اوشكنا أن نعبث ( اليانجيسى ) ، فنستقر ونعيش سعيدين بعد ذلك ؟ لابد أن هناك سببا . لسوف نعيش معا ونموت معا ، كزوجين ، فخليق بنا أن نبحت متاعبنا معا ايضا . أرجوك . . لا تكتف عن الأمر ! » . وبعد أن ألحت عليه مرارا أن يتكلم . قال والدموع فى عينيه : « عندما بعدت بى الشقة عن أهلى ، كنت جد رحيمة بى ، وربطت نفسك الى بالرغم من كل العقبات ، حتى اننى لأعجز عن التعبير عن شكرى لك . لكننى ظلت أفكر فى الأمر : ان أبى موظف حكومى كبير ، وهو جد متمسك بالمبادئ ، فضلا عن أنه شديد الحزم . فاذا اغضبته الى الدرجة التى يطردها فيها من رحاب العائلة ، فسندطر الى التشرد دون ما مأوى . . فماذا سيكون مصيرنا اذ ذاك ؟ . . انه قد يؤدى الى قطيعة كاملة بينى وبين أبى . . وقد لا نطمئن الى حياة زوجية سعيدة ، بعد ذلك . ولقد تحدث الى صديقى « سن » - وهو من ( شينان ) - فى هذا الأمر ، بينما كنا نتناول بعض الشراب اليوم ، فاذا بى اشعر بقلبى يتحطم ! »

فسأله ديسىما وقد اشتد انزعاجها : « ما الذى تعزم ان تفعل ؟ » . فقال لى : « ان الرجل الغارق فى المتاعب لا يبصر طريقه بوضوح ، لكن السيد سن فكر لى فى خطة رائعة . . غير اننى أخشى الا تقرىها ! »

- ومن يكون هذا السيد « سن » ؟ . . اذا كانت خطته حسنة ، فلماذا لا اوافق عليها ؟



— ان اسمه « سن فو » ، وهو تاجر ملح من ( شينان ) ،  
وعالم شاب شهيم . وقد سمعك تغنين في الليلة الماضية ،  
فسأل عنك . فلما رويت له قصتنا ، واخبرته بأننا قد لانستطيع  
العودة الى اهلى ، عرض ألف « تايل » في مقابل يدك . . ولو  
توفر لدى ألف « تايل » ، فقد يكون من السهل على أن أواجه  
والدى ، كما انك ستجدين لنفسك مأوى ودارا . بيد اننى  
لا أطيق فراقك . . وهذا هو سبب حزنى .  
وما ان قال هذا حتى تساقطت الدموع مدرارا .

وأطلقت ديسيمها ضحكة غريبة وهي ترفع ذراعيها عن  
كتفيه . . وقالت : « لا بد انه سيد لطيف ، اذ فكر في هذه  
الخطئة . . اذ أنك ستربح الألف « تايل » ، وان أصبح عبئا  
عليك ، ما دمت سأصبح لرجل آخر . فأى شيء يمكن أن  
يكون متفقا مع العقل والمبادئ العليا أكثر من ذلك ؟ . . انها  
لخطئة ملائمة لكل منا . . فآين الفضة ؟ » . فقال « لى » ، وقد  
كف عن البكاء : « ان النقود لم تزل معه ، اذ ان المبادلة لم تتم  
بعد ، لاننى لم أحظ بموافقتك يا حبيبتي ! » . فقالت ديسيم :  
« اذن فاسرع اليه اذا ما أسفر الصباح ، ولا تفوت الفرصة .  
فان ألف « تايل » مبلغ كبير ، وتجر دقة وزنه ، واطمئن الى  
استلامه ، قبل أن انتقل الى القارب الآخر ، ولا تدع تاجر الملح هذا  
يفشك ! . . تأكد من انها وزنت بدقة وسلمت اليك قبل ان  
أعبر الى القارب ! »

\*\*\*

♦ وبلغت الساعة الرابعة . . وكانت ديسيم قد قامت  
— عندما تبينت اقتراب الفجر — فأشعلت المصباح لترتدى  
ثيابها . وهي تقول : « لأترين اليوم ، وداعا لعميل واستقبالا  
لآخر جديد ! . . انها لمناسبة عظيمة ! »  
وهنيت باستخدام الأصباغ والمساحيق والزيت العطرى ،

ثم تحلت بأبدع جواهرها وأجمل أرديتها المطرزة ، فعبق عطرها الجو ، وتجلى حسننها يبهر الأبصار !

وعندما انتهت من أمر لباسها ، كان الصبح قد حل ، فأرسل « سن » خادما الى قاربهما يسأل « لى » ردا . واستقرت ديسيما نظرة الى الشاب ، فلما رآته يبدو مبتهجا ، راحت تحرضه على أن يعلن لفوره موافقته ، ليستولى على الفضة في أقرب وقت . ومن ثم فقد ذهب « لى » الى قارب « سن » ليعلمه بموافقة ديسيما .

وقال سن : « لا عيبة هناك فيما يتعلق بالمال ، لكننى أرى أن أحصل على صندوق جواهر السيدة رهنا » . فلما أخبرها « لى » بالأمر ، أشارت الى صندوقها المذهب وقالت : « دعهم يأخذونه ! » . واذ ذاك ، بادر « سن » - وهو مغتبط - بإرسال الألف « تايل » من الفضة الى قارب « لى » . وفحصت ديسيما الصناديق ، فلما تأكدت من أن الفضة كانت من أحسن نوع ، وأن المقدار كان صحيحا ، وضعت ذراعا الى جانب من القارب وأشارت الى « سن » بالأخرى ، فاستخفه الفرح . وسألته وقد انفرجت شفتاها القرمزيتان عن أسنان لؤلؤية : « هل أستطيع استرجاع الصندوق دقيقة واحدة ؟ ان به تصریح سفر السيد « لى » ، ويجب أن أردّه اليه » .

واذ اطمأن « سن » الى أن ديسيما لن تستطيع الإفلات منه بعد كل هذا ، أمر خادمه بأن يعيد اليها صندوقها المذهب فيضعه على ظهر القارب . وتناولت ديسيما مفتاحها ففتحتة ، كاشفة عن مجموعة من الأدراج بداخله . وطلبت الى « لى » أن يفتح أول درج ، فوجده مليئا بالأساور والآلئ والياواقيت والأحجار الكريمة ، التى تبلغ قيمتها مئات عدة من « التايلات » الفضية . وفجأة ، ألقت ديسيما بهذه الجواهر الى النهر ، وسط دهشة « لى » و « سن » ومن كان سواهما على القارين !



ثم طلبت الى « لى » أن يخرج درجا آخر ، فاذا به يحتوى على قصبات من الياقوت ، وقضبان من الذهب ، وكان الدرج الثالث مليئا بحلى ذهبية تساوى آلاف عدة من « التايلات » ، فألقت ديسيما بهذا كله أيضا .. الى النهر !

وفى تلك الأثناء كان الجسر قد ازدحم بالمشاهدين ، الذين راحوا يهتفون فى عجب : « يا للخسارة ! » .. وفيما كانوا مشدوهين لسلوكها ، انتزعت الدرج الأخير ، فكان به صندوق . وفتحت الصندوق ، فاذا به مليء بحفريات من الآلىء المتألقة والأحجار الكريمة الأخرى - كالزمرد و « عين القط » - مما لم يروا له نظيرا من قبل قط ، ولا كان فى وسعهم ان يحدسوا قيمته . وصاح المشاهدون اعجابا . فلما همت ديسيما بأن تلقى بكل هذه الجواهر الى النهر أيضا ، ألقى « لى » ذراعيه حولها ، وبكى فى مرارة ، وقد ثار ضميره .. كما أقبل « سن » بدوره - ليعتذر إليها . ولكن « ديسيما » دفعت « لى » بعيدا ، والتفتت الى « سن » غاضبة ، فصاحت : « لقد قاسيت مع السيد « لى » صعابا كثيرة ، حتى أتيت الى هنا ! ولكنك - فى سبيل ارضاء شهواتك - خدعته بدهاء لتفصم زواجنا ، وتهدم حينا . اننى لأكرهك ! .. ولسوف تصبح - بعد موتى - شبحا ، اذ اننى سأشكوك الى الآلهة . كيف سولت لك نفسك ان تطمع فى الاستمتاع بى ؟ ! »

ثم التفتت الى « لى » قائلة : « لقد مارست الحياة التعسة - حياة الغانية ، بائعة الهوى - سنوات عديدة ، ادخرت خلالها مايسد رمقى فى شيخوختى . فلما التقينا ، أقسمنا على ان نتحاب مدى العمر . ولقد تظاهرت - عندما غادرنا العاصمة - بأن هذا الصندوق هدية من صديقاتى ، فى حين انه قد ضم من الجواهر ما تفوق قيمته عشرة آلاف من « التايلات » الفضية .. وكنت أعتزم أن أرفعك بها الى ذروة التألق ، حتى استدر عواطف والديك ، فيتقبلاننى فى الأسرة ، لأعيشى معك

في هناء الى آخر العمر ! . ولكنك لم تطمئن الى ، فانسقت بسهولة للأكاذيب ، واذا بك تهجرني في منتصف الطريق ، دون أن تحفل بحبي الصادق . . ولقد فتحت هذا الصندوق أمام هؤلاء جميعا ، لأريك ان آلاف «التايلات» لا تهمنى في شيء . . ولكنك لم تكن ذا بصيرة ! . ان القدر يعاديني ولا بد ، فقد هربت من حياة البغاء القاسية ، واذا بك تنبذني . فكونوا - ايها الحضور جميعا - شهودى ! . اننى لم أخنه قط ، ولكنه اثبت عدم وفاء لى ! »

وانهمرت دموع الحاضرين جميعا ، وانهالوا بالسباب والبصاق على « لى » ، وهم يتهمونه بالخيانة وعدم الوفاء . . بينما راح الشاب يبكي في حرارة ، وقد اشتد به الخجل والحزى والندم . واذ هم ان يستغفر ديسميما ، اذا بها تلقى بنفسها الى النهر ، وقد احتضنت الصندوق الصغير بين ذراعيها ! . وتصايح القوم متداعين الى المنجدة ، ولكن الضباب كان كثيفا فوق النهر ، كما كان التيار جارفا ، فلم يستطع أحد الوصول اليها ! . .

فوالهفتهاه على غانية حسناء ، ذاع صيت جمالها ، قدر لها ان تروح ضحية الأمواج النهمة !

« لقد ابتلعت اعماق الماء هذا الجسد الحبيب ،

« وحمله النهر بعيدا . . عن عالم الناس ! »

وهم الحاضرون بأن ينقضوا على « لى » و « سن » ، وهم يصرون على أسنانهم حنقا ، فاشتد الدعر بالشابين ، وصاحا في نوتى قاربيهما بأن ينطلقا . . فابحرا في اتجاهين متضادين !

\*\*\*

♦ وروح الحنين بالشاب « لى » ، وهو يرى الألف « تايل » الفضية أمامه ، فظل طيلة يومه فريسة للخجل والندم ، حتى افقدته الحسرة عقله ، فعاش مجنونا ببقية حياته !  
أما « سن » ، فقد سقط مريضا لفرط الجزع ، فلازم





فراشه لأكثر من شهر .. واستبد به الذعر - آناء الليل  
 واطراف النهار - من شبح « دبسيما » الذى راح يلاحقه  
 باللعنات ، حتى مات فى بطن .. وأجمع الناس على أن هذا  
 لم يكن سوى الجزاء الحق عن الخطيئة التى ارتكبها على النهر !  
 وحدث عندما أتم « ليو يو - شون » دراسته فى العاصمة ،  
 واتخذ طريقه الى بلده ، أن رسا قاربه يوما عند ( كواتشاو ) .  
 وفيما كان يفصل وجهه عند حافة قاربه ، سقط وعاءه النحاسى  
 فى النهر ، فطلب الى احد الصيادين ان يلقى شبكته لالتقاطه .  
 غير أن الشبكة عادت بصندوق صغير ، ما ان فتحه « ليو » ،  
 حتى الفاه مليئا بما لا يقدر بمال ، من جواهر ولآليء ونقائس .  
 فأجزل « ليو » العطاء للصياد ، ووضع الصندوق عند رأس  
 سريريه .. وفى تلك الليلة ، وافته فى المنام فتاة حملتها امواج  
 النهر ، وعرف فيها شكل « دبسيما » . وصعدت اليه ، فانحنى  
 محببة ، وروت له كيف كشف « ليو » عن غدره بها ، ثم قالت :  
 « لقد كنت جد كريم اذ ساعدتني بمائة وخمسين « تايل » ،  
 وكنت أعترزم أن أجازيك اذا ما بلغنا غايتنا ... واذا كنت لم  
 أستطع ، فإننى لم أنس قط رفقتك البالغ ، ومن ثم ارسلت  
 اليك فى النهار هذا الصندوق ، فى شبكة الصياد ، لأعبر عن

شكري ! » . وتحقق « ليو » - عند ما استيقظ ماخوذاً - من  
 ان ديسيمما قد ماتت ، فحزن عليها اياما !  
 ولقد عنت الاجيال التي أعقبت هذه الأحداث ، بتحليل  
 دقائقها ، فدمغت « سن » بالخبث لسعيه الى الفوز بحسنا ،  
 في مقابل ألف « تايل » من الفضة ! .. واعتبرت « لى » خسيسا ،  
 لأنه لم يقدر ديسيمما حق قدرها ، في غبائه ! .. اما « ديسيمما » ،  
 فقد كانت جوهرة بين النساء ! .. ومما يرثى له ، أنها بددت  
 حبها ، اذ ضيعته على « لى » ، بدلا من ان تسعى وراء زوج  
 جدير بها ، فكان عملها أشبه بنشر اللآلئ البراقة ، او اليواقيت  
 النادرة ، امام عيني رجل أعمى ! .. مما أدى الى انقلاب حبها  
 العظيم الى كراهية ، والى ضياع عواطفها الناعمة مع تيار النهر !

« جدير بمن لم يعرفوا الحب ان يصمتوا ،

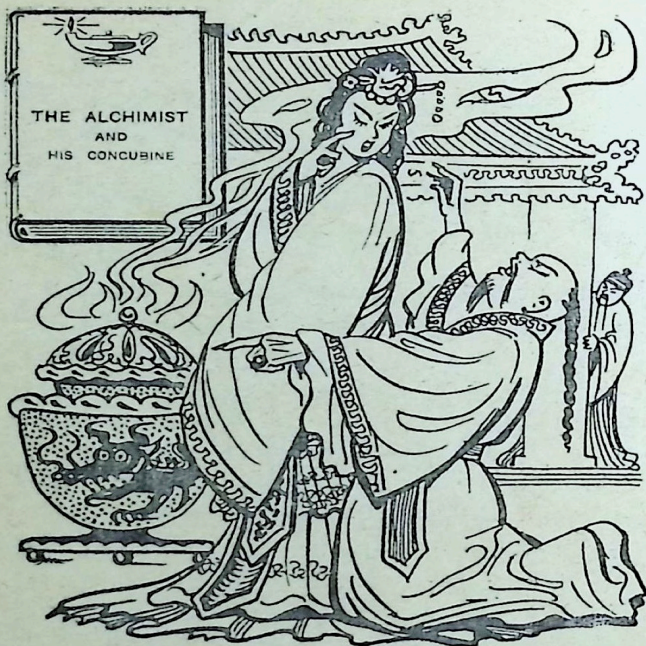
« فليس من السهل ادراك قيمة الحب ..

« وليس سوى من فطر على الثبات والوفاء ،

« جديرا بان يلقب - في الدنيا - بالعاشق المحب ! »

---





# صَافِعُ الذَّهَبِ وَالْغَانِيَةُ

قصة من الأدب الصيني في القرون الوسطى..

## هذه القصة من الفترة بين القرنين العاشر والسابع عشر ، ولم يعرف لها مؤلف

« بالرغم من ان ثيابهم مهلهلة لا تقيهم البرد ،  
« فانهم يؤكدون لك انهم يبدلون كل المعادن الخسيسة  
الى ذهب !

« فلماذا - إذن - لا يصنعون ذهباً بحسابهم الخاص ؟

« ولماذا يكتفون بأن يشقوا من أجل سواهم طيلة اليوم ؟ »

• نظم هذا الشعر « تانج ين » - وهو عالم في عهد أسرة  
« ينج » الحاكمة - تعريضا بالكيمياء بين الكثيرين الذين يخدعون  
الجشعين ، ويفررون بالسدج ، زاعمين ان بوسعهم ان يصنعوا  
من الاعشاب حجر الفلاسفة ، وان يحولوا القصدير الى ذهب ،  
او الزئبق الى فضة . وانهم ليسمون هذا « فن النساك » .  
وهم يطلبون الفضة ليستخدموها في عملياتهم ، ثم ينتهزون  
الفرصة ليهربوا بها . . ويسمون هذا « الاستخفاء بالقدر » .  
وفي ذات مرة ، عرض ناسك على « تانج ين » ان يؤدي له  
هذا الفن ، قائلا : « ان لك مظهرا يدل على الطيبة ياسيدى . .  
لذلك فاني اؤدي هذا العمل من أجلك »

فجابه تانج ين بقوله : « ألا حظ انك في أسمال . . فاذا  
كنت قد سيطرت على فن النساك ، فلماذا لا تستنيط الذهب  
لمصالحاتك الخاصة ؟ . . لماذا تكتفي بان تفعل ذلك للغير ؟ »

وأجاب الناسك : « ان الطبيعة تعاديني ، لأنى اوتيت هذه  
الموهبة . . ومن ثم فليس بوسعى أن افعل ذلك الا اذا وجدت  
منتفعا حياه الحظ . . اما أنا ، فان الحظ لا يحالفنى . واذا  
لاحظت انك ولدت تحت طالع سعد ، فاني أعرض عليك أن  
تشاركنى »

فقال تانج ين : « اسمح لى أن أعرض عليك اقتراحا . . اننى  
لن أتدخل في عملك وانت تمارس فنك ، بل سأكتفى بأن أساعدك



يحظى .. حتى اذا حصلت على حجر الفلاسفة ، اقتسمنا الذهب مناصفة فيما بيننا »  
وعندما تبين الناسك ان العالم انما كان يسخر منه ، ايقن ان هذا لم يكن بالغنيمة السائفة له ، وبادر الى الانصراف .  
وعند ذلك كتب تانج ين شعره معرضا بهذا الصنف من المحتالين . على انه لا يزال ثمة أناس - ممن أوتوا أعظم ذكاء - يقومون في مثل هذه الشراك !

\*\*\*

♦ دعنى أحدثك عن غنى من ابناء سونجتشيانج يدعى « بان » ، كان من علماء الكلية الامبراطورية .. وكان واسع الاطلاع ، لبقا ، يستهوى الناس بحسن معشره . بيد انه كان مولعا بالكيمياء . ولما كانت الطيور على اشكالها تقع ، فان الكيميائيين تكأثروا حوله ، وما لبثوا أن جردوه من قدر كبير من الفضة . ومع ذلك ، فانه لم يستشعر أى ندم ، حتى بعد ان خدع مرارا وتكرارا ، وانما اكتفى بان قال انه لم يؤت من الحظ ما يسوقه الى لقاء كيمياوى حاذق ، اذ ان فنا عريقا كهذا ، لا بد ان يكلل بالنجاح ، فى النهاية .. ولهذا بدت له كل مرات اخفاقه السابقة سفاست تافهة . ومن ثم فقد أخذ عناده يقوى ويشتد . وانتشرت الأنباء عن ذلك ، حتى سمع بها كل الكيميائيين ، فتآمر الدجالون من كل الأرجاء على غشه !  
وفى ذات خريف ، استأجر « بان » مسكنا فى ( هانكاو ) ، فسرعان ما استرعى انتباهه رجل غريب ، فى المنزل المجاور ، كان قد وفد بدوره ليشهد البحيرة الغريبة . وكان لهذا الرجل كثير من الخدم والمتاع ، وقد عرف « بان » ان المرأة التى كانت تصحبه - والتى كانت بارعة الجمال - لم تكن سوى محظيته . وكان هذا الغريب يستأجر - فى كل يوم - أكبر قارب فى ( هانكاو ) ، ويأمر باعداد وليمة ، ويستأجر فتيات الهوى

ليعزف الموسيقى .. ثم يقبل على الشراب والطرب والمرح مع محظيته ، على مياه البحيرة . وكان يمتلك كثيرا من كؤوس الشراب الذهبية والفضية الدقيقة الزخرف .. كما كان عند عودته الى مسكنه - في كل مساء - تحف به عشرات المصابيح ، يوزع الهبات في سخاء الأمراء !

وبهت « بان » الى أقصى حد ، وهو يشاهد كل هذا ، من داره المجاورة . وكان يقول لنفسه : « ان اسرتى تعتبر مشرية ، ولكنى لا أملك أن أنفق المال على هذا النسق ، فلا بد ان ثروة هذا الرجل تفوق الخيال »

وسرعان ما توصل الى وسيط يحمل الى جاره تحياته ، واستطاع بعد ذلك أن يلتقى بالغريب ، وان يبادلوه الود . وبما ان سنحت له ثغرة ينفذ خلالها ، حتى قال عرضا : « ان ثروتك تفوق كل ماشهدت ياسيدى »

فقاطعه الآخر في تواضع : « آه ، ما هذا بالشئ الذى يذكر ! » ولكن « بان » قال مصرا على رأيه : « لا بد أن لديك جبالا من الذهب والفضة فعلا ، والا لكنت خليقا بأن تستنفد كل ثروتك ، اذ تعيش على النمط الذى تعيش عليه »

فأجاب الغريب : « ان جبال الذهب يسيرة الانفاق . ولكن المنشود هو مورد لا ينضب ! »

واستشار قوله فضول « بان » ، فسأله : « ما الذى تعنيه بمورد لا ينضب ؟ »

- ليس بوسعى أن أتحدث عن هذه الأمور ، ونحن لم نلتق الا هذه المرة

- انما أرجوك أن تفصح ..

- لو أننى انبأتك لكان من المحتمل ان لا تفهم أو لا تصدق وما كانت هذه الاغراءات الغامضة لتزيد « بان » الا اغراقا في الالتفاف ، فما لبث الغريب أن صرف خدمه ، ثم همس : « اننى أملك حجر الفلاسفة ، الذى يحيل القصدير الى



**ذهب .. ان الذهب لدى كالتراپ !** «

وكاد « بان » يطير طربا لهذه الاشارة الى الكيمياء ، التي كانت هوايته الاثيرة بكل شغفه . وصاح : « خير انت - اذن - بفن النساك ؟ ! .. اننى مولع بالكيمياء ، ولكننى لم احظ قط بلقاء خبير صادق بها . اننى لآنزل - بطيب خاطر - عن كل ما امتلك اذا علمتنى فنك ! »

فقال الغريب : « ما هذا بالذى يلقن عفوا .. على انه لا ضير هناك من اجراء بضع تجارب ، على سبيل التسلية ! »  
ودعا خادما ليشعل النار فى الموقد ، ثم صهر بضع أوقيات من القصدير فى مرجل ، وتناول من جيبه كيسا به مسحوق راح ينثره على المعدن المصهور ، وما أن أفرغ ما فى الكيس على محتويات المرجل ، حتى تحول القصدير الى فضة براققة !

والواقع - أيها القارىء - انه لا يوجد فى الدنيا مسحوق يستطيع ان يحول القصدير الى فضة ، وما كان ذلك المسحوق - الذى استخدمه الغريب - سوى ما يسمونه « روح الفضة » ، وقد استخلصها الرجل - بعملية كيمياوية - من اوقية من الفضة ، فلما صهرها فى المرجل ، امتص القصدير المذاب خلاصة الفضة ، فاكتسب لونا فضيا . ولكن المادة الجديدة لم تكن تضم من الفضة شعرة فوق مانتثره الرجل من الكيس .. وهى حيلة كثيرا ما يخدع الكيمائيون الناس بها !

\*\*\*

♦ **واستولى الفرخ على « بان »** ، فقال لنفسه : « لاعجب فى انه ينفق المال كما لو كان ماء ، ويبدد كل وقته فى اللهو .. ومن السهل - كما يبدو - ان يصنع المرء فضة . ولقد اعتدت دائما ان اضيع نقودى كلما حاولت ذلك من قبل ! على اننى - فى هذه المرة - سعيد الحظ ، اذ التقيت بشخص قدبر حقا ، فجدبر بى ان استعين به ! »

وتحول الى الغريب فسأله : « كيف تصنع حجر الفلاسفة يا سيدي ؟ »

فاجاب الغريب : « ان هذه العملية تسمى تكوين » ام الفضة « . . خذ أى مقدار من الفضة كأساس ، وعالجه بالمواد الكيماوية ، وسخنه فى قدر ، وبعد ان يطفى تسع مرات ثم يعود الى حرارته الطبيعية ، لا يلبث ان يتركز ، ويصبح راسبا من الفضة . فاذا فتحت القدر ، فكل ما عليك هو أن تتناول منه حجر الفلاسفة ، الذى تكفى الذرة منه لكى تحول المعادن الخسيسة الى ذهب أو فضة ، بينما تبقى « ام الفضة » على حالها دون أن تتغير ! »

وسأله بان : « وكم يلزم من الفضة لذلك ؟ »

فكان الجواب : « كلما زادت الفضة ، اشتد مفعول حجر الفلاسفة . بنصف علبة منها تستطيع أن تغدو فى ثراء امبراطور ! »

قال بان : « بالرغم من اننى لست غنيا ، فان بوسعى أن أدبر ألفى « تايل » . فاذا كنت راغبا فى أن تعلمنى ، وفى أن تكون ضيفى ريثما تصنع لى قدرا صغيرا من حجر الفلاسفة هذا ، فسوف تحقق أمنية حياتى ! »

وأجاب الغريب : « اننى نادرا ما أعلم الغير فنى . كما انه ليس من عادتى أن أعرض على الغير تجاربى . ولكنى أخذت باخلاصك وبطيبتك الظاهرة وان تجاورنا هنا ليثبت ان لقاءنا كان مكتوبا فى لوح القدر . . . لسوف أبذل من اجلك ما استطع ، فانبئنى ببلدك الأسمى ، وسوف أزورك هناك ! »

— اننى أقيم فى ( سونجنشيانج ) ، وهى لا تبعد عن هنا بأكثر من يومين أو ثلاثة . واذا كنت ستتفضل بزيارتى ، فلماذا لاتحزم أمتعتك وتصحبنى الآن الى دارى المتواضعة ؟ . . لعل شيئا ما يحدث اذا أفرقنا ، فأحرم من هذا الامتياز !

فأجاب الغريب : « ان دارى فى مقاطعة ( هونان ) ، حيث



تركت أمي .. ولقد أحضرت محظيتي الى هنا ، لنستجلى منظر ( هانكاو ) الذائعة الصيت ، فاذا الوقت يمر بهيجا ، حتى اننى أخذت أرجىء العودة ، اذ اننى وان كنت قد جئت صفر اليدين ، الا اننى أوفر نفقاتى بفضل القدر ! .. أما وقد وجد فيك روحا صفية لى ، فلن استبقى سرى لنفسي . وبعد أن أعود بمحظيتي الى بلدى ، وأقدم احتراماتى الى امي ، سأتى اليك . ولن تكون هذه بالمدة الطويلة . اليس كذلك ؟ » فقال « بان » مقترحا عليه : « ان لى يبتا ريفيا تستطيع السيدة التى بررفتك أن تقيم فيه . فهلا تؤثر ان تحضرها معك لتؤنسك خلال الفترة التى يقتضيها العمل ؟ .. واذا كنا لا نملك ان نوفيك حقك من الضيافة ، الا اننا سنبدل قصارى وسعنا لكى نجعلك مسرورا ، ولكى نريح محظيتك . ان عرفانى بفضلك - اذا انت جئت - ليقصر عنه كل تغيير ! »

وهز الغريب رأسه ، ثم قال : « مادمت مصرا بهذه الدرجة ، فسأحدث محظيتي عن الأمر ، ثم نتأهب للرحيل » وابتهج « بان » ، فأسرع لفوره بكتابة رقعة الى الكيماوى ، يدعوه فيها الى وليمة يقيمها على البحيرة فى اليوم التالى . ورافق « بان » الغريب - فى اليوم التالى - الى قارب ، وهو يبدى له كل اكرام .. وهناك ، راح كل منهما يعرض علمه . وأخذا يتكلمان ويتكلمان ، وهما يتحسران على انهما لم يلتقيا قبل ذلك .. ثم افترقا وكل منهما قرير العين بالآخر . وكان « بان » قد ارسل للمحظية - فى البيت المجاور - طعاما وخمرا . وفى اليوم الذى أعقب التالى ، دعاه الكيماوى - بدوره - الى مأدبة فاقت مأدبته .. وغنى عن القول ان كل الصحاف كانت من الذهب والفضة . ولما كان « بان » قد بات لا يفكر فى شيء الا فى الكيمياء ، وفقد كل اهتمام بمشاهدة مناظر ( هانكاو ) فانه أسرع باستكمال كل اجراءاته ليسافر مع الكيماوى الى ( سونجتشيانج ) . واستأجرا سفينتين

كبيرتين ، نقلتا اليهما متاعهما ، وأقلعا معا . وكثيرا ما كانت السيدة الشابة - القابعة في مقصورة الكيماوى - تطل خلال الستائر ، بينما كان « بان » يختلس النظر اليها . وتبين انها كانت ذات جمال فتاك . ولكن . . وآسفاه !

« ظلت تفصل بينهما هوة لا معبر لها . .

« فلم يكن يملك ان يبوح بما ملأ قلبه ! »

وتحسر « بان » على انه لم يكن يستطيع ان يبعث اليها برسالة !

\*\*\*

• واختصارا للقصة ، نذكر ان السفينتين سرعان ما وصلتا الى ( شونجتشيانج ) ، حيث دعا « بان » الكيماوى الى البر ، ورافقه الى داره .

وقال وهو يقدم الشاى لضييفه : « هنا تقيم أسرتى . ولكن فى البيت أنفسا كثيرة ، ومن ثم فانى أحب أن أدعوك وأدعو السيدة الى دارى الريفية ، وهى جد قريبة . . وهناك ، بوسعى أنا الآخر أن أقيم فى حجرة المكتب ، فى الفناء الأمامى للدار . . ولن يعكر صفونا هناك أحد . فضلا عن ان الدار منعزلة ، بحيث أن أحدا لن يدرك متى تشعل فرنك وموقدك . فما رأيك ؟ »

فأجاب الكيماوى : « يجب ألا أتعرض لفضول الطفيليين ، وللضجيج ، أثناء ممارستى فنى . ولما كانت محظيتى هنا ، فإن هذا ادعى الى الإقامة فى عزلة . ومن ثم فإن من الأنسب أن نقيم بدارك الريفية ! »

وعلى هذا ، أمر « بان » النوتية بأن يقلوهم الى داره الريفية . وهناك ، سار مفتبطا مع الكيماوى ، الى الباب الذى نقش عليه : « جنة اللهو »

وقال الكيماوى بعد ان شهد الدار : « ان هذه البقعة





الهادئة ، الأنيقة ، هي أنسب مكان للكيمياء . كما أنه مكان ملائم لمحظيتي كذلك ، ولهذا أستطيع أن أنصرف إلى العمل وأنا مرتاح الخاطر . انك لرجل محدود »

وعندئذ أرسل «بان» عددا من الخادmates ليستدعين المحظية الشابة من المركب ، فأقبلت تخطر في الحديقة ، في أفخم ثياب ، وقد حفت بها خادمتها «سحابة الربيع» و«قمر الخريف» . . وهب «بان» واقفا ، عند ما اقتربت ، وهم بأن ينصرف من المكان ، لولا أن أمسك به الكيماوى قائلا : « اننا صديقان حميمان ، فدعنى اعرفها بك ! »

★ ★ ★

• وعندما تطلع «بان» إلى وجهها ، رأى أنها كانت أجمل من أى حسن دنيوى . والاغنياء من الرجال ، يتوقون جميعا إلى المال والחסان . . ولهذا أحس «بان» بأنه راح يذوب ، وكأنه رجل من جليد جاور نارا ، ونسى كل شيء - حتى الكيمياء - في تلك اللحظة !

وقال للكيماوى : «ان بالدار غرفا كثيرة ، وفي وسع السيدة

ان تختار منها ما يحلو لها . واذا لم يكن لديها الكفاية من الخادmates ، ففى وسعى أن أستقدم بضع فتيات لخدمتها » وبينما أخذ الكيمياوى ومحظيته يجوسان خلال البيت ، أسرع « بان » الى داره الأخرى ، فأحضر زوجا من مشابك الشمس الذهبية ، وفرطين ذهبيين ، فقدمها الى الكيمياوى قائلا : « هل لى أن أقدم هذه التوافه الى السيدة ؟ .. أرجو ان لا تسوءنك بساطة قيمة هذه الهدايا ! »

على ان الكيمياوى لم يكد يتبين انها من ذهب ، حتى رفضها قائلا : « انك تولينى شرفا فوق ما ينبغى .. ان بوسعى ان أصنع الذهب بسهولة ، أما أنت فان الذهب يكلفك كثيرا من المال ، ومن ثم فاننى لا أستطيع قبول هذه الهدايا » فقال « بان » وقد غشيه شيء من الخجل : « اننى ادرك ان مثل هذه التوافه لا تروق لك . ولكنى أرجو أن تقبلها كرمز لتقديرى الصادق لرفيقتك ! »

فأجاب الكيمياوى : « مادمت حفيا بنا الى هذا الحد ، فمن غير الملائم للود أن أرفض .. ومن ثم فسوف أقبلها . وأرجو أن أوفيك صنيعك اذا ما صنعت حجر الفلاسفة ! »

وغادر الحجرة مبتسما ، ليأمر الخادم بأن تحمل هذه الهدايا الى محظيته ، وأن تسألها أن تأتى لتشكر مضيفهما . بينما كان « بان » يفظ نفسه قائلا لها ان رؤية الغاية مرة أخرى ، كانت تفوق القطع الذهبية قيمة ! .. وراح يفكر فى سريره : « ان هذا الرجل لا يجيد الكيمياء فحسب ، وانما هو يقتنى هذه الحسناء الرائعة الجمال . فأى شيء يشتهي المرء من الحياة ، فوق هذا ؟ .. ولقد وافق - لحسن الحظ - على ان يصنع لى حجر الفلاسفة ، فيفقدو فى وسعى عما قريب ، أن أصنع الذهب بنفسى .. ترى هل أستطيع أن أتفاهم مع هذه الحسناء ، أثناء مكثها هنا ؟ .. ان النجاح فى هذا الأمر ايضا ، شيء بديع ! .. على اننى يجب ألا أفسد بالتعجل



كل شيء .. يحسن بي أن أنصرف الى الكيمياء أولا ! »  
 اذلك فانه تحول الى الكيمياوى قائلا : « متى يروق لك أن  
 نبدا ؟ »

— بوسعنا أن نبدا بمجرد أن توفر الفضة

— وما المقدار اللازم ؟

— قدر ما تستطيع أن تدبر ، فكلما كثرت الفضة ، زاد  
 ما نحصل عليه من حجر الفلاسفة .. واذا أنت حصلت من  
 هذا على كمية كافية ، فلن تحتاج الى تكرار العملية  
 — اذن فسأوفر ألفى « تايل » من الفضة ، لتوضع في  
 القدر .. وسأذهب اليوم الى دارى لاحضارها ، ثم أنتقل الى  
 هنا غدا لأقيم وأعمل معك !

وأقام في تلك الليلة وليمة للكيمياوى .. واستطاب كل منهما  
 صحبة الآخر .. وغنى عن القول انه أرسل حلوى وشرابا الى  
 المحظية في غرفتها الداخلية

وأحضر « بان » — في اليوم التالى — ألفى « تايل » من  
 الفضة ، وجميع الأجهزة اللازمة : من قوارير ، وانابيق ،  
 ومصاف ، وما الى ذلك . وكان — لطول عهده بالكيمياء —  
 على دراية بما كان لازما ، فسرعان ما دبر القصدير ، والزنك  
 المغم ، والعناصر الأخرى . فقال الكيمياوى : « اننى اقدر  
 العناء الذى تتكبده ، ولكنك ستجد طريقتى مخالفة للطرق  
 التى الفتها »

— هذا ما أرجوك أن تعلمنيه !

— أن حجر الفلاسفة الذى أصنعه حجر تاسوعى .. أى أن  
 الدورة تتم في تسعة ايام ، وبعد تسعة أمثالها تفتح القدر ،  
 فاذا الحجر قد اكتمل في جوفها . وفي ذلك اليوم ، تصبح  
 ذا ثروة طائلة !

فصاح « بان » : « ليس يوسعى أن أصف لك مدى شكرى  
 بفضلك »

وما لبث الكيماوى ان أمر خادمه الخاص بأن يشعل النار فى الموقد ، ووضع الفضة داخل القدر ، شيئاً فشيئاً . وما أن فعل ذلك حتى اطلع « بان » على الطريقة ، وصب بعض المواد الكيماوية على المعدن ، فانبعثت أبخرة متباينة الألوان . ثم أحكم اغلاق القدر بخاتم كيماوى . وأخيراً ، صرف الرجل خدمه ، وقال لهم : « لسوف أمكث هنا ثلاثة أشهر ، فعودوا الى بيت الأسرة ، وأنبئوا أمى ! »

ومن ثم فقد انصرفوا جميعاً ، عدا الخادم الموكل بالموقد



♦ أخذ الكيماوى يتفقد الفرن فى كل يوم ، ليتبين لون الذهب .. ولكنه لم يفتح القدر قط . وكان - فى وقت فراغه - ينصرف الى الثرثرة ، والشراب ، ولعب الشطرنج مع « بان » ، حتى اشتدت أواصر الصداقة بينهما . وكان « بان » لا يكف عن ارسال الهدايا الصغيرة الى المحظية ليكسب ودها ، فكانت ترسل له بعض أشياء بسيطة مع تحياتها . وانقضى أكثر من عشرين يوماً على هذه الشاكلة ، ثم اقبل رجل فى ملابس الحداد المصنوعة من القنب ، فاندفع الى الدار الريفية وهو يتصبب عرقاً . واذا به أحد الخدم الذين كان الكيماوى قد امرهم بالعودة الى بلده .. وركع الخادم أمام الكيماوى ، وصاح : « لقد توفيت السيدة الكبيرة ! .. فهلا عدت يا سيدى الى البلد ، لتشييع الجنازة ؟ »

وبدا على الكيماوى الدهول والوجوم ، ثم انبطح على الأرض ، وراح يبكى . فقال « بان » وهو شديد الاستياء : « لا حاجة بك الى ان تسرف فى الحزن ، ما دامت أمك قد بلغت أجلها المحتوم .. لا تقس على نفسك بالأسى يا صديقى ! »

وقال الخادم للكيماوى : « ليس فى البيت من يتولى شئونه ، فمن الخير ألا تضع وقتنا يا سيدى »



واذ ذاك جفف الكيماوى دموعه ، وتحول الى « بان » ، فقال له :  
 « لقد كنت اعتزم أن أصنع لك خيرا أعرب به عن عرفاني ،  
 ولكن هذه النكبة العظيمة انقضت على ، ولن أكف يوما عن  
 الحسرة من جراتها . . ان حجر الفلاسفة لم يستكمل تكوينه  
 بعد ، ولا يجب ان تقطع استرسال العملية . على اننى الآن فى  
 مأزق . . ومع ان محظيتى ليست سوى امرأة ، الا أن طول  
 معاشرتها اياى ، مكنتها من أن تعرف الحرارة اللازمة ، ومن ثم  
 ففى وسعها ان تمكث هنا ، وان تتولى مراقبة الفرن . ولكنى  
 لا احب أن أدعها وحيدة ، لأنها صغيرة وليس ثمة من يعنى  
 بأمرها ! »

فقال بان : « أية هواجس هذه ، ونحن على مثل هذه  
 الدرجة من الصداقة الوثيقة ؟ ! . . الا اترك السيدة هنا ، وانت  
 مرتاح الخاطر ، فلن يقترب من المعمل أى متطفل غريب ،  
 وبوسعى أن أرسل اليها بعض النسوة المحتشمات ليؤنسها .  
 او . . لها ان تنام مع زوجتى - اذا شئت - بينما أبقى انا  
 هنا ، وبهذه الطريقة ، نستطيع ان نراقب القدر الى ان تعود  
 إلينا . فأى اعتراض لك على هذا ؟ »

وتردد الكيماوى بضع لحظات ، ثم قال فى النهاية : « لقد  
 قلب نأ موت امى رأسى ، وانى لأعرف ان الرجال - فيما  
 مضى - كانوا يأتمنون أصدقاءهم على زوجاتهم وأولادهم .  
 وبما انك مفرط الكرم ، فانى أقبل أن أترك محظيتى هنا لكى  
 تراقب الفرن ، اثناء غيابى لتشجيع جنازة امى . ولسوف أعود  
 عما قريب لأفتح القدر ، وبهذه الطريقة أكون قد أدت واجبى  
 نحو الطرفين ! »

وما ان سمع « بان » ان المحظية ستبقى لمراقبة الفرن ،  
 حتى بات على استعداد لأن يفعل أى شئ ، لفرط فرحه .  
 وأجاب وهو متهلل : « اذا فعلت هذا ، فسراقب العملية الى  
 نهاية موفقة ! »

وغاب الكيماوى فى داخل الدار ، ليشرح الأمر لمحظيته ،  
ثم أحضرها كى تقابل « بان » . وراح يوصيها : « ان مهمتك  
تقتصر على مراقبة القدر ، ولكن .. حذار من فتحه ، مهما يكن  
الأمر . ان أية غلظة ستورث الأسى فيما بعد ! »  
فتساءل بان : « وماذا يكون الأمر ، اذا لم تستطع العودة  
حتى انصرام الأيام الواحد والثمانين ؟ »  
فاجاب الكيماوى : « ان بقاء الفضة فى القدر - لبضعة أيام  
أخرى - بعد تعريضها للحرارة لمدة كافية - لن يؤدى الا الى  
زيادة كمية حجر الفلاسفة . فلا بأس من ارجاء فتح القدر ! »  
وبعد ان تبادل مع محظيته بضع كلمات ، فى خلوة ، انطلق  
فى رحلته

\*\*\*

• ولما كان الكيماوى قد خلف محظيته وراءه ، فان « بان »  
لم يستشعر أية مخاوف من انه قد لا يعود لفترة طويلة ، أو  
ان حجر الفلاسفة قد لا يكتمل . بل أصبح الشاغل الوحيد  
لفكره ، هو أنه أوتى فرصة رائعة ليفغى الشابة ، فلا ينبغي  
أن يفلتها . وفيما كان مستغرقا ، يفكر فى الطريقة التى يسلكها  
لذلك ، أقبلت « سحابة الربيع » ، فقالت له : « ان سيدتى  
ترجوك أن تلقى نظرة على الفرن الذى فى العمل يا سيدى »  
ونهض « بان » من مكانه فى عجلة ، واسرع الى باب الشابة ،  
فنادى قائلا : « لقد أخبرتنى خادمك بأن لى أن أرافقك الى  
الفرن يا سيدتى »  
فأجابته بصوت عذب : « تفضل فتقدمنى اليه ، وسأبعثك ! »  
ثم محتجا : « انك ضيفتى ياسيدتى ، فكيف أتقدمك ؟ »  
فأجابته : « اننى لست سوى امرأة . فكيف أجرو على أن  
أستبيح لنفسى التقدم ؟ »  
وبفضل تبادل هذه المجاملات ، مكثا بضع دقائق وجها لوجه ،



وان لم يمس أحدهما الآخر . وأخيرا ، استطاع « بان » أن يقنعه بأن تتقدمه مع وصيفتيها فإذا برأى قدميها الدقيقتين - الشبيهتين بزنبقتين ذهبيتين - يلهب دمه ، وهو يسير خلفها . فلما بلغت المعمل ، التفتت الى وصيفتيها قائلة : « لا يباح دخول هذا المكان لغير المخول لهم مساعدة العملية . فانتظرا خارجا ! »

وأسرع « بان » خلفها الى داخل المعمل ، ليتفقد القدر . ولكنه لم يكن يرى - في الحقيقة - سوى الشابة الحسناء ، التي كان يشتكى أن يلتهما التهاما . . كان قد فقد كل اهتمام بالكيمياء ! . . على أن الفتى الذي كان يسهر على مراقبة النار ، كان هناك - لسوء الحظ - ومن ثم فإن « بان » لم يملك سوى أن يرمق الحسناء بنظرات الاعجاب ، دون أن يستطيع أن يوجه إليها أى غزل ، اللهم الا حين تأهبها لمفادرة المكان ، اذ استجمع جرأته ليقول : « أشكر لك مرافقتك اياى ياسيدتى . . لا بد أنك تستشعرين وطأة الوحدة في غرفتك ، لغياب زوجك ! » ولم تقل الشابة شيئا ، بل اكتفت بأن ابتسمت دون أن تنظر إليه ، وسارت غير حافلة به . وكان « بان » في تلك الأثناء يكتب بنيران الوجد . فقال لنفسه : « لو لم يكن ثمة شخص آخر ، لوفقت معها . ما أثقل وطأة هذا الفتى الذى يمكث في المعمل . لو اننى استطعت اقضاه في الغد ، قبل أن ادعوها لتفقد الفرن ، لاستطعت أن اتقرب اليها ! »

ومن ثم فقد دعا اليه أحد خدمه ، وقال له : « أعد غدا طعاما وخمرا للفتى الذى يرعى النار ، وقل له اننى اكرمه لأنه يجد في عمله . واحرص على أن تسكره بالخمير حتى يفقد حواسه ! » وراح « بان » يعاقر الخمر وحده - في ذلك المساء - وهو ملتاغ ، يفكر في الغانية الجميلة ، التى كانت في داخل الدار ، وفيما جرى خلال ذلك النهار . ثم راح يذرع المكان ، لا يكاد يستقر له حال ، وانطلق بنشد :

« زرعو اليوم زهرة رائعة الجمال ،

« في حديقة كوخى المتواضعة . .

« ولكنى ازمر عبثاً ، فى شرفتى الخاوية الجرداء . .

« لان الربيع يولى الادبار متعجلاً ! »

وسار الى البهو ، حيث ردد هذه الأغنية - عدة مرات - بصوت عال ، أملاً منه فى أن تسمعه الشابة . . وما لبثت أن أقبلت عليه « قمر الخريف » ، تحمل قدحا من الشاي المعطر .  
قائلة : « لقد سمعتك مولاتى وانت تلقى شعرا ياسيدى .  
فظنتك ظمأنا ، ومن ثم فهى تدعوك الى تناول هذا الشاي !  
وتهلل « بان » فرحاً ، ولم تكد الخادم تغادره ، حتى سمع غناء ينبعث من داخل الدار :

« الا يشفق أحد على الزهرة ،

« من وطأة ريح الربيع القاسية ؟

« لو انك أحببتها

« فأنها لن تشعر بشيء من القسوة ! »

اذ ذاك أدرك « بان » ان الحسناء كانت تميل اليه ، ولكنه لم يجسر على أن ينفذ الى حجرتها . وما ان سمع بابها يفلق ، حتى آوى الى فراشه ، ليبقى فيه مسهداً الى الفجر . فلما كان اليوم التالى ، دعا خادمه الفتى الموكل بنار الفرن الى الطعام . وكان الفتى قد سئم البقاء طيلة أيامه الى جوار النار ، ومن ثم فانه قبل الدعوة فى شوق ولهفة ، ولم تبرح الكأس يده ، حتى كان قد ثمل ، فسرعان ما راح فى سبات عميق !

\*\*\*

• ما ان عرف « بان » ان الفتى قد بعد عن العمل ، حتى سعى الى باب الغاية ، ليسألها ان ترافقه لتفقد القدر . وأقبلت - كما أقبلت فى اليوم السابق - فسارت امامه الى باب العمل ، حيث طلبت الى وصيفتيها أن تنتظراها خارجه . ولم يتبعها



الى الداخل سوى « بان » . واذا بلغا الفرن ، والفيسا الفتى غائبا ، تظاهرت الغانية بالدهشة ، وتساءلت : « كيف تسنى ان لا يكون هنا أحد ؟ .. لماذا تركت النار تخدم ؟ » فأجاب « بان » ضاحكا : « لأننى أتأجج لهيبا ، ومن ثم طلبت اليه أن يدع النار فترة ! »

قالت محتجة ، وهى تتظاهر بأنها لم تفهمه : « ما كان لك ان تدع الفرن يخبو » فقال : « لنسفره بلهيبنا ! »

واصطنعت مظهر الجد ، وسألته : « كيف يتسنى لامرىء يدرس الكيمياء ، ان يتكلم عن مثل هذه الأمور او يفكر فيها ؟ » فتجاسر « بان » وقال لها : « لقد شاركك زوجك فراشك هنا .. أو ليس هذا ذات الأمر ؟ »

ولم تحر المحظية جوابا للحظة . ثم تمتمت : « هذا صحيح ، ولكنه عمل مشروع .. أما أنت ، فانك تدعونى الى اثم ! » فقال بان : « لقد خلقنا للحب .. وهذا صواب ومشروع كذلك ! »

وأحاطها بذراعيه ، وهو يركع امامها . فهتفت وهى تساعده على النهوض : « ما الذى يقوله زوجى ؟ .. لست اجرؤ على ارتكاب خطيئة . ولكنك كنت حفيا بى الى الدرجة التى لا أقوى معها على صدك . لسوف أقابلك الليلة ؟ »

فهمت « بان » متوسلا : « ولم لا يكون ذلك الآن ؟ .. ان المساء لا يزال جد بعيد ! »

— ولكن أحدا قد يأتى فيفاجئنا . وهذا أمر لا يليق  
— لقد دبرت اقضاء الفتى بعيدا ، ولن يأتى أى مخلوق  
سواه . ان هذا العمل ناء ومنعزل ، فلا سبيل لأحد اليه !  
وفى هذه الأثناء ، كان « بان » قد فقد كل اهتمام بحجر الفلاسفة ، فاحتواها بين ذراعيه . وهتف : « لا يهمنى أن أفقد عمري فى سبيل بغيتى ! »

ولم يطل به ارتقاب رضاها ، فأحس بأنه قد انتقل الى  
نسيم . وما ان أفاق ، حتى هتف : « لقد كانت نشوتنا قصيرة  
الأمم .. فلا بد من ان تمنحيني ليلة كاملة ! »

وركع مرة أخرى أمامها ، فبادرت ترفعه من جديد ، وهي  
تقول له في عتاب : « لقد وعدتك بأن ألقاك الليلة ، ولكنك أبيت  
ان تصفى لى . كيف تتصرف مثل هذا التصرف بجوار الفرن ؟ »  
فأجاب بان : « ما كنت لأفعلت فرصة كهذه .. كان الأمر  
فوق طاقتى »

— أفأتبك الليلة فى حجرتك ، أو تأتينى أنت فى غرفتى ؟  
— كيفما تشائين !

— ان لدى وصيفتين تنامان معى ، ومن ثم فان حجرتى غير  
ملائمة . لسوف اتسلل اليك الليلة .. وفى غد ، سأحدث  
الوصيفتين عنك حتى تستطيع أن توافينى فى حجرتى !  
وتسللت فى تلك الليلة الى البهو — بعد أن نام الجميع —  
فألفت « بان » فى انتظارها ، ليأخذها الى غرفته . ومنذ ذلك  
الحين ، أوغلا فى امتاع نفسيهما — فى غرفته وغرفتها على  
السواء — دون أن يكبحا جماحيهما . وما قدر لبان أن يستمتع  
قط بمثل هذه المغامرة ، لذلك لم يحفل بعدم عودة الكيماوى ،  
ولا باكمال تكون حجر الفلاسفة .

★ ★ ★

• وكانا قد استمرءا لهوهما هذا لاكثر من عشر ليال ، حين  
اعلن حارس باب الدار — ذات يوم — عودة الكيماوى . واضطر  
« بان » الى الترحيب به ، وهو مأخوذ مستاء . وأسرع الرجل  
الى محظيته ، وبعد أن قضى معها وقتا فى الحديث ، عاد الى  
مضيفه قائلا : « ان محظيتى تقول أن خاتم القدر ظل سليما ،  
لم يفض ، وان العملية استوفت أمدها . وها قد عدت اليوم  
من سفرى ، فلنفتح القدر غدا ، بعد ان نقدم القرابين للآلهة ! »



ومع ان « بان » حرم من لهوه الليلي ، الا انه وجد شيئا من العزاء في عودة الكيماوى ، وفي انه لن يلبث ان يوافيه بحجر الفلاسفة . وبعد ان ابتاع ورقا سحريا ، وقدم القرابين - فى اليوم التالى - سار مع الكيماوى الى المعمل . ولكنهما لم يكادا يجتازان عتبه ، حتى تجهم وجه الرجل ، وتمتم لنفسه : « ما الذى خلق هذا الجو الغريب ! »

وفتح القدر وأطل فى جوفها ، ثم دق الارض بقدمه ، وهتف : « لقد ضاع كل شيء ! .. ضاع كل شيء ! .. لقد تبخر حجر الفلاسفة مع الهواء .. حتى الفضة التى اتخذت اساسا ، تحولت الى نفاية ! .. لقد أفسد شخص ما كل شيء ، بأقدامه على الرذيلة والفسق فى هذا المكان ! »

وشحب وجه « بان » ، ولم يجرؤ على أن يجيب بشيء ، فقد كان يدرك ان كلام الرجل صحيح . وكان الكيماوى يحرق الارم ، ويصر على اسنانه - فى تلك الأثناء - غيظا . وصاح فى الفتى : « من الذى جاء الى هنا ؟ »

- لا أحد سوى السيد « بان » والسيدة ، اللذين اعتادا أن يأتيا فى كل يوم . ولكن احدا غيرهما لم يجرؤ على المجيء ! فصاح الكيماوى : « اذن فكيف تلف حجر الفلاسفة ؟ .. استدع مولاتك الى هنا توا ، لتفسر لى هذا ! »

واسرع الفتى فأحضرها . وبادرها الكيماوى فى حنق : « ماذا كنت تفعلين هنا ، وانت تتفقدين الفرن ؟ .. كيف تسنى لحجر الفلاسفة ان يتلف ؟ »

فأجابت : « لقد اعتدت أن أجيء الى هنا ، مع السيد « بان » . مرة فى كل يوم . وما مس الخاتم السحري بشيء . ومن ثم فلست أدري كيف تسرب التلف ! »

فقال الكيماوى فى غلظة : « اننى لم اقل ان الخاتم قد مس . اذن فلا بد أنك التى عبثت به ! » . ثم التفت الى الفتى



فسأله : « هل بارحت مكانك لحظة ، بينما كان السيد بان ومولاتك هنا ؟ »

فأجاب الفتى : « مرة واحدة فقط .. ففي ذات يوم ، أكرمني السيد بان بطعام شهى ، جزاء لى على جدى ودأبى ، وقد أسرفت فى الشراب ، فاستولى على النعاس . هذه هى المرة الوحيدة التى انفردا فيها هنا ! »

واذ ذاك قال ساخرا متوعدا : « اذن فالامر كذلك ؟! »  
وهرع الى متاعه ، فانتزع منه سوطا ، وصاح فى هدير :  
« سألقنك درسا أيتها الفاجرة ! » .. فصاحت وهى تتقى  
الضربات : « لقد قلت انه لا يليق ! .. ان اللوم فى هذا يقع على  
السيد بان ! »

وسمر « بان » فى مكانه مأخوذا ، وقد ود لو انشقق  
الأرض فابتلعتة . وصاح الكيماوى فى غضب مهتاج : « ما الذى  
قلته لى عندما عهدت بها اليك ؟ .. ومع ذلك فما أنتذا - فى  
الأيام القلائل التى غبتها - تفعل الاثم ! .. انك أشرم  
الوحش ! .. كيف يامل شرير مثلك أن يظفر بحجر الفلاسفة !  
.. لقد كنت أعمى أكثر مما ينبغي . لا بأسى ، فمن الخير أن



أضرب تلك الفاجرة حتى تموت ، فلا خير في استبقاء زانية  
تجردت من الحياء ، مثلها ! »

وهجم ليضرب محظيته ، ففرت مذعورة الى غرفتها ، بينما  
حاولت وصيفتها ان تضرعا اليه كي يعفو عنها ، فاذا السوط  
يلفح وجه كل منهما ، فيسبب لهما أقطع الآلام ! .. واذا رأى  
« بان » مدى هياج الكيماوى ، لم يجد بدا من ان يركع أمامه ،  
قائلا : « لقد تصرفت تصرفا لا أستحق عنه عفوا ، وانى لعلنى  
استعداد لأن أغض البصر عن الخسارة التى حاقت بى ، اذا أنت  
صفحت عنى »

فعاجله الكيماوى مجيبا : « انت الملوم على ما أصابك من  
خسارة . ان اثمك هو الذى جعل حجر الفلاسفة يستحيل  
الى دخان . ولكن ، ما الذى يحملنى على ان أدع لك أحب  
محظياتى الى ، ايها الكلب المهين ؟ .. كيف تستطيع ان  
تعوضنى عما فعلته بها ؟ ان نفسى تحذتنى بأن أقتلها ، وان  
أجعلك تدفع حياتك ثمنا ! »

فعاد « بان » بلح فى ضراعة : « دعنى أكفر عن خطيئتى ! »  
وبادر فأمر خادما بأن يحضر سبكتين من فضة ، قيمة كل  
منهما مائة « تايل » ، فقدمهما « بان » للكيماوى وهو جاث  
بناشده الصفح . بيد ان الرجل لم يعن حتى بالقاء نظرة  
عليهما ، او عليه . بل قال فى ازدراء : « اننى أصنع الفضة  
دون عناء ، فما حاجتى الى فضتك ؟ »

وركع « بان » ثانية ، وعرض عليه مائتى « تايل » اخرى ،  
قائلا : « انك بهذا تستطيع ان تتنازع محظية اخرى . لقد  
كانت خطيئة منى .. كان الذنب ذنبى ، فاغفر لها من أجل  
ماضيها معك ! »

فقال الكيماوى مزمجرا : « لست راغبا فى فضتك ، ولكن  
الوعد الذى على شاكلتك لا يتورع عن ارتكاب الذنب ثانية ،

إذا لم يخسر نقوداً جزاء زلته .. لسوف آخذ هذه الفضة  
لأنفقها في أوجه البر »

وصر « التايلات » الثلاثمائة في كيسه ، ثم استدعى محظيته  
وخدمه ، وأمرهم بنقل متاعه الى القارب الذى كان قد أقبل  
فيه ، فى اليوم السابق .. وقال وهو محقق ، عند انصرافه :  
« أبدا لم ألتق فى حياتى مثل هذه الالهانة .. ايها العبد الوقح ! »  
وظل يسب ، طيلة الطريق الى القارب ، الذى أقلع بمجرد  
أن استقروا فيه

\*\*\*

• وكان « بان » - فى تلك الاثناء - فى خوف من أن يقتل  
الكيميائى محظيته ، حتى انه شعر بارتياح لما آل اليه الأمر ،  
بالرغم مما فقد من مال . وكان يوقن حقا بأن تحول الفضة ،  
التي كانت فى القدر ، الى دخان ، انما كان نتيجة ذنبه هو .  
ومن ثم فقد راح يقول لنفسه : « لقد كنت عجولا .. ولو اننى  
تريثت حتى تم تكون حجر الفلاسفة ، ثم تحايلت على استبقاء  
الغانية أمدا .. او لو اننا مارسنا متعتنا بعيدا عن المعمل ،  
لسارت الأمور كما كان ينبغى لها ان تسير .. ان تعجلى هو  
الذى ألقى دنى فضتى . ما أتعبس ان يلتقى المرء بكيميائى  
صادق ، ثم يخفق فى الحصول على حجر الفلاسفة ! .. ومع  
ذلك ، فقد كانت مفامرة رائعة ! »

ولم يخطر بباله قط انه انساق لخدعة بارعة ! .. وذلك  
لأن الكيميائى لم يكن سوى محتال ، بلغه ما كان من أمر « بان »  
مع الكيمياءيين . فلما علم بأنه قادم الى ( هانكاو ) ، عقد  
عزمه على أن يزعم انه كيميائى ، ليسعى الى التفرير به ،  
وحرص على أن يطيل من أمد الحيلة ، ريثما يزرع الثقة فى  
نفس « بان » ، حتى اذا أقبل الخادم الذى أعلن اليه موت  
أمه ، حمل معه الفضة ، التي كان قد أوهم « بان » بأنها فى



القدر ، والتي كانت قيمتها ألفى « تايل » . . وترك محظيته في رعاية « بان » ، ليهديء من وسأوسه . وما كان اغواء الغانية الا خطة مدبرة كذلك ، لكى يلقي اللوم كله على عاتق « بان » ، حتى يشعر بأنه مذنب ، فلا يطالب بتعويض عن ثروته التى تبخرت فى القدر ! . . وتردى التعس فى الشرك ، وهو موقن بأن الغريب الفنى كان يمتلك حجر الفلاسفة . وما درى أن ما ظنه ذهباً وفضة - من أوعية وأواني ذلك الغريب - لم يكن سوى نحاس وقصدير ، ولكنها طليت ببراعة . . وما كان لامرئ يعاقر الخمر ، على ضوء المصباح ، أن يفكر فى فحص معدن الكأس !

وهكذا استدرج الى الشرك فى مهارة !

على ان ( بان ) أبى ان يفقد الامل ، حتى بعد أن فقد ماله . . فراح يلوم نفسه على أن ضيع فرصة ذهبية كهذه ، وازداد انغماساً فى الايمان بالكيفياء ! . . وقدر له أن يلتقى - ذات يوم - بكيمياوى تحدث اليه فى فن النساك ، فاطمأنت نفسه الى هذا الغريب ، اذ لمس فيه طيبة ، ودعاه الى داره

وقال « بان » للرجل : « لقد التقيت يوماً برجل كان قديراً على ان يحول المعادن الخسيسة الى ذهب حقا ، وقد أرانى كيف كان يفعل ذلك ، وشرع فعلاً فى تكوين حجر الفلاسفة لى . ولكننى - لسوء الطالع - أسأت اليه ، ومن ثم فقد خلفنى دون أن يتم عمله ! »

فقال الغريب : « بوسعى انا الآخر أن أفعل ذلك »

وشرع يمارس العملية ذاتها ، ثم ذر حفنة من مسحوق على القصدير ، فاستحال فضة . واذا ذاك هتف بان : « مرحى ! . . لقد أخفقت فى المرة السالفة ، ولكننى عاقد العزم على أن أفوز فى هذه المرة ! »

وجمع الف « تايل » اخرى من الفضة ، لهذا الكيمياوى الذى استدعى رجلين أو ثلاثة - من أتباعه - لمعاونته . وكان

(( بان )) قد اطمأن اليه - بقباء - بعد أن رآه قد صنع الفضة بسهولة ، فلم يحرض على مراقبته ، ومن ثم أتيح للغريب أن يفر ذات يوم ، حاملا معه كل ما كان في القدر ، ولم يعرف له - في اليوم التالي - أثرا !

وكانت هاتان الخديعتان كافيتين لأن توردا « بان » موارد الإفلاس ، وان تورثاه الخزى والسخط . فراح يندب حظه قائلا : « بالضيعة ما أنفقت في هذه السبيل من وقت وجهه ! .. لقد كنت الملموم فيما جرى ، في المرة السابقة ولكنني ظننت - في هذه المرة - أن الأمور تجرى في يسر ، فاذا بى مفتر مخدوع ! .. فلاسع بحثا عن هذين المحتالين ، فلا بد انهما يمارسان عين الحيل في مكان ما .. او لعلى ملاق كيمياويا صادقا يبصرنى بطريقة صنع حجر الفلاسفة ! »

ومن ثم فقد حزم بعض الثياب ، وانطلق يجوس خلال البلاد !



♦ وفي ذات يوم ، التقى بالعصابة ، في حشد من الناس ، بجوار البوابة الغربية لمدينة ( سوتشاو ) ، فلما هم بأن يفضح أمرهم ، أقبلوا عليه يحيونه في بشر ومودة ، وكأنه صديق حميم ، ثم دعوه الى مائدة نظيفة في حانة كبيرة ، وأمروا بطعام وخمر . وبادروه بالاعتذار عما أسلفوا ، قائلين : « لقد استغللنا كرمك وطيبتك - في المرة السالفة - ولكن هذا ديدنا ، فلا تحق ولا تحمل ضفينه . وبودنا الآن أن نتباحث في الطريقة التى نوفيك بها حقك ، ونصلح ما أفسدنا ! »

فتساءل : « ترى ما الذى تضمرون ؟ »

- لقد أنفقنا فضنك ، بمجرد أن استولينا عليها ، ولهذا فلن يكون بوسعنا أن نردها اليك ، على أن ثمة رجلا غنيا في



( شانتونج ) ، سألنا - هو الآخر - أن نصنع له حجر الفلاسفة ، وقد انفعنا معه ، وسيسلمنا الفضة بمجرد وصول معلمنا ، غير أن المعلم غائب في سفر طويل ، لا ينتظر أن يؤوب منه إلا بعد مدة من الزمن . فإذا شئت أن تحل محله ، فستدفع اليك حقا ، بمجرد أن يسلمنا الفنى فضته . والأمر - كما ترى - سهل بسيط . أما إذا رفضت ، فلن يكون بوسعنا أن ندفع لك أى مبلغ ، مهما يكن ضئيلا . . فما قولك في هذا ؟  
- وما شكل معلمكم هذا ؟

- انه ناسك ، ومن ثم فلا بد لك من أن تقص بعض شعرك . . وسنسافر في معينك كتلاميذ لك ، الى ( شانتونج ) .  
ووافق « بان » - في تلهفه على استرداد فضته - على أن يقص شعره . ثم أخذ الرجال يظهرون له كل احترام وتبجيل ، ورافقوه الى ( شانتونج ) ، حيث قدموه الى الرجل الفنى ، على أنه معلمهم . فاستقبله الرجل فى اجلال ، ودعاه الى الجلوس فى القاعة ، ليتدارسا الكيمياء . ولما كان « بان » واسع الاحاطة بهذا الموضوع ، كما كان متعلما فانه راح يتحدث فى دراية وافاضة ، حتى تأثر مضيفه بحديثه وشخصيته . وفى الليلة ذاتها ، قدم الفنى الفى « تايل » من الفضة ، واستقر الأمر على أن يبدأ العمل فى اليوم التالى .

ودعا صاحب الدار ضيفه - بعد ذلك - الى الشراب ، حتى اذ ثمل ، أمر بان يحمل الى مرقد فى غرفة داخلية . فلما اقبل الفجر ، أخذ المحتالون يتباحثون فى طريقة اشعال النار فى الفرن . ولما كان « بان » على بعض المأثم باجراءاتها ، فانه لم يلبث أن أدلى بدلوه فى البحث ، وأخذ يوجههم . ثم وضعت الفضة فى القدر لتنصهر ، وأخذ الرجال - الذين كانوا يزعمون انهم تلاميذ « بان » - فى مراقبة النار ، بينما انتحى صاحب الدار بيان جانبا ، وراح يجاذبه أطراف الحديث ، ويقدم له الشراب ، حتى لا يدع له طريقا للانصراف . واذا بالاوغاد

ينتهبون هذه الفرصة ليسرقوا الفضة ويهربوا بها ، تاركين « استاذهم » وحده ! .. ولم تداخل رب الدار الفنى أية هواجس ، لأن « الناسك » - اى « بان » - كان باقيا معه . ولكنه عندما فطن - فى اليوم التالى - الى غياب العصمة بأسرها ، أمسك بـ « بان » ، وراح يهدده بأن يسوقه الى الحاكم ، ليشي بالآخرين :

وبكى « بان » قائلا فى احتجاج : « اننى من ابنـاء ( سونجشيانج ) ، ولا انتمى الى عصابتهم . ولكننى مشغوف بالكيمياء ، وقد استطاعوا ان يخدعونى من أمد غير طويل فسلبونى بعض المال . ثم قدر لى ان التقى بهم فى الطريق ، فوعدونى بأن يردوا الى مالى ، بعد أن يصنعوا لك حجر الفلاسفة . على أن اقص شعرى واتظاهر بأنى « استاذهم » ومعلمهم . ومن ثم جئت الى هنا ، على أمل أن أسترد نقودى . دون ان يخالجنى آفته ظن فى أنهم قد يغفرون بى ثانية ، وان يخدعوك ويوقعونى فى المأزق »

وراح يجهد بالبكاء طويلا فأقبل الفنى يسأله فى عناية . وما ان تبين أن « بان » كان من ثراة ( سونجشيانج ) فعلا ، حتى تذكر أنه كان على اتصال بأسرته فى زمن مضى ، فصدق انه مخدوع مثله ، وقرر ان يخلى سبيله دون أن يسوقه الى الحاكم . واضطر « بان » - الذى لم يكن يملك نفقات السفر والذى كان فى زى الناسك - الى ان يتخذ طريقه الى بلده مستجديا قوته ، متظاهرا انه من الرهبان الجوالين



♦ واذبلغ فى سيره (لينجشيانج) ، لمح حسناء تسترق النظر خلال فرجات الستائر المسدلة على إحدى نوافذ سفينة كبيرة . وبدأ له وجهها مأوفا ، فأنعم النظر فيه ، وإذا به يتبين أنها شديدة الشبه بمحظية الكيمياوى ، التى عشقها يوما . فساعل





نفسه : « أفمن المعقول أن تكون هي ؟ »

واقترب من السفينة ، وراح يستعلم عن الحسنة ، فعلم انها غانية ذائعة الصيت ، ترافق شابا متعلما من ( هونان ) ، في طريقه الى العاصمة ليؤدي امتحانا كي يلتحق بخدمة الحكومة . وعاد « بان » يفكر في سريره : « أيجوز أن الكيماوى قد باعها للشباب ؟ .. من المحتمل أن لا يعدو الامر مجرد الشبه ! »

وراح يتسكع قريبا مع السفينة ، وهو يراقب المرأة ، حتى أبصر بخادم تخرج من قمرتها ، فتقرب منه وتسأله : « ان مولانا تسأل عما كنت من سونجشيانج ! » فأجابها : « أجل »

— وهل تدعى « بان » ؟

— حقا .. فكيف عرفت اسمى ؟

وما ان عادت لسيدتها بالنبا ، حتى أمرتها قائلة : « سليه أن يصعد الى هنا ! » .. فصعد « بان » الى السفينة ، وسار الى القمرة . واذ ذاك ، قالت له المرأة من وراء ستار : « اننى المرأة التى كان الكيماوى يزعم انها محظيته . والواقع اننى غانية من حى الهوى فى ( هونان ) ، ولكنه سألنى أن ألعب ذاك الدور ، وأن أنفذ تعليماته ، وأعاونه على خداعك . ويخيل

الى اننى ارتكبت بهذا شرا . والا ، فكيف انحدرت بك الحال الى هذا الدرك ؟ »

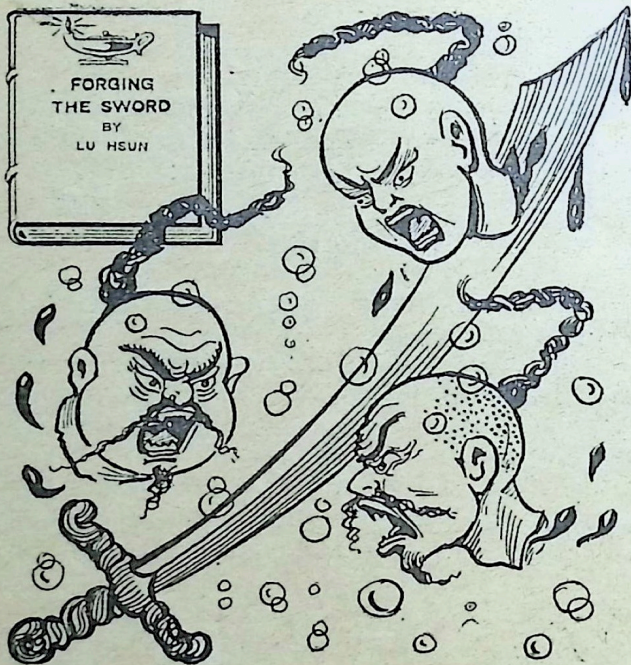
وروى لها « بان » - وهو محزون - كيف انه وقع فريسة للخداع ، مرة ثانية ، وكيف انه يستجدى قوته ، ساعيا الى بلده . فقالت المرأة : « لايسعنى سوى أن آسف لحالك ، وسأعطيك مبلغا يكفى لنفقات الطريق ، فيحسن بك ان تسعى الى بلدك لفورك . واذا قابلت فى طريقك بعض الكيمياويين ، فلا تدعهم يغررون بك ، فقد بت أعرف حيلهم ومكرهم ، بعد أن شاركتهم اياها . ولو انك تقبلت نصيحتى ، لأشعرتنى بأننى قد وفيتك بعض الجزاء ، عما أذقتنيه من ليالى الهوى ! »

وامرت خادمها بأن تعطيه كيسا به ثلاث أوقيات من الفضة ، فتقبل « بان » العطية شاكرا . ومع انه علم انها لم تكن سوى مومس ، الا انه عرف لها صنيعها اذ ساعدته على العودة الى بلده ، فتقبل نصحتها ، ولم يعد يركن الى الكيمياويين قط !

بيد انه خرج من التجربة وقد قص شعره ، وجلل بالخزي ، وبات أضحوكة كل أصدقائه الذين سمعوا بمغامراته الخائبة .

**فليكن هذا درسا لكل من يفتر بالكيمياء !**





# السيف الحبيب!

قصة "كلاسيكية" للدكتور الصيني الأكبر "لو شون"

لا يزال الأدب الشعبي الصيني القديم ، مصدر الهام  
لأدباء العصر الحديث . وهذه القصة أسطورة عريقة ،  
تناولها « لو شون » - أب الأدب القصصي الحديث في  
الصين - بقلمه المبدع

## (١)

♦ لم يكد « مبي - تشين - تشيه » يرقد الى جوار أمه  
حتى أثارت أعصابه الجرذان التي خرجت من بحورها  
وراحت تقرض الغطاء الخشبي المستقر فوق وعاء الماء .  
وأصدر بعض أصوات كان لها أثر في ارهاب الفئران ، في بداية  
الأمر ، ولكنها لم تلبث أن أثرت تجاهلها ، وراحت تقرض  
وتمضغ ماشاء لها مزاجها .. في حين أنه لم يكن يجرؤ على  
أن يحدث ضجة لطردھا ، خشية أن يوقظ أمه التي كانت  
قد أنهكت نفسها بالعمل خلال نهار ذلك اليوم ، حتى انها  
سرعان ما راحت في سبات عميق ، بمجرد أن أسلمت رأسها  
الى الوسادة !

وهذات الأصوات بعد وقت طويل .. وكاد « مبي -  
تشين - تشيه » أن ينام ، عندما انبعث فجأة صوت سقوط  
جسم في ماء ، فعاد يفتح عينيه ، بينما تنأى الى اذنيه صوت  
احتكاك مخالب بجدار من الفخار

وهتف لنفسه ! « وى ! .. ليتخطفك الشيطان ! » . ثم  
استوى جالسا ، وهو جذلان طروب . وتسلسل مغادرا السرير ،  
ثم تلمس طريقه - على ضوء القمر الواهن - الى ما وراء الباب ،  
حيث عثر على القداحة ، فاستعان بها في اشعال عود من الخشب ،  
وأرسل الضوء على وعاء الماء .. وظهر بجلاء قاطع ان فأرا كبيرا  
كان قد سقط فيه ! .. ولما لم يكن ثمة ماء كثير ، فإن الفأر لم  
يستطع أن يرقى الى حافة الوعاء ، بل راح يدور بداخله ،



محاولا أن ينشرب مخالبه في جداره .. وهتف الفتى : « ائه لجزء وفاق تستحقه ! » . وشهر بسرور ضاف عندما تذكر ان ذلك المخوقات التي اعتادت أن تقرض الأثاث - في كل ليلة - كانت تقض مضجعه بجلبتها .

وثبت المشتعل في ثقب بالجدار الطيني ، ليستمتع بالمنظر . ولكنه سرعان ما شعر بالتقرز لمرأى عيني الفئار الشبهتين بـ « الخرزتين » .. وبحث عن قصبة من الغاب المجفف ، فدفع بها الحيوان الى ما تحت سطح الماء . ثم رفع القصبة بعد زمن ، فاذا الفأر يطفو ويدور ، وهو يخمش جدران الوعاء ، من جديد .. على ان خمشه هذا أصبح أضعف من ذى قبل ، كما ان عينيه كانتا تحت سطح الماء .. لم يكن يرى من وجهه سوى ذؤابة انفه المدبب الصغير .. وكانت حمراء ، تتشمس وتشم في يأس !

وكانت قد راودته - في الآونة الأخيرة - كراهية بالغة لدوى الانوف الحمراء . ومع ذلك فقد بدا له منظر هذا الأنف - المدبب الصغير الأحمر - مثيرا للاشفاق ، ومن ثم فانه تناول القصبة من جديد ، ودفعها تحت بطن الفأر . فتشبث هذا بها ، وبعد أن استرد أنفاسه ، اخذ يتسلقها . وعندما أصبح جسده ظاهرا بأكمله - بفرائه الأسود المخضل ، وبطنه المنتفخة ، وذيله الشبيه بالدودة - بدا المنظر للفتى مثيرا للتقرز والغشيان فبادر الى هز القصبة ، وكان ان هوى الفأر ثانية ، مرتطما بسطح الماء . وراح الفتى يضربه مرارا على رأسه بالقصبة ، لكي يفرقه .

وبعد أن بدل العود المشتعل ست مرات ، لم يعد الفأريقوى على الحراك ، واخذ يطفو في وسط الجرة ، ورأسه تحت الماء .. وكان يشد عضلاته قليلا - من وقت الى آخر - محاولا أن يرتفع فوق سطح الماء . ومرة أخرى استولى الاشفاق على « مبي - تشيين - تشيه » ، فكسر القصبة الى فرعين ، وتصيد بهما

الفار المسكين ، وانتشله فألقاه على الأرض . ولم يجر الحيوان حراكا - بادىء ذي بدء - ثم شهق .. وبعد فترة طويلة ، اختلجت أقدامه الأربع ، وانقلب كما لو كان يسعى للوقوف على قوائمه والاعتدال .. وبدل هذا اشفاق « مبي - تشيين - تشيه » الى اشمزاز ، فرفع قدمه اليسرى ، وهوى بها غنيفا .. وانبعث صوت انسحاق . فلما انثنى لينظر الى الفار ، اذا بدم قد انبثق من جانبيه فمه .. وكان من المحتمل انه قد مات !



وشعر بأسى من أجله - مرة أخرى - فداخله شقاء ، كما لو انه كان قد ارتكب جرما . وألقى الى جوار الفار ، دون ان يقوى على النهوض .

\*\*\*

♦ ولكن امه استيقظت في هذه المرة . وتساءلت وهى بعد في فراشها : « ماذا تفعل يابنى ؟ »  
فنهض متعجلا ، واستوى على قدميه ، واستدار ايجيب بايجاز : « فار ... »  
- فار؟! .. أجل ، اننى لأدرك ذلك ؛ ولكن ماذا تفعل ؟ ..



اتقتله ، أم أنك تنقذه ؟

ولم يحر جوابا . وحرقت النار عود المشعل عن آخره . وظل الفتى واقفا ساكنا - في الظلام - ريثما تعودت عيناه ضوء القمر الشاحب . فتنهدت أمه ، وقالت :

- ستصبح في السادسة عشرة من عمرك ، بعد منتصف الليل ، ومع ذلك فانت لا تزال لين القلب . أنك لا تتبدل قط ، حتى يبدو لى أن أباك لن يحظى بمن يثار له !

وبدا له أن أمه - في جلستها ، في ضوء القمر الواهن - كانت ترتجف بكل جسمها ، وان في لهجتها وصوتها الخفيض اسى لاقرار له ، فسرت في جسده قشعريرة ، ثم شعر - في اللحظة التالية - بالدم الحار يتدفق في عروقه . وتساءل في عجب ، وهو يتقدم نحوها : « الثأر لأبى ؟ .. وهل هو بحاجة الى ثأر ؟ »

- أجل ، ولا بد من أن تثار له أنت . لقد وددت أن أنبئك منذ أمد طويل ، ولكنك كنت جد صغير ، فلم أبح لك بشيء . أنك لم تعد بعد طفلا ، ومع ذلك فانت لا تزال تتصرف تصرف الأطفال ، ولست أدري - في الواقع - ماذا ينبغي أن أفعل .. كيف يتسنى لطفل مثلك أن يؤدي مهمة كهذه خليقة بالرجال ؟ - أننى استطيع أن أوذيها . أنبئنى يا أماه .. لسوف أبدل من حالى ...

- لامراء في أن بوسعى أن أنبئك ، وأن عليك أن تبدل حالك .. لا بأس ، اقترب منى !  
فساز إليها .. وكانت تجلس جامدة في السرير ، وقد راحت عينها تومضان في العتمة التى لم يكن يشقها سوى ضوء القمر الشاحب

وقالت في لهجة المقدم على حديث خبير : « انصت .. ! كان أبوك ذائع الصيت ، لما كان يصنعه من سيوف .. كان خير حداد في البلاد ! .. ولقد اضطرت الى بيع عدده وأدواته ، حتى ادرا

عنك وعن قسوة الجوع ، لذلك لم يتبق منها شيء تراه . على أنه كان أحسن صانع للسيفوف في الدنيا بأسرها ! .. وحدث منذ عشرين سنة ، أن واثى المخاض محطية الملك ، فولدت قضيبا من حديد . وكان حديدا نقيًا ، شفافا ! .. وأدرك الملك أن هذا كنز نادر ، فعقد العزم على أن يصنع منه سيفًا يزود به عن مملكته ، ويقتل به اعداءه ، ويحمي به نفسه ! .. وشاء نحس الطالع أن يختار أبوك للقيام بهذه المهمة ، فأحضر قطعة الحديد الى البيت . وراح يطرقها ويعالجها ليل نهار . ثلاث سنوات ، حتى استطاع أن يصوغ منها سيفين !

» وفي ذات يوم ، فتح فرنه للمرة الأخيرة ، فاذا بشيء مروع يحدث ! .. فقد اندفع من الفرن عمود من البخار الأبيض . انطلق في الهواء ، فاذا الارض تتزلزل . وتحول البخار الأبيض الى سحابة بيضاء صغيرة ، انتشرت فوق هذه البقعة ، ثم أستحال أونها تدريجا الى أحمر عميق الحمرة ، القى وهجا على كل شيء . وفي فرننا الأسود ، استلقى سيفان أحمران لفرط سخونتهما . واذا نشر أبوك عليهما ماء صافيا من البئر . انبعث منهما أزيز ، وظهرت على سطحيهما فقائيع ، ثم تحول لونهما تدريجا الى الزرقة ! .. وبعد ان تكررت هذه العملية سبعة أيام وسبع ليال ، اختفى السيفان ، وما كان بوسعك مالم تنعم النظر جيدا - أن ترى انهما كانا في الفرن ، ولكنهما أصبحا نقيين ، شفافين ، كعمودين من الثلج !

» وانبعث من عيني أبوك بريق نم عن سعادة ضافية وتناول السيفين فراح يطرقهما مرارا وتكرارا . وانجابت عجبينه تفضنات الأسى ، واختفت التجعدات من جانبي فمه ثم وضع السيفين في قرايين . وقال في صوت خافت : (يكفى أن تستعرضي الأحداث التي مرت في الأيام القلائل الأخيرة لتدركي أن كل امرئ جدير بأن يعرف ان السيفين قد صيفا ولا بد لي من أن أقدم أحدهما الى الملك غدا . ولكن اليوم الذي



أقدمه فيه ، سيكون آخر أيام عمرى . وأخشى انه لن يقدر  
لنا أن نلتقى ثانية !»

« ولم أستبن معنى كلامه ، لفرط جزعى . ولا دريت ما  
كان ينبغي لى أن أقول .. كل ما وفقت اليه ، هو أن تمتمت  
قائلة : « لقد أتقنت هذا العمل كل الاتقان ! » -

« فهتف أبوك : « آه ! .. انك لاتفقهين شيئا ! .. لقد  
عاش الملك دائما في شك وقسوة . ولقد صنعت له الآن سييفا  
ان تقع عين على مثيل له . ومن ثم فهو خليق بأن يقتلنى ،  
حتى لاوفق قط الى صوغ سيف آخر لآى مخلوق قد يظهر  
وينافسه أو يتغلب عليه !»

وذرفت الدمع مدرارا ، فقال : « ليس لك أن تشقى ،  
فما من مفر هناك ، ولن تمحو الدموع القدر المكتوب لقد  
ظلمت أتوقع هذا أمدا طويلا » .. وكأنما كانت عيناه تطلقان  
شررا لامعا ، وهو يضع قرابا على ركبتي - وبه أحد السيفين  
- قائلا : « هاك واحدا من السيفين التوأمين ، لتحفظى به .  
لسوف آخذ قرينه غدا لأقدمه الى الملك . فاذا لم أعد ، جاز  
لك أن توقنى من أننى قد لاقيت حتفى ! .. او لن يواتيك المخاض  
بعد أربعة أشهر أو خمسة ؟ .. اذن ، فلا تسسلمى للبؤس ،  
بل أعنى بجنيننا حتى تضعيه فى خير حال . وبمجرد أن يكبر ،  
اعطيه هذا السيف واطلبى اليه ان يقطع به رأس الملك ،  
ليثار لى ! »

\*\*\*

• وهنا تساءل الفتى فى عجلة : « هل عاد أبى فى ذلك  
اليوم ؟ »

فأجابت أمه وهى رابضة الجاش : « لم يعد ! ..  
ولقد سألت عنه فى كل مكان ، ولكنى لم أعثر على نأ عنه .  
على أن شخصا ما أخبرنى - فيما بعد - بأن دم أبيك بالذات  
كان أول دم خضب السيف الذى صاغته يده ! .. ولقد

دفنوا جسمه عند الأبواب الخارجية لقصر الملك ، ودفنوا راسه في الحديقة الخلفية ، حتى لا يرتاد شبحه القصر ! »  
وكانما تأججت نار ضارية في جسد « مبي - تشيين - تشيه » بأسره ، حتى لقد خيل للفتى ان الشرر كان ينبعث من كل شعرة في رأسه . وأخذ يضم قبضتيه بعنف في الظلام ، حتى كادت مفاصلهما أن تتمزق !

ووقفت أمه فرفعت اللوح الخشبي القائم عند رأس السرير ، ثم أوقدت مشعلا ، وتناولت معولا - من وراء الباب - فأسلمته الى ابنها ، وقالت له : « احفر ! » .. وراح قلب الفتى يدق في عنف ، ولكنه تمالك جأشه وأخذ يهوى بالمعول .. دقة اثر دقة . وظل يرفع التراب الأسمر ، حتى تعمق الى اكثر من خمس أقدام ، وإذا بلون التربة يتبدل ، كما لو كان ثمة خشب بال قد دفن فيها !

وهتفت أمه : « حذار ! .. تمهل هنا والزم الحذر ! »  
وجثا « مبي - تشيين - تشيه » الى جوار الثغرة التي أحدثها ، ومد يده الى جوفها . وفي انتباه وحرص بالغين ، راح يرفع الخشب ، حتى مست أطراف أصابعه جسما في برودة الثلج .. وتبدى لعينيه السيف النقي الشفاف . واستطاع أن يتبين مقبضه فأمسك به ، ورفع السيف الى خارج مخبأه .

وفي تلك اللحظة ، بدا كأنما فقد القدر والنجوم - في الخارج - والمشعل المنقد - في الداخل - ضياءها ، وكأنما شعاع في الدنيا نور فولاذي ! .. وفي هذا النور الفولاذي ، ذاب السيف ، فكأنه اختفى عن العيان . ولكن الفتى أنعم النظر ، قرأى جسما يتجاوز طوله خمس أقدام ، لا يبدو مرهف النصل .. بل لقد كان نصله ملتف الحد ، في الواقع .

وقالت أمه : « الآن وجب عليك أن تكف عن ليونتك وضعفك ، وإن تأخذ هذا السيف فتشأر لأبيك ! »



— لقد كفت فعلا عن أن أكون لينا ضعيف القلب . ولسوف  
أخذ هذا السيف فأثار لأبى !

— هذا ما أرجوه . ويحسن بك أن ترتدى معطفا أزرق ،  
وأن تشد السيف الى ظهرك . فان انسجام لونى السيف  
والمعطف ، لن يمكن احدا من أن يراه . ولقد أعددت لك المعطف  
هنا !

واشارت الأم الى صندوق عتيق وراء السرير ، وقالت :  
« ولك أن ترحل منذ القد . . ولا تحمل هما من أجلى ! »  
وأخذ « ميبى — تشيين — تشيه » المعطف ، فلما ارتداه  
وجده ملائما له تمام الملاءمة . وعاد فخلعه . ثم لف السيف  
ووضعه تحت وسادته ، ورقد بسلام . وأيقن أنه قد كف عن  
ليونته ورقة عواطفه . وعول على أن يطرد عن رأسه كل خاطر ،  
وأن يستغرق فى النوم ، حتى اذا أقبل الصباح ، استيقظ  
كعادته ، ورحل فى شجاعة واعتداد ، سعيا وراء عدوه اللدود !  
بيد انه لم يستطع أن ينام ، بل راح يتقلب ويتململ ، وقد  
تولته رغبة طاغية فى أن ينهض من مرقده . وأخذ ينصت الى  
تنهدات أمه وزفراتها وهى تنبعث فى رفق . . زفرات حرى ،  
طويلة . ثم سمع اول صياح للديك ، فأدرك ان اليوم الجديد  
قد أقبل . . وانه قد أصبح فى السادسة عشرة من عمره !

## ( ٢ )

♦ عندما اجتاز « ميبى — تشيين — تشيه » باب البيت —  
دون أن يلقي نظرة خلفه — لم يكن ثمة اثر لضوء فى الجانب  
الشرقى . . وكانت عيناه متورمتين ، وقد ارتدى المعطف  
الازرق ، بعد ان شد السيف الى ظهره ، ويمم شطر المدينة  
بخطوات واسعة . وكان هواء الليل لا يزال متواريا فى قطرات  
الندى العالقة بأطراف أوراق الشجر فى غابة الصنوبر . ولكنه  
لم يكد يبلغ الطرف الأقصى من الضابة ، حتى كانت قطرات

الندى تتلأأ ببريق أنوار الفجر الذى انبثق .. واستطاع ان يرى على البعد معالم اسوار المدينة المحصنة ، تقوم كأشباح سمراء قاتمة !

وولج بوابة المدينة ، وسط باعة الخضر ، فاذا الطرقات تعج بالحركة والنشاط رغم البكور . وكان الناس يقفون فى جماعات ، دون عمل ، بينما كانت النسوة يطلن من وراء ابواب الدور ، بين آن وآخر .. وكانت عيون معظمهن لا تزال منتفخة بأثار النعاس ، وشعورهن مهوشة غير مرجلة ، ووجوههن شاحبة لأن الوقت لم يتسع كى يخضبنها بالحمرة !

وحدث « مئى - تشيين - تشيه » أن ثمة حدثا كبيرا يوشك أن يقع .. حدث كان كل هؤلاء القوم ينتظرونه فى لهفة .. وفى صبر ، فى الوقت ذاته !

واذ سار قليلا ، اندفع طفل بجواره ، فكاد يصطدم بدوابة السيف المشدود الى ظهره ، فتفصد العرق باردا من جسمه . ويمم شطر الشمال ، غير بعيد عن قصر الملك ، فوجد الناس محتشدة ، مصطفة ، مشرئية الاعناق نحو الطريق . وكانت صيحات النساء وصراخ الأطفال تتعالى وسط الجمع .. ولم يجرؤ على ان يشق لنفسه سبيلا وسط القوم ، خشية أن يؤذى أحدا بسيفه . ولكن الناس كانوا يتدافعون من ورائه فيدفعونه قدما .. واضطر الى أن يتنحى عن طريقهم ، وان يفسح لهم ، حتى لم يعد يرى سوى ظهور مدبرة ، وقد اشربت أعناقها .

وعلى حين غرة ، ركع الذين كانوا فى الصفوف الأمامية تباعا . واستطاع أن يرى على البعد فارسين يتقدمان جنبا الى جنب ، يتبعهما المحاربون وقد حملوا هراواتهم ، ورماحهم ، وسيوفهم ، وقسيهم ، وأعلامهم ، وأثاروا حولهم سحابة من الغبار . وجاءت خلفهم مركبة كبيرة تجرها أربعة من الجياد ، وقد جلست فيها فرقة من الموسيقيين تدق نواقيس وطبولا ، وتنفسخ فى بعض



الآلات الموسيقية الغريبة . وأعقبها مركبات أقلت أفراد الحاشية في ثياب زاهية ، كما أقلت شيوخاً وأفراداً قصارا مكرشين ، وقد جلل العرق وجوههم ! .. وتبع هؤلاء فرقة من الفرسان ، يحملون سيوفاً ، وحراباً ، ورماحاً . واذ ذاك سجد الناس الراكعون . وأبصر « مبي - تشيين - تشيه » مركبة كبيرة ، ذات مظلة صفراء ، وقد توسطها رجل بدين في ثياب زاهية . وكانت له لحية شيباء ، ورأس صغير ، ولاح أنه كان يتمنطق بسيف يشبه السيف الذي كان مشدوداً الى ظهره . وسرت في جسد الفتى قشعريرة ، وقد تولته رهبة غريزية ، ولكنه سرعان ما أحس بالنار تتأجج في كيانه ، وكأنما كان لها لهب يلفحه . ومد يده ليقبض على السيف المشدود الى ظهره ، وهو يشق لنفسه طريقاً ، بين الرقاب ، وبين الجائين . ولكنه لم يكن قد تقدم أكثر من خمس خطوات أو ست ، عندما أوقعه شخص ما ، فهوى بطوله على شاب ذي وجه أعجف ! .. وخشى أن تكون دؤابة السيف قد آذته ، فنهض بسرعة وانفعال ، واذ به يتلقى لكزتين في ضلوعه . . ولم يحفل بأن يحتج ، بل بادر ينظر الى الطريق من جديد ، ولكنه وجد أن المركبة ذات المظلة الصفراء قد تجاوزت البقعة التي كان يقف فيها . . حتى الفرسان الذين كانوا وراءها ، ابتعدوا عن المكان !

★ ★ ★

♦ ونهض القوم الذين كانوا على جانبي الطريق . وكان الشاب ذو الوجه الأعجف قد ظل قابضاً على طوق « مبي - تشيين - تشيه » ، مصراً على أن لا يفلقه ، وراح يتهمم به بأنه قد هشم ضفيرته العليا (١) ، ويطالبه بأن يتعهد بأن يدفع تعويضاً ، اذا قدر له - أي للرجل - أن يموت قبل سن الثمانين ! .. وتجمع

(١) كان أتباع العقيدة « التاوية » يؤمنون بأن الضفيرة التي تتوسط رأسهم ،

جزء حيوي من الجسد !

حولهما المتسكعون ، ولكن أحدا منهم لم يقل شيئا . . بيد أن فئة من الواقفين لم يلبثوا أن شرعوا في القاء بعض النكات الساخرة أو الشتائم ، منحازين الى صف الشاب الأعجف . ولم يدر « مبي - تشيين - تشيه » ما إذا كان يضحك أو يغضب أمام أعداء كهؤلاء . كان الأمر مثيرا للسخط ، ولكنه مع ذلك لم يكن يملك الافلات منه !

ودام المشهد وقتا كافيا لانضاج ملء وعاء من الاذرة . وكان « مبي - تشيين - تشيه » قد فقد الصبر ، في تلك الاثناء ، وتأججت نار غضبه . ومع ذلك فان المتفرجين لم ينفضوا من حوله ، بل ظلوا يرقبونه دون أن يخف فضولهم . وما لبث أن شق رجل أسمر لنفسه طريقا وسط عقدهم . . وكانت له لحية سوداء ، وعينان سوداوان ، كما كان عوده ناحلا مسرف النحول . وابتسم ببرود - دون أن ينبس ببنت شفة - في وجه « مبي - تشيين - تشيه » ، ورفع يده ليدفع بها فك الشاب ذي الوجه الأعجف ، وهو يسدد بصره الى عينييه . وقابل الشاب نظراته بمثلها زمنا ، ثم أفلت طوق « مبي - تشيين - تشيه » رويدا ، وابتعد . وكذلك انصرف الرجل الاسمر . . وانفض الجمع في استياء . ولم يتخلف منهم سوى عدد ضئيل ، اقبلوا يسألون « مبي - تشيين - تشيه » عن عمره وعن عنوانه وعما إذا كانت له شقيقات . بيد ان « مبي - تشيين - تشيه » تجاهلهم !

وسار نحو الجنوب ، وقد خطر له أن من السهل - في هذا الزحام وهذه الحركة اللذين سادا المدينة - أن يصيب بسيفه انسانا ما ، بمحض المصادفة ، ولذلك فمن المستحسن أن يتربص خارج البوابة الجنوبية للمدينة ، ريثما يعود الملك ، واذ ذاك يستطيع أن يثار لأبيه . فقد كان الفضاء فسيحا هناك ، ولم يكن ثمة أناس كثيرون ، فكان - حقا - خير مكان لما اعتزم أن يفعله . وكان أهل المدينة يتحدثون عن بكرة أبيهم



— في تلك الأثناء — عن رحلة الملك الى الجبل ، تصحبه حاشيته ، ويحلف به جلاله . . وكيف أن بعض الناس قد ذهبوا في ركوعهم الى حد الانبطاح على الارض ، وكيف أن هؤلاء جديرون بأن يعتبروا من الرعايا المثاليين . كانت المدينة بأسرها تتحدث ، والجو مليء بطنين كطين النحل ، فلم يزد الهدوء الا بالقرب من البوابة الجنوبية !

وسار الى خارج المدينة ، فيجلس تحت شجرة توت ضخمة ، حيث التهم فطيرتين من الخبز المصنوع على البخار . وراح يفكر — أثناء الأكل — في أمه ، فأحس بغصة في حلقه ، ولكنها لم تلبث أن انجابت في الحال . وأخذ كل ماحوله يزداد هدوءا وسكينة ، حتى أصبح بوسعه ان يسمع بجلاء تردد أنفاسه . وكان يزداد قلقا كلما اقترب الغروب ، وراح يمد بصره الى ما أمامه ، ولكنه لم ير أثرا للملك . وأخذ القرويون ، الذين حملوا الخضر الى المدينة — في الصباح — لبيعوها ، يعودون واحدا بعد آخر ، بسلالهم الفارغة . وبعد أن مر كل هؤلاء الفلاحين بأمد طويل ، أقبل الرجل الأسمر من المدينة ، في عجلة . وقال وكأنما كان صوته صيحة قنبرة : « اجر يا مبي — نشيين — تشيه ، فان الملك يبحث عنك ! »

وارتجف مبي — تشيين — تشيه من رأسه الى قدمه . ثم تبع الرجل الأسمر ، وكأنه مسلوب الإرادة ، فاذا بهما يجريان بأقصى ما وسعهما من سرعة . ووقف برهة ليلتقط أنفاسه ، فتبين انهما قد بلغا حافة غابة الصنوبر . وكانت ثمة أشعة فضية تبدو في الطرف الأقصى ، حيث بزغ القمر . ولكن كل ما تبدى للفتى — في البقعة التي كانت أمامه مباشرة — هما عينا الرجل الأسمر وقد اتقدتا كالغاز الذي يتصاعد من المستنقعات فيشتعل من تلقاء ذاته !

وسأله الفتى في خوف وعجب : « كيف عرفتني ؟ .. »  
فضحك الرجل قائلا : « لقد كنت أعرفك دائما .. واني

لأمر ف أنك تحمل سيفاً مشدوداً إلى ظهرك ، لتشار لأبيك .  
كما أعرف أنك ستحقق . أنك إن تحقق في الانتقام لأبيك  
فحسب ، ولكن ثمة من وشى بك اليوم فعلاً . لقد عاد عدوك  
إلى القصر - منذ وقت طويل - خلال البوابة الشرقية ، وأصدر  
أمرًا بالقبض عليك ! »

وبدا « مبي - تشين - تشيه » يشعر بتعاسة آسية . ثم  
تمتم : « لا عجب إذن في أن أمي قد تنهدت ! »  
- ولكنها لا تعرف سوى نصف الحقيقة . . انها لا تعرف  
أننى سوف أنتقم لك !

- أنت ؟ ! . . أنت راغب في الانتقام ، أيها الفارس الشهم ؟  
- آه ، لا تهيننى بأن تلقبنى بهذا اللقب !  
- إذن ، فهل ما يحملك على ذلك ، هو عطفك على الأرامل  
والأيتام ؟

فقال الرجل في لهجة صارمة : « لا تستخدم كلمات أصبحت  
اليوم ملطخة يا صغيرى . . ان الفروسية ، والشهامة ، والعطف ،  
وكل ما إليها من أسماء كانت نقية ، لم تعد اليوم سوى مطية  
للاستغلابين . . اننى لا أحفل بكل هذه الأشياء ، فليست أبغى  
سوى أن أثاراك ! »

- حسناً . . ولكن ، كيف ستقدم على هذا الثأر ؟  
فانبعث صوت الرجل من تحت عينيّن متقدتين : « لست  
أرغب منك في غير شيئين . . أى شيئين ؟ . . سأخبرك : أولهما  
سيفك . . وثانيهما رأسك ! »

ومع أن « مبي - تشين - تشيه » رأى الطلب غريباً ،  
وتردد ازاءه ، إلا أنه لم يشعر بخوف . ولكنه ظل لحظة  
لا ينبس ببنت شفة . بينما انبعث الصوت من الظلام متسلطاً ،  
مرة أخرى : « لا تخش أن أكون راغباً في أن أخدعك لأسليك  
حياتك وكنزك . . أن الأمر موكل اليك تماماً . فإذا وثقت  
بى ، فأننى سأقتل الملك . . وإذا أنت لم تثق بى ، فلي أقتله ! »



— ولكن ، لماذا تعتزم ان تنتقم لى ؟ .. افكنت تعرف أبى ؟  
 — عرفتة طيلة عمره ، كما عرفتك طوال حياتك ! .. ولكن  
 هذا ليس بالسبب الذى أريد من أجله أن أتولى الانتقام . انك  
 لا تفهم يا بنى مدى براعتى فى الأخذ بالتأر . ان مالك مالى ،  
 وما يهملك يهمنى أنا الآخر . ان نفسى متخنة بكثير من الجراح  
 التى ألحقها بى الغير ، ولحققتها انا بنفسى ، حتى اننى لأبفض  
 نفسى فعلا !

وما ان توقف الصوت المنبعث من الظلام ، حتى مد مئى  
 تشيين تشيه يده الى السيف الأزرق ، فنضاه عن ظهره ،  
 ومر به — بنفس الحركة — على قفاه ، فاذا رأسه يهوى على  
 العشب الأخضر ، عند قدميه ، فى نفس اللحظة التى امتدت بها  
 يده بالسيف الى الرجل الأسمر !

\*\*\*

♦ وهتف الرجل : « آه ! » .. وباحدى يديه تناول السيف ،  
 بينما أمسك باليد الأخرى بشعر رأس مئى تشيين تشيه ،  
 فرفعه عن الأرض ، وقبل الشفتين الميتين — اللتين كانتا



لاتزالان دافئتين - مرتين ، ثم أرسل ضحكة حادة ، باردة ..  
 وإذا الضحكة تسرى - في الحال - في غابة الصنوبر .. وسرعان  
 ما و مضت في أعماق الغابة عيون متقدة ، لم تلبث ان اقتربت  
 سراعا ، حتى لقد كان يوسعك أن تسمع أنفاس الذئاب الجائعة  
 اللاهثة ! .. وبجذبة واحدة ، كانت ثياب مبي تشيين تشيه  
 قد تمزقت تماما عن جسده .. وبنهشة واحدة ، كان لحمه  
 قد اختفى باكملة ، ثم لعلق دمه - في الحال - فلم يبق منه  
 شيء .. ولم يعد يسمع سوى انسحاق العظام تحت الأنياب !  
 وانقض الذئب الضخم - الذي كان على رأس القطيع - على  
 الرجل الأسمر ، ولكن اشارة واحدة بالسيف الأزرق ، أطاحت  
 برأسه على العشب الأخضر ، فمزقت الذئاب الأخرى جلده  
 بعضة واحدة ، ثم انقضت على جسده فاذا به يتلاشى .. وإذا  
 بالدم يلحق فيبقى مكانه نظيفا .. ولم يعد يسمع سوى انسحاق  
 العظام تحت الأنياب !

والتقط الرجل الأسمر المعطف الأزرق عن الأرض ، ليلف  
 فيه رأس مبي تشيين تشيه ، ثم ربط الحزمة والسيف الأزرق  
 الى ظهره . ونكص - بعد ذلك - على عقبيه ، ثم غاص في  
 الظلام ، ميمما شطر العاصمة .

ووقفت الذئاب مسمرة في أماكنها ، وقد رفعت اكتافها ،  
 وراحت تحرك أسننتها في الهواء ، بينما تتابع لهيئها ، وهي  
 ترقب الرجل في ابتعاده ، بعيون خضراء .  
 اما هو ، فاندفع في الظلام نحو العاصمة ، وهو يفنى في صوت  
 رفيع مرتفع ، أثناء سيره :

» غن .. هاى ، غن .. هو !

» ان الوحيد الذي أحب السيف

» قد نال الموت جزاء له .

» ان الذين يمضون فرادى ، كثرة وافرة ،

» والذي يحب السيف لم يعد وحيدا !



« عدو بعدو ، ها ! .. ورأس برأس !  
 « لقد لقي رجلان حتفهما بيديهما ! »

( ٣ )

♦ لهم يهنا الملك برحلته الى الجبل ، وحمله التقرير السرى الذى نمى اليه - عن وجود قاتل يتربص به - على ان يعود الى المدينة وهو اكثر غما وضيقا من ذى قبل . وكان فى أسوأ مزاج - فى تلك الليلة - فراح يتذمر من كل شيء ، حتى من أن شعر المحظية التاسعة لم يكن فى السواد والنعومة اللذين كان عليهما فى اليوم السابق ! .. على انها - لحسن الحظ - قفزت الى ركبته الملكية بطريقة مثيرة ، وراحت تتثنى أكثر من سبعين مرة ، حتى زالت التفضنات عن الجبين الملكى ، رويدا .. وعند ما استيقظ الملك بعد ظهر اليوم التالى ، كان معكر المزاج مرة أخرى ، فما ان حانت ساعة غدائه ، حتى كان مهتاجا . وزمجر ، وهو يتشاءب وقد فتح شذقيه : « أشعر بضجر ! »

وأثار ذلك ذعر كل امرئ ، من الملكة حتى مهرج البلاط .. لقد ظل الملك طويلا فى ضجر من مراسم وزرائه القدامى ، ومن الحركات البهلوانية التى كان أقزامه السمان يؤدونها .. بل انه أصبح - فى الآونة الأخيرة - يضيق ببعض الحركات الرائعة ، كالسير على جبل مشدود ، وتسلق الصارى ، وأعمال الشعوذة ، والقفز ، وابتلاع السيف ، ونفث النار من الجوف .. وأصبح يستسلم لنوبات من الغضب والهياج ، كان يذهب فيها الى حد تجريد سيفه ، والبحث عن آتفه الأخطاء ، كى يقتل عددا من الناس !

وكان ثمة اثنان من عبيد القصر ( الأغوات ) قد تسللا من القصر ليلعبا ، فما ان رأيا - عند عودتهما - الوجوم الذى ساد البلاط ، حتى ادركا ان المتاعب كانت تستفحل من جديد فى

القصر ، ففاض لون احدهما لفرط الخوف . بيد ان الآخر بدا معتدا بنفسه ، فاتخذ طريقه الى الملك في غير عجلة ، وهناك رقع أمامه وقال : « لقد التقى عبدكم - منذ لحظة - برجل عجيب ، نادر البراعة ، بوسعه أن يسرى عن جلالتك . ولقد جئت لأنبئك جلالتك بذلك ! »

فقال الملك في حرص الضنين بكلماته : « ماذا ؟ »

- انه رجل اسمر نحيل ، يبدو كالمسول ، ويرتدى ثيابا زرقاء ، كما يحمل على ظهره حزمة باللون ذاته ، ولا يفتأ يغنى مرددا مقاطع من قصيدة عجيبة . ولقد سألته عن أمره ، فقال ان بوسعه أن يقوم بالأعيب رائعة ، لم يشهد أحد لها مثيلا من قبل . . . وليس في الدنيا ما يضارعها ! . . ان منظرها كفيل بأن يضع حدا للهموم ، وان يصفى على الدنيا دعة وسلاما . ولكنه يرفض أن يؤدي هذه الألعاب ، اذا طلب اليه احد ذلك ، ويقول انه لا بد من ان يحصل أولا على تنين ذهبي ، وثانيا على قدر ذهبية !

- انما التنين الذهبي أنا (١) . أما القدر الذهبية ، فلدى واحدة !

- هذا ما حدسه عبدكم . . .

- اذن ، فاحضر الرجل هنا !

وقبل ان يتلاشى جرس صوت الملك ، اسرع أربعة من الحراس مع الخصي ( الأغا ) الى الخارج . وأشرق وجه كل امرئ - من الملكة حتى مهرج البلاط - بالحبور ، وقد داخلهم جميعا الأمل في أن يستطيع هذا المشعوذ أن يزيل الهم ، وأن ييسط الوئام . . فاذا قدر للأعيب ان تمنى بالاخفاق ، فسيتجه سخط الملك وغضبه الى الرجل الاسمر النحيل

(١) كان التنين رمزا للملك في الصين القديمة



الشبيه بالمتسولين .. وأوشكوا ان يفقدوا الصبر ، متلهفين على مقدم الرجل !

\*\*\*

♦ وسرعان ما ظهر ستة رجال يهرولون نحو العرش . وكان الخصى في المقدمة ، يتبعه الحراس الأربعة ، وفي الوسط رجل أسمر . فلما اقتربوا ، تجلى ان الرجل كان يرتدى معطفا أزرق وأن لحيته وحاجبيه وشعره كانت سوداء ، كما انه كان من النحول بدرجة ان عظام وجنتيه كانت بارزة ، بينما كانت عيناه غائبتين في محجريهما . واذ ركع في خشوع ، لكي يسجد للملك ، رؤيت على ظهره حزمة ملتفة في قماش أزرق يتخلله وشى أحمر !

وصاح الملك ، وهو نافذ الصبر : « وبعد ؟ ! »  
وكان مظهر الرجل يبدو من السذاجة والبساطة . حتى ان الملك ارتاب في استطاعته ان يؤدي أية الاعيب ذات قيمة . وما لبث الرجل ان قال :

— ان عبدكم يدعى « ين - تشيه - آو - تشه » ، وقد ولد في قرية ( وينوين ) . ولم أدرب من صغرى على حرفة ماء ، ولسكنى التنقيت - حين كبرت - بحكيم علمنى كيف أقوم ببعض العمليات السحرية ، مستعينا برأس غلام . على اننى لا أستطيع أن أودى العابى ما لم يكن ذلك فى حضور تنين ذهبى .. ولا بد لى من قدر ذهبية ، تملأ بماء صاف ، وتوقد تحتها نار من الفحم .. فاذا وضعت رأس الغلام فيها ، وعلى الماء ، فسيأخذ الرأس فى الارتفاع والانخفاض ، وسيرقص فى مختلف الأشكال والأوضاع . كما انه سيرسل اصواتا عجيبة ، وسيضحك ويفنى ! .. وكل من يسمع غناؤه ، ويرى رقصه ، لن يعرف للهلم مذاقا .. ولو رآه الناس أجمعين ، لساد الهناء الدنيا !

فصاح الملك بصوت مرتفع : « ها اذن ! »

ولم تمض لحظات ، حتى جىء بقدر ذهبية ضخمة ، تكفى لسلق ثور ، ووضعت أمام العرش ، ثم ملئت بالماء ، ووضع تحتها فحم أشعلت فيه النار . ووقف الرجل الاسمر الى جانبها ، فلما تحول الفحم الى جمر أحمر ، خلع حزمته عن ظهره ، ووضعها على الأرض وفضها . ثم التقط رأس الفتى منها ، وأمسك به بين يديه ، ثم رفعه عاليا ، فاذا له حاجبان كثان ، وعينان براقتان ، واسنان ناصعة ، وشفطان حمراوان ، تراقصت عليهما ابتسامة . وكان شعره المشعث اشبه بدخان رقيق !

\*\*\*

♦ وظل الرجل الاسمر رافعا رأس الفتى برهة ، واداره ليراه جميع الحضور ، ثم حمله فوق القدر ، وراح يتمتم بكلمات غير مفهومة . وما لبث ان اسقطه - فى النهاية - الى القدر ، فسمع صوت ارتطامه بالماء . وارتفع الزبد الى خمس أقدام ، على الأقل ، ثم سكن كل شىء بعد ذلك ! وأنقضت فترة لم يقع فيها شىء ، فبدأ صبر الملك يعيل ، وشرع الذعر يرواد نفوس الملكة والمحظيات والوزراء ( والأغوات ) ، بينما كان الأقزام المضحكون يتسسمون فى سخرية . وما ان رأى الملك هذه الابتسامات الساخرة ، حتى شعر بأنه كان العوبة ، وان الساحر كان يفرز به ، فتملكه غضب محتدم ، وتحول الى الحراس ، وهم بأن يأمرهم بأن يقبضوا على هذا الدجال - الذى اوتى الجرأة على خداع مليكه - فيحملوه ويلقوا به داخل القدر الضخمة ، ليغلى مع الماء حتى يموت !

على أنه - فى تلك اللحظة بالذات - سمع الماء يمور داخل القدر ، وبدأ الفحم يرسل طقطقة مسموعة ، ويلقى وهجا قانيا على وجه الرجل الاسمر ، فبدأ كالحديد المحمى الذى بدأ



لونه يستحيل الى الحمرة ! .. وما ان رأى الملك ذلك ، حتى ارتد الى وضعه الأول ، بينما بسط الرجل الأسمر ذراعيه نحو السماء ، وحلق في الفضاء ، وراح يرقص .. ثم انبعث صوته فجأة - رفيعا ، عاليا - وهو ينشد :

« غن ، هاى ، من اجل الحب .. من اجل الحب هاى هو !  
 « آه الحب ! .. آه الدم ! .. من الذى لم يؤث كلاهما ؟  
 « الناس تتخبط فى الظلام ، والملك يقهقه عاليا ،  
 « وعشرة آلاف رأس قد انحنت فى موتها ،  
 « ولكنى وحدى الذى استعمل رأسا .. فذا ،  
 « فليرق الدم من اجل رأس رجل واحد !  
 « الدم .. دع الدم يسيل !  
 « الا غن .. هاى ! غن .. هو ! »

وفيما كان يغنى ، ارتفع الماء فى القدر على شكل مخروط ، حتى بات شبيها بالجبل الصغير ، ولكنه ظل فى دورة مستمرة ، من قمته الى قاع القدر ، طيلة الوقت . وأخذ الرأس يدور معه فى صعود وهبوط ، وهو يلف كذلك من جانب الى آخر . ويقفز فى أثناء ذلك ، والقوم يشهدون بوضوح ابتسامة تتراقص على محياه ! .. ومالبث بعد فترة ان كف عن هذه الحركات ، وراح يسبح عكس اتجاه الماء ، وهو يدور ، ويتقدم ويتأخر ، نائرا الماء فى كل اتجاه ، حتى انتشرت النقاط الساخنة فى كافة أرجاء بلاط الملك . وصرخ أحد الأقزام فجأة ، وراح يحك أنفه متوجعا ، فقد أصابته نقطة سلخت بشرة أنفه ، فلم يتمالك أن صرخ متألما .

\*\*\*

• وما ان كف الرجل الأسمر عن الغناء ، حتى كف الرأس عن الدوران ، ووقف فى وسط الماء ، مواجه العرش ، وقد

اكتست أساريده مخايل الجد . وبعد ان مكث هكذا لحظات ثم شرع يغطس ويطفو تباعا . ثم راح يسبح بسرعة وهو يفوض ويصعد دون انقطاع .. ولم تكن سرعته هوجاء ، بل بدت فيها رشاقة وجلال . ودار حول حافة الماء ثلاث مرات ، وهو ماض في الغوص والارتفاع .. ومالبت أن فتع عينييه عن آخرهما ، فاذا بانسائيهما الأسودين يومضان ببريق غير عادى ، ثم فتع فمه وراح يفنى :

« ان حكم العاهل يمتد بعيدا وشاسعا ،  
 « وانه ليهزم الاعداء فى كل جانب ..  
 « ولقد تنتهى الدنيا ، ولكن سلطانه لن ينتهى ،  
 « وها انذا قد جئت ، أتلق بالبريق ..  
 « تألق السيف اللامع .. فلا تنسنى !  
 « يالبهاء المنظر الملكى ، ويالتعس حظى أنا !..  
 « فغن هاى ، غن هو ، للمنظر الملكى !  
 « وعد الى حيث يتألق الضوء الازرق اللامع ! »

وتوقف الرأس فجأة ، عند حافة الماء . ثم شرع يدور ويقفز عدة مرات ، وما لث ان عاد يغطس ويطفو عن جديد ، وهو يوزع نظرات - كأنها السحر المتسلط - يمنة ويسرة ، ويفنى :

« هاى هو ، مرحى بالحب الذى نعرفه !  
 « لقد قطعت رأسا واحدا .. رأسا واحدا هاى هو !  
 « انما استخدم رأسا واحدا .. واحدا لا أكثر ،  
 « اما الرؤوس التى يستخدمها هو ، فما أكثرها !.. »

ثم غطس الرأس ، فلما عاد الى الطفو ، لم يعد احد يسمع بجلاء بقية الغناء ، وأخذ الماء المغلى يهدأ - مع خفوت الغناء - حتى غاص وهدأ ، وعاد تحت حافة القدر . فهبط الرأس معه ، ولم يعد الواقفون على مسافة من القدر يرون شيئا !



**وصاح الملك بلهجة آمرة ، وقد عيل صبره ، بعد أن انتظر برهة : « وبعد ؟ ! »**

وجثا الرجل الأسمر على إحدى ركبتيه ، وقال : « انه يرقص يا صاحب الجلالة - في قاع القدر ، ابدع رقص عجيب خارق .. ولا سبيل الى رؤية هذا الا من كتب ، اذ ليس في طوقى أن أقربه اليكم ، لانه لا بد له من أن يدور في رقصه هذا ، حول القاع ! »

\*\*\*

♦ **ونهض الملك فهبط درجات العرش ، ووقف الى جوار القدر ، غير حافل بحرارة النار ، ثم انحنى ليشاهد ما يجري في جوف القدر .. فاذا الماء ساكن ، صاف كسطح المرآة .. واذا الرأس راقد في القاع ، ووجهه الى أعلا ، وقد سلطت عيناه على الملك . وما ان استقرت عليه عينها الملك ، حتى انفرجت أساريره في ابتسامة فاتنة . وخيل الى الملك - حين لمح الابتسامة - انه قد رأى هذا الوجه من قبل ، بيد انه لم يستطع ان يتذكر صاحب الوجه ، في تلك اللحظة ! .. وفيما كان في حيرته ودهشنته ، سحب الرجل الأسمر السيف**



الأزرق المشدود الى ظهره ، ولوح به في الهواء كأنه البرق ، ثم جره على قفا الملك ، فهوى رأس الملك في القدر ، مرسلاً رشاش الماء عالياً !

وعندما يلتقى غريمان ، يعرف كل منهما الآخر لفوره ، لاسيما اذا كانا متقاربين . وما أن مس رأس الملك الماء ، حتى خف اليه رأس مبي تشيين تشيه ليلتقى به ، ثم أطبق بأسنانه على أذنه ! .. واذا الماء يغلى في القدر ، ويفور ويمور في شدة . وبعد حوالي عشرين جولة بين الرأسين ، كان رأس الملك قد أصيب بخمسة جراح ، بينما أصيب رأس مبي تشيين تشيه بسبعة ! .. واستطاع الملك الداهية أن يتسلل تحت عدوه ، وفي غفلة من مبي تشيين تشيه أطبق بأسنانه على مؤخر عنقه ، بشدة لم يعد يتمكن معها من الحركة . وظلت أسنان رأس الملك متشبثة برقبة رأس الفتى لاتفلتها ، وأخذ الرأسان يغوصان ، والأسنان تغوص في مؤخر الرقبة ، وصيحات الألم تنبعث من رأس الفتى فتسمع .. حتى خارج القدر !

\*\*\*

♦ وبعد ان سمر كل امرئ في مكانه - من الملكة حتى مهرج البلاط - لفرط الخوف ، اذا بالحياة تدب فيهم لدى صوت الصراخ ، وشعروا كأنما الشمس غاصت في ظلمات مخزنة . كانوا جميعا أغبياء ، ولكن الخداع الذي مر بهم بعث في نفوسهم اغتباطا خفياً مكتوماً ، وهم يحملقون بأعين واسعة ، وكأنهم يتوقعون حدثاً عظيماً !

وبدا على الرجل الأسمر انه أخذ بما جرى فبهت ، ولكن لونه لم يتغير .

ورفع ساعده بالسيف - الذي لم يكن ظاهراً لشفافيته - دون ما عناء ، كما لو كان ممسكاً بفصن جاف ، ثم انحنى على القدر وكأنه يستجلى ما كان في جوفها . وانحنى ذراعه



فجأة ، فدفعت بالسيف خلف رأسه بحركة سريعة ، وإذا  
 رأسه يجثت من مكانه ويهوى في القدر ، مرسلا نثار الماء  
 أبيض شفافا كالجليد ، في كل اتجاه !

أما الرأس ، فما ان مس الماء حتى انقصر على رأس الملك ،  
 وأطبق بأسنانه على الأنف الملكي ، حتى قطعه فعلا . وأطلق  
 الملك صرخة متوجعة . وفيما هو فاغرفه ، استطاع رأس  
 ممي تشيين تشيه ان يفلت منه ، وان يلف حوله ، ليقبض  
 بأسنانه على فكه . ولم يكتف رأسا الرجل الأسمر والفتى  
 بالعض ، بل انهما راحا يتجاذبان رأس الملك فيما بينهما ، بكل  
 ما فيهما من قوة ، حتى لم يعد هذا يستطيع ان يفلق فمه .  
 ثم راحا يعضانه في شدة وعنف ، كدجاجتين تتباريان في  
 التقاط حبات الارز ، حتى هربا رأس الملك وشوهاه ، فلم  
 يعد في الوسع التعرف على معاملة . وراح هذا الرأس يدور  
 حول ذاته ، في جوف القدر ، بسرعة جنونية ، ثم هبط الى  
 القاع وهو يئن ، وما لبث أن شهق شهقة أخيرة ، ثم استسلم  
 للسكون !

وكف رأسا الرجل الأسمر ومي تشيين تشيه عن العض ،  
 وترك رأس الملك ، ثم راحا يسبحان على سطح الماء ، يتبينان  
 ما اذا كان يتربص بهما ، أو انه مات فعلا . فلما استوثقا من أن  
 رأس الملك لفظ آخر أنفاسه حقا ، تبادلا نظرات الاغتباط ،  
 وابتسما ، ثم تطلعا الى السماء ، واغمضا أعينهما ، وغاصا  
 الى قاع الماء

### ( ٤ )

♦ وخبت النار ، وكف الماء عن الفليان . ورد السكون  
 القريب كل امرئ في البلاط الى وعيه . فأطلق بعضهم  
 صيحات عالية ، ثم راحوا يتنادون جميعا ، في جزع . وما  
 لبث أن سار أحدهم الى القدر الذهبية ، فتدافع الكل خلفه .

وراح الذين في الخلف يرسلون ابصارهم خلال اعناق الذين في الصفوف الأمامية ، ليستجلوا ما كان يجري .  
وكانت الحرارة لاتزال تلفح الوجوه ، ولكن الماء كان ساكنا في القدر ، كأنه سطح مرآة ، استقرت فوقه طبقة زيتية ، انعكست عليها وجوه المطلقين : من الملكة ، الى المحظيات ، الى الحراس ، الى الكهنة والأقزام والخصيان ....  
وصاح صوت : « ياللسموات ! .. ان رأس ملكنا العظيم لايزال في القدر ! .. ياللحدث الفظيع ! » .. وانخرطت المحظية السادسة في البكاء !

واستولت عليهم جميعا - من الملكة الى مهرج البلاط - رهبة قاسية ، فانفرط عقدهم في جزع ، وراحوا يدورون حول أنفسهم على غير هدى . وقد تملكتهم الخيرة ! .. ولكن احكم الشيوخ المستشارين ، اتجه وحده الى القدر ، ومد يده فمس جدرانها الداخلية ، ثم ارتجف بكل كيانه ، وسحب يده لفوره ، ووضع أصبعين في فمه وراح ينفخهما ليخفف من أوجاع احتراقهما

وما لبث القوم أن تمالكوا أنفسهم ، فتجمعوا خارج القاعة ليتشاوروا في خير وسيلة لأخراج رأس الملك من القدر . واستغرقت مشاوراتهم وقتا يعادل ما يكفى لظهو ثلاث صيغان من الأذرة ، ثم انتهوا أخيرا الى قرار .. ذلك هو أن يحضروا من المطبخ ملاقط من السلك ، وأن يأمرؤا الحراس أن يبذلوا قصارى وسعهم لیتصيدوا بها الرأس الملكي !  
وسرعان ما اعدت الأدوات : ملاقط سلكية ، وخيوط ، وأطباق ذهبية ، وأدوات للتنظيف . فوضعت جميعا الى جوار القدر . ثم شمر الحراس عن اكمامهم ، واخذ بعضهم الملاقط السلكية ، وبعض آخر الخيوط ، وراحوا يحاولون جمع بقايا الرأس ، في خشوع ! .. وسمعت الملاقط وهي تصطدم بعضها ببعض ، أو ترتطم بجوانب القدر ، والماء ينزاح لحرركاتها .



وبعد وقت ، اكفهر وجه احد الحراس ، وهو يرفع ملقاطه في بطء وعناية ، وقد شد على مقبضه بيديه معا . وتساقطت قطرات الماء من الملقط كأنها حبات اللآلئ ، ثم تبدت جمجمة في بياض الثلج . فصاح الجميع مذهولين . ووضع الحارس الجمجمة في طبق ذهبي .

وانخرطت الملكة ، والمحظيات ، والكهنة ، والوزراء ، والخصيان ، في البكاء ، وهم يولولون : « اواد يا عزيزنا ! .. اواد ياملكننا ! » . بيدانهم لم يلبثوا أن كفوا فجأة عن البكاء ، لأن الحارس أخرج جمجمة أخرى ، تشبه الأولى تماما . وحلقوا بغباء ، وبعيون يملأها الدمع السخين ، فراوا الحراس يتفصدون عرقا ، وهم لا يزالون ماضين في بحثهم . ثم أخرجوا كمية من الشعر الأبيض والأبيض والأسود - اختلط بعضها ببعض - وملء ملاعق من الشعر القصير ، الذي بدا أنه شعر لحى سوداء وشيبا ، ثم أخرجوا جمجمة ثالثة ، وأردفوها بثلاثة من مشابك الشعر !

\*\*\*

♦ ولم يكف الحراس عن البحث ، الا بعد ان تبينوا انه لم يبق في القدر سوى مرق صاف ! .. ثم وزعوا ما أخرجوه على ثلاث صحاف ذهبية : احداها للجماجم ، والثانية للشعر ، والثالثة للمشابك . وصاحت المحظية التاسعة في جزع جنوني : « ليس لملكنا سوى رأس واحد .. فأى هذه رأس ملكنا ؟ »

وتبادل الكهنة والوزراء نظرات الحيرة والقنوط وقالوا : « هو ذلك حقا .... »

فقال أحد الأقزام ، وهو يجثو : « لقد كان من السهل تبين ذلك ، أولا ان الجلد واللحم قد سلقا سلقا ! » وحملوا أنفسهم على أن يفحصوا الجماجم ، وهم غير

متحمسين ، ولكنها كانت متشابهة - تقريبا - في الحجم واللون ، حتى لقد عجزوا عن ان يميزوا احداها عن الآخرين . وقالت الملكة ان الملك أوتى ندبة في أعلى صدغه الأيمن ، نتيجة وقوعه عن جواده وهو أمير ، ولا بد انها تركت أثرا في الجمجمة . ولقد كشف أحد الأقزام عن ندبه كهذه فعلا ، في إحدى الجماجم ، فساد الارتياح جميع الحضور ، الى ان اكتشف قزم آخر علامة مشابهة ، على جمجمة أصفر لونا من الأخرى قليلا ! وصاحت المحظية الثالثة ، وقد واتتها فكرة جعلتها تغتبط : « أنا اعرف ! . لقد كان لملكنا انف شديد الارتفاع ! »

وأسرع الخصيان الى فحص أنوف الجماجم الثلاث ، فالفوها متباينة الارتفاع نسبيا ، ولكن . . بدرجة لا تمكن من التفرقة بينها . وكان أشد الأنوف ارتفاعا ، هو أنف الجمجمة التى لم تؤت على الصدغ الأيمن علامة أو ندبة ما ! وقال الوزراء للخصيان الذين كانوا يفحصون هذه الجمجمة الأخيرة : « هناك أمر آخر . . فهل من المحتمل ان مؤخر رأس ملكنا كان بارزا بهذا الشكل ؟ »

- اننا لم نول اهتمامنا يوما الى مؤخر رأس جلالته . . . . وأخذت الملكة والمحظيات يجهدن عقولهن - هن الأخريات - ليتذكرن ، فقالت بفضهن ان مؤخر رأس الملك كان مستويا ، وقالت البعض انه كان بارزا . وعندما استدعين الخصى - الذى كان موكلا بترجيل الشعر الملكى - وسألنه ، لم يستطع ان يجير جوابا !

وعقدوا - فى ذلك المساء - اجتماعا حضره الأمراء والوزراء ، ليقرروا اى الرؤوس كان رأس الملك . ولكن الاجتماع لم يكن أكثر توفيقا من مشاورات النهار . والواقع ان كل شيء - حتى شعور الرؤوس واللحي - كانت تزيد المشكلة تعقيدا . . . لقد كان الشعر الأبيض شعر الملك حقا ، ولكن شيب الملك لم يكن كاملا ، بل كان يتخلله شعر أسود ، ومن ثم فقد كان



من العسير الجزم بأمر ازاء الشعر الأسود الذى أخرج من القدر . .  
 وأستمر النقاش الى منتصف الليل ، ولم يفعلوا أكثر من أن أقصوا  
 عن الفحص بضع شعيرات حمراء ، ولكن المحظية التاسعة  
 احتجت لأنها كانت واثقة من انها رأت بضع شعيرات تميل  
 الى الصفرة ، فى لحية الملك . . واذا صح هذا ، فكيف يملك  
 القوم أن يجزموا بأنه لم يكن بين هذه الشعيرات شعرة حمراء ؟  
 . . ومن ثم ، اضطروا الى ان يضموا الشعر الأحمر الى بقية  
 الشعور ، وان يتركوا المسألة دون حل !



• ولم يكونوا قد احرزوا أى تقدم ، عندما بدا النهار  
 التالى . . وأطالوا الجدل - وهم يتشاءبون - حتى صاح الديك ،  
 واذا ذاك انتهوا الى حل مأمون ، يدعو للرضى حقاً . . ذلك هو ان  
 توضع الرؤوس الثلاثة فى التابوت الذهبى ، الى جانب جثة  
 الملك - لتدفن معا .

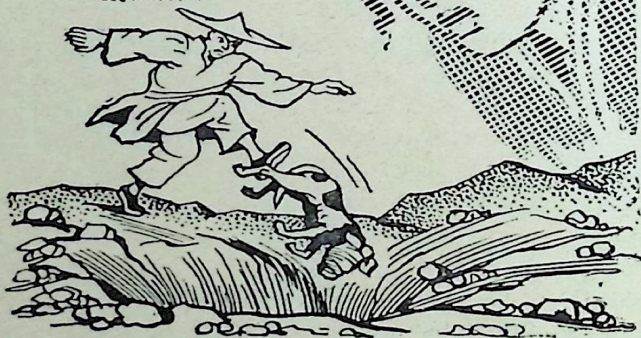
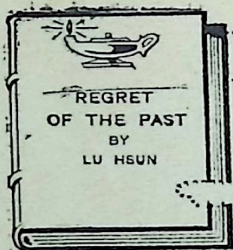
وشيعت الجنازة بعد اسبوع ، فاذا المدينة على قدم وساق ،  
 وقد تدفق عليها الرعايا من أقصى البقاع ، ليشهدوا جنازة  
 الملك . وما ان غمرت أنوار النهار المكان ، حتى ضاقت الطريق  
 على رحبها بالرجال والنساء ، وقد مدت بين الصفوف موائد  
 حملت القرايين . وعندما انتصف النهار ، خطر بعض الفرسان  
 على جيادهم ، ليخلوا السبيل . وبعد قليل ، أقبل موكب  
 الاعلام ، والرماح ، والحرايب ، والقسي والشباب ، وما اليها . .  
 وتبعته أربع عربات زخرت بالموسيقيين . ثم أقبلت مظلة  
 صفراء ، تعلو وتخفض تبعا لعدم استواء سطح الطريق . .  
 وأخذت تقترب ويديا ، حتى أمكن تبين المحفة التى حملت  
 التابوت الذهبى ، الذى ضم رؤوسا ثلاثة وجسدا واحدا !  
 واذا ركع القوم ، برزت خلال جموعهم صفوف الموائد المحملة  
 بالقرايين . . وكان بعض الرعايا الأوفياء من الاعتزاز بالكرامة ،

بحيث انهم ابتلعوا الدموع وهم يستنكرون ان تحظى روحا  
الرأسين - اللذين تسببا في مصرع الملك - بالقرايين التي قدمت  
من اجل روح الملك .. ولكن أحدا لم يكن يملك في هذا الصدد  
حيلة !

ثم أقبلت مركبات الملكة والمحظيات ، فتطلع الناس اليهن ،  
ونظرن بدورهن الى الناس ، دون ان يكففن عن العويل ! ..  
وجاء بعدهن الكهنة والوزراء ، والخصيان ، والاقزام .. كل  
هؤلاء كانوا يظهرون بمظاهر الحزن ، ولكن الناس لم تكثر  
لهم .. وبدأ موكبهم بعيدا عن كل انسجام مع ما سبقه ! ..  
بل سرعان ما دب الفوضى ، في الجنازة بأسرها !

---





# حَسْرَةٌ عَلَى الْمَاضِي!

قصة من الأدب الصيني الحديث، للرواية الأشهر "لو هسُون"

## من مذكرات « شوان - شينج »

♦ أود أن أصف - إذا استطعت - حسرتى وأسأى على « تزو - تشون » ، وعلى نفسى . ان هذه الحجرة القذرة ، المتوارية فى ركن منسى من الخان ، جد هادئة وخاوية .. ان الزمن يجرى حقا ، فلقد مر عام كامل مذ وقعت فى هوى « تزو - تشون » ، وقررت - بفضلها - من هذا الهدوء الموحش ، والفراغ الخاوى .. ولقد شاء الحظ العاثر ، أن تكون هذه هى الغرفة الوحيدة الخالية ، عند عودتى .. ووجدت النافذة المهشمة ، وشجرة الخروب نصف الميتة ، وشجرة نبات « الويسطار » العتيقة - فى الخارج ( ١ ) - والمنضدة المربعة ، فى الداخل .. كل شىء على ماكان عليه من قبل ! .. وكذلك كان الجدار الناضح بالعفن والرطوبة ، والسريـر الخشبي المجاور له ، كالعهد بهما . وانى لأرقد بالليل فى السرير وحيدا ، كما كنت أفعل قبل أن أبدأ الحياة مع « تزو - تشون » ، لقد محيت السنة المنصرمة ، وكأنما لم يكن لها وجود اطلاقا .. وكأننى لم انتقل من هذه الحجرة القذرة قط ، لاتخذ مسكنا خاصا صغيرا فى شارع ( تشيتشاو ) ، وأنا ملئ بالأمل ! وليس هذا غاية الأمر ! .. فمنذ عام مضى ، كان هذا الصمت وهذا الفراغ مختلفين عما هما اليوم .. فكثيرا ماكان يخالطهما رجاء وترقب ، اذ كنت ارتقب مجيء « تزو - تشون » . وكان انتظارى يطول ، وصبرى ينفد ، ثم .. اذا بدقات كعبيـن عاليين على الرصيف الحجري ، تجتذب كل أحاسيسى ، وتردنى الى الحياة . ولا ألبث أن أرى وجهها المستدير الشاحب



— وقد اشرق بابن سامة كشفت عن غمازتين في خديها — وذراعيها النحيلتين الناصعتين ، وقميصها القطنى المخطط ، و«الجونلة» السوداء . وقد تحضر لى معها ورقة جديدة من شجرة الخروب الذابلة — القائمة خارج النافذة — لأتأملها ، أو فروعا محملة بالزهور البنفسجية الباهتة ، المدلاة من شجرة « الويسطار » العتيقة التى كان جذعها يبدو وكأنه صيغ من حديد !  
**أما الآن ، فليس ثمة سوى الصمت والوحشة القديمين !**  
 ولن تفد « تزو — تشون » ثانية .. ابدا ، ابدا .. ولا مرة أخرى !

\*\*\*

♦ لم أكن أستطيع أن أرى شيئا فى هذه الحجرة الزرية ، فى غياب « تزو — تشون » . وكنت التقط ، بدافع من الملل فحسب ، كتابا علميا أو أدبيا — فالكل عندى سواء — واقبل على القراءة ، حتى افطن الى اننى قد قلبت حوالى ائنتى عشرة صفحة ، دون أن أفقه كلمة مما قرأت .. أذناى وحدهما هما اللتان كانتا تحتفظان بحس مرهف ، حتى ليبدو لى اننى كنت أسمع كل الخطى خارج الدار ، وأميز بينها خطوات « تزو — تشون » . وكثيرا ما كانت خطواتها تنبعث وكأنها تزداد اقترابا ، ثم لا تلبث ان تزداد وهنا وخفوتا — مرة أخرى — حتى تضيع فى وقع الأقدام الأخرى ! .. لقد كرهت ابن الخادم ، الذى يلبس حذاءين نعلاهما من قماش ، لأن وقعهما يختلف تمام الاختلاف عن وقع نعلى « تزو — تشون » . ولقد بغضت جارتي الخليفة التى تستخدم المعاجين لنظرية وجهها ، والتى كثيرا ما ترتدى حذاءين جديدين من الجلد ، لأن وقع خطاها فيهما يبدو شديد الشبه بوقع خطى « تزو — تشون » !  
 ترى هل تكون مركبتها ( الركشة ) ، قد انقلبت ؟ ( ١ ) ..

( ١ ) الركشة أو الركشو : مركبة ذات عجلتين ، يجرها انسان

او تكون قد صدمتها احدى قاطرات ( الترام ) ؟  
واكاد أهم بأن أرتدى قبعتى وأنطلق لأزورها ، لولا ان عمها  
كان قد سبنى فى وجهى !  
وفجأة ، أسمعها مقبلة ، تقترب خطوة فخطوة ، وما ان  
أخرج للملاقاتها ، حتى تكون قد تجاوزت «تعريشة الويسطار»  
وقد أشرق وجهها بابتسام أبدى حسن غمازتيها . اذن فمن  
المحتمل انها لم تلق معاملة سيئة فى بيت عمها ، رغم كل  
هواجسى ؟! .. وتهدأ نفسى . وبعد أن يحدق كل منا فى الآخر  
- فى صمت - للحظة ، اذا بالحجرة الحقيرة تمتلئ بدوى  
صوتى ، وأنا أحمل على طفيان الأهل ، وعلى الحاجة الى  
تحطيم التقاليد .. واتحدث عن المساواة بين الرجال والنساء ،  
وعن « أبسن » ، و « تاجور » ، و « شيللى » . . . وهى تهز  
رأسها ، وتبتسم ، وقد زخرت عيناها بنظرة عجب شبيهة  
بنظرة الطفل ! .. وكانت ثمة صورة اشيللى - اقتطعت من  
احدى المجلات - مسمرة الى الجدار . وكانت من افضل  
الصور تبينا للمامحه ، ولكن « تزو - تشون » لم تكن تزيد -  
كلما اشرت لها نحو الصورة - على ان تلقى عليها نظرة عاجلة ،  
ثم تطوح برأسها الى الوراء ، وكأنها فى حرج وحيرة . ولعل  
« تزو - تشون » لم تكن قد جررت نفسها تماما من الآراء  
العتيقة ، فى أمور كهذه ! .. ولقد خطر لى - فيما بعد - انه  
قد يكون من الافضل أن أبدل الصورة بأخرى لشيللى وهو  
يغرق فى البحر ، او لوحة تمثل «أبسن» . ولكنى لم أسع أبدا  
الى ذلك جديا .. بل ان هذه الصورة ذاتها قد اختفت الآن !

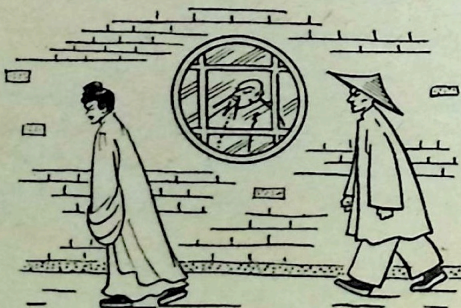
\*\*\*

♦ « اننى سيدة نفسى .. ليس لأحد منهم ان يعترض  
طريقى ! »  
أطلقت «تزو - تشون» هذا البيان بحزم ووقار ، بعد صمت



أخلدت فيه الى التفكير . . وكنا نتحدث عن عمها — الذى كان فى المدينة — وعن أبيها الذى كان فى بلدهما الأصلى . وكان كل منا قد عرف الآخر لنصف عام . وكنت — فى تلك الأثناء — قد أنبأتها بكل آرائى ، وبكل ما مر بى ، وبينت لها عيوبى . فلم أخف عنها سوى نزري سير . ولقد فهمتني هى حق الفهم ، فاذا الكلمات القلائل التى أعربت لى بها عن ذلك ، تهز العواطف فى أغوار قلبى ، وتظل تتردد فى أذنى أياما عديدة . كنت سعيدا الى درجة تجل عن الوصف ، لأن الصينيات لم يكن من الجهل والبؤس كما صورهن المتشائمون ، ولأننا لن نلبث ان نراهن فى أبهى مجدهن ، فى المستقبل غير البعيد !

وكنت كلما رافقتها الى الخارج مودعا ، حرصت على أن اظل على بضع خطوات خلفها . . ودائما ما كان وجه الجار المسن — بشعر فوديه الشبيه بشوارب الاسماك — ملتصقا بزجاج النافذة المتسخ ، الى درجة أن طرف انفه كان ينبسط لفرط التصاقه . حتى اذا بلغنا الفناء الخارجى ، بدا خلف زجاج النافذة اللامع ، وجه تلك الخليعة الصغيرة الجسم ، وقد لطخ بالمعاجين . ولكن « تزو — تشون » لم تكن تلمح هذا الوجه او ذلك ، وهى تنطلق خارجة ، رافعة الرأس فى اعتزاز .



و كنت أسير خلفها مزهوا .  
 « اننى سيدة نفسى .. ليس لأحد منهم ان يفترض  
 طريقى ! »

كان ذهنها قد استقر تماما على هذا الرأى . وكانت أكثرنا  
 مضيا وعزيمة . فما الذى يعنيه من الوجه الراضح تحت نصف  
 ما فى وعاء معجون التطرية .. أو من الأنف الذى انبسط  
 طرفه لفرط التصاقه بزجاج النافذة ؟

\*\*\*

♦ ولست أذكر بجلاء كيف أظهرتها على حبى الصادق المشبوب .  
 فان الطابع الذى بقى فى ذهنى لهذه المناسبة ، مهتز وباهت .. ليس  
 الآن فحسب ، بل عقب حدوث ذلك مباشرة ! فعندما استعدت  
 فى بالى ما جرى - بالليل - لم أستطع أن أتذكر سوى عبارات  
 مبتورة مما قلت لها .. وحتى هذه العبارات المبتورة لم تلبث  
 - بعد شهر أو اثنين من بدء حياتنا معا - أن تلاشت كالعلم ،  
 ولم تخلف اثرا ! .. كل الذى كنت أذكره ، هو : كيف ظلمت  
 حوالى أسبوعين - قبل ذلك - أفكر فى عناية فى المسلك الذى  
 كان ينبغى أن أنتهجه ، وأعد ما كان يحسن أن أقوله .. ثم  
 قررت ما كان يجب أن أفعله اذا هى صدتنى ورفضتنى ! ..  
 على ان كل هذا لم يكن ذا جدوى ، عندما حانت الفرصة . ففى  
 انفعالى ، لجأت - دون أن أعى - الى الأسلوب الذى كنت قد  
 شهدته فى السينما . ان ذكرى هذا تجعلنى اشعر بخزى عارم ،  
 ومع ذلك فهو الشئ الوحيد الذى أتذكره بجلاء . انه - الى  
 اليوم - كمصباح وحيد فى غرفة مظلمة ، يلقي ضوءه على وأنا  
 أمسك بيدها ، والدموع فى عيني ، وقد ركعت على احدى  
 ركبتي ! .....

بل اننى لم أر بوضوح كيف كان تصرف « تزو - تشون »  
 فى ذلك الوقت . كل الذى أعرفه هو انها تقبلت هواى . ومع



ذلك ، فأننى أخلنى أذكر أن وجهها شحب ، فى البداية ، ثم أخذ يتضرع تدريجاً ، حتى غدا أكثر احمراراً مما رأته فى أى وقت قبل ذلك أو بعده . وانبثق من عينيها - الشبيهتين بعيني الطفل - أسى وفرح ، امتزجا بوساوس وقلق ، بالرغم من انها تفادت أن تلتقى عيناها بعينى ، ولاح كأنما كانت تود أن تطير خلال النافذة فى ارتباكها . . إذ ذاك ، أدركت أنها قد رضيت ، مع اننى لم أدر ما الذى قالت له . . بل اننى لم أدر ما اذا كانت قد قالت شيئاً على الإطلاق !

أما هى ، فكانت تتذكر كل شيء . وكان بوسعها أن تردد كل ما قلت ، دون أن تتعلم ، وكأنها حفظته عن ظهر قلب . . وإن تصف كل تصرفاتى بدقائقها ، وتمثلها وكأنما ثمة شريط سينمائى ينبسط أمام عيني ، ويضم - بطبيعة الحال - ذلك المنظر السينمائى المستهجن الذى كنت تواقاً الى نسيانه . وكان الليل ، فى هدأة الكون ، هو وقتنا المختار لاستعادة الذكرى . وكنت كثيراً ما أتعرض للأسئلة والتحقيق ، أو أتلقي الأوامر بأن أروى كل ما قيل فى تلك المناسبة . . ولكنها غالباً ما كانت تضطر الى أن تملأ الثغرات ، وأن تصحح أخطائى ، وكأننى تلميذ فى المدرسة الثانوية !

ثم أخذت هذه الاستعراضات تقل وتباعد تدريجاً . على اننى كنت - كلما رأيتها تشرح طرفها فى الفضاء ، وقد لفها جو حنون ، وغارت غمازاتها فى ابتسامة - أدرك أنها كانت تستعيد فى ذاكرتها الدرس القديم ، فكنت أخشى أن تتمثل فى خاطرها ذلك التصرف المضحك الذى اقتبسته من السينما ! . . ومع ذلك ، فقد كنت أوقن من أنها رآته ، ومن أنها كانت تصر على أن تستعيد منظره !

غير أنها لم تكن تراه سخيلاً أو مضحكاً . ومع اننى كنت أراه مدعاة للضحك، بل وللأزدراء ، إلا أنها لم تكن تجده كذلك،

اطلاقا . ولقد أدركت ان ذلك كان راجعا الى انها كانت تحبني  
حبا صادقا ، مشبوبا !

\*\*\*

♦ وكان الشطر الأخير من ربيع العام الماضي ، هو أسعد  
أوقاتنا وأحفلها . كنت - اذ ذاك - أهذا بالا ، وان كان شطر  
من عقلي قد غدا في نشاط جسمي . وكان ذلك عندما شرعنا  
نخرج معا في الطرقات . فذهبنا عدة مرات الى المتنزه ، ولكننا -  
في أكثر الاحيان - كنا نمضي بحثا عن مسكن . وكنت أشعر -  
خلال الطريق - بالنظرات المتفرسة ، او الابتسامات الساخرة ،  
أو اللمحات التي يختلط فيها الاشتهاء بالازدراء . وكانت جميعا  
خليقة بأن تجعلني ارتجف ، لولا انني كنت أتشبث بالحذر ..  
كنت في كل لحظة أضطر الى أن أستجمع كل كبريائي واعتدادي  
بنفسي . أما هي - «تزو - تشون» - فكانت خلوا من الخوف ،  
وكانت بعيدة تماما عن ان تتأثر بكل هذا . وانما كانت تمضي  
في الطريق بخطى وثيدة ، وكان احدا لم يكن يتبدى لناظرها !  
ولم يكن العثور على مسكن بالأمر السهل .. فقد كنا نقابل  
بالرفض في معظم الحالات ، بحجة أو بأخرى . بينما كنا  
نرفض - من ناحيتنا - بعض المساكن لعدم ملائمتها . وكنا  
جد متعنتين - في بادئ الأمر - وان لم نسرف الى حد الشطط  
.. فقد رأينا ان أغلب هذه المساكن لم تكن لاثقة لسكنانا .  
بيد اننا اصبحنا - فيما بعد - لا نرجو في المسكن سوى ان  
يكون مناسبا . وشاهدنا أكثر من عشرين مسكنا ، قبل ان  
نعثر على واحد كان بوسعنا أن نقنع به .. مسكن مؤلف من  
حجرتين موجهتين للشمال ، في بيت صغير بشارع (تشيتشاو) .  
وكان صاحب البيت موظفا حكوميا صغيرا ، ولكنه كان ذكيا ..  
ولم يكن يشغل سوى الحجرتين الوسطى والجانبية ، من الدار .  
وكان أهل منزله لا يتألفون من أكثر من زوجة ، وطفل لاتزيد



سنه عن بضعة أشهر ، وخادم من الريف . وكان من الممكن ان يسود السكون ، مادام الطفل لا يبكى !

واستنفذ أاثنا - رغم بساطته - القسط الأكبر من النقود التي كنت قد دبرتها ، كما أن « تزو - تشون » كانت قد باعت خاتمها الذهبي الأوحدا . . وقرطبيها كذلك . ولقد حاولت أن أصدها عن هذا ، بيد أنها أصرت ، ومن ثم فأننى لم أمعن في الالاحاح ، فقد كنت أدرك انها ان تستشعر راحة اذا هى لم تساهم في انشاء بيتنا !

وكانت « تزو - تشون » قد اشتجرت مع عمها . . والواقع انه كان شديد الغضب ، حتى أنه تبرأ منها ! . . كما اننى كنت قد فصمت عرى الصداقة مع عدد من أصحابى الذين ظنوا انهم كانوا يحضوننى النصيح ، ولكنهم - فى الواقع - كانوا بين مشفق يخاف على ، أو حاسد يغار منى . على ان القطيعة كانت تعنى - بالنسبة لينا - راحة البال والطمأنينة . ومع ان الظلمة كانت توشك ان تسيطر على الكون ، عندما كنت أغادر ديوانى ، وكان الحوذى يضطر الى ان يمضى الهوينى ، الا اننا كنا لا نلبث ان نصبح معا ، من جديد . وكان كل منا يتأمل الآخر فى صمت - بادىء الأمر - ثم نتخفف من هواجسنا ، ونروح نتكلم فى ود وألفة . . ثم لا نلبث ان نهوى الى الصمت ثانية ، فنطرق برأسينا ، دون ان نفكر فى شيء معين .

وشييناً فشيئاً ، استطعت أن أقرأ ما بنفسها - جسدا وروحاً - فى وضوح ، وكأننى أقرأ كتاباً . . وفى ثلاثة اسابيع فحسب ، عرفت عنها الكثير ، فوق ما كنت أعرف ، وحطمت حواجز لم أكن أعرف انها كانت قائمة ، ولكننى لم ألبث أن تبينت انها كانت حواجز حقيقية !

وازدادت « تزو - تشون » انتعاشاً ، على مر الأيام . بيد انها لم تكن تحب الزهور . ولقد ابتعت من السوق أصيصين من اصص الأزهار ، ولكن أزهارهما ماتت مهملة فى أحد

الاركان ، بعد ان ظلت اربعة ايام بدون رى . ولم يكن لدى متسع من الوقت ، كى اعنى بكل شىء بنفسى على انها كانت تميل الى الحيوان ، ولعلها هواية أخذتها عن زوجة الموظف ، فسرعان ما ازداد عدد اسرتنا - فى أقل من شهر من الزمن - زيادة كبيرة . . وأصبحت لنا اربع دجاجات تشق طريقها فى فناء الدار مع دجاجات صاحبة البيت الاثنى عشرة . على ان كلا من السيدتين كانت قادرة على ان تميز بين الدجاج ، وان تتعرف على دجاجاتها . وما لبث أن انضم الى اسرتنا كلب مرقط ، ابتيع من السوق . واعتقد انه كان ذا اسم من قبل ، ولكن « تزو - تشون » أطلقت عليه اسما جديدا . . « أشوى » . وكذلك أصبحت ادعوه « أشوى » ، وان لم أحب الاسم !

**ولا بد للحب من تجديد مستمر - فى الواقع - حتى ينمو ويشمر . وكانت « تزو - تشون » تهز رأسها دلالة الفهم ، عندما أحدثها فى هذا !**

آه ! . . ما كان احلاها من ليال وادعة ، هائلة !

\*\*\*

♦ **ولا بد للطمأنينة والسعادة من أن تكونا مرتبطتين ، تعزز كل منهما الأخرى ، اذا كان لهما أن تدوما أبدا .** ولقد كانت تعرض لنا - عندما كنا فى الخان - خلافاط طارئة فى الرأى ، أو فترات من سوء التفاهم . ولكن هذه الخلافاط الطفيفة لم تلبث أن تلاشت بعد أن انتقلنا الى شارع ( تشيتشاو ) . وأصبحنا نجلس متقابلين - فى ضوء المصباح - نستعيد الذكريات ، ونستمرىء - من جديد - بهجة الوئام الجديد الذى كان يعقب شقاقتنا !

وازدادت « تزو - تشون » سمنة ، كما اشتد توردها خديها . . لم يكن ثمة ما اشفق عليها منه ، سوى انها غدت جملة المشاغل . كانت واجباتها المنزلية لا تدع لها وقتا . . حتى



للكلام ، وبالتالي للقراءة أو للخروج للتريض . وكثيرا ما كنا نقول ان من الحرى بنا ان نستأجر خادما .

ومن الأمور التي كانت تسوؤنى - عندما أعود الى البيت في المساء - أن أراها تحاول أن تخفى عني مظهرا ينم عن شقاء ، أو - وهذا ما كان يزيد من همى - تفتصب الابتسام لترسمه على وجهها . ولكننى تبينت - لحسن الحظ - ان هذا كان راجعا الى شقاق مستمر بينها وبين زوجة الموظف ، وكانت (( خميرة )) الخلاف هي الدجاجات ! .. ولكن ، لماذا كانت تأبى أن تخبرنى بذلك ؟ .. من الجدير-بالناس ان يكون لهم بيتهم الخاص .. ولم يكن هذا المسكن بالمكان الذى يصلح لاقامتنا !

وكان لى - انا الآخر - نهجى الرتيب . كنت اذهب من البيت الى الديوان ، ومن الديوان الى البيت ، ستة أيام من الأسبوع . وكنت - فى الديوان - أجلس الى مكتب ، وأنسخ ، دون ما نهاية ، الوثائق والرسائل الرسمية . اما فى البيت ، فكنت أونس « تزو - تشون » ، وأساعدها فى اشغال الموقد ، وطهو الارز وتسخين الخبز . وكانت هذه هى الفترة التى تعلمت فيها الطهو !

وكنت - فوق ذلك - اكثر اقبالا على الأكل منى عندما كنت فى الخان . ومع ان الطهو لم يكن أفضل ميزات « تزو - تشون » ، الا انها أقبلت عليه بقلبها وروحها . وكانت عوامل القلق التى تنتابها فى هذا الصدد ، تثير قلقى - أنا الآخر - وبهذا كنا نتقاسم حلو الحياة ومرها معا . وكانت تنهمك فى العمل طيلة نهارها ، فكان العرق يجعل شعرها القصير يلتصق برأسها ، كما اخشوشنت يداها .

وكان عليها - كذلك - ان تفدى « اشوى » والدجاجات .. فما كان بوسع سواها أن يؤدى ذلك . ولقد قلت لها اننى أؤثر ان لا انال أكلا ، على أن أراها ترهق

نفسها بالعمل الى هذا الحد . فاكثفت بأن رمقتنى بنظرها ، دون ان تنبس ببنت شفة . . . وبدا عليها شيء من القلق ، كما اننى لم أجد من طيب الكلام ما أزيده . غير انها واصلت العمل فى جد أكثر من ذى قبل .

\*\*\*

♦ **وما لبثت الصدمة** — التى كنت اتوقعها — ان انقضت ، فى النهاية !

ففى الأمسية السابقة للعيد العاشر المزدوج (١) ، كنت اجلس خاملا ، بينما كانت هى منصرفة الى غسل الصحاف ، عندما سمعنا طرقة على الباب . فلما ذهبت لأفتحه ، وجدت رسولا من ديواننا أسلمنى قصاصة مكتوبة ، حدثت للتو كنهها . وعندما حملتها الى المصباح ، قرأت ما حقق حدسى :  
**(( بأمر الرئيس المسئول ،**

**يفصل شيه — شوان — شينج من منصبه**

**٩ أكتوبر** **السكرتيرية** ((

كنت قد تنبأت بذلك ، مذ كنا نقيم فى الخان . فان تلك المرأة ذات الوجه المكسو بالمعاجين ، كانت من أصدقاء الميسر لابن الرئيس المسئول . وكانت اهلا لأن تنشر الشائعات ، وان تحاول إثارة المتاعب . ولم يدهشنى سوى ان هذا لم يحدث قبل الليلة . والواقع ان هذا لم يكن صدمة بالمعنى الحقيقى ، لأننى كنت قد رأيت أن بوسعى أن أتولى عملا كتابيا فى أى مكان آخر ، أو أن أشتغل بالتدريس ، أو — وهذا أكثر مشقة ، الى حد ما — أقوم ببعض الترجمة . وكنت قد عرفت رئيس تحرير « صديق الحرية » ، وراسلته ، قبل ذلك بشهرين . ومع كل هذا ، فقد راح قلبى يخفق بعنف . وكان أشد ما أحزننى ، ان رأيت « تزو — تشون » — التى لم تكن تعرف



الخوف - تشحب .. كانت تبدو - في هذه الفترة - كما لو انها كانت قد ضعفت عن ذى قبل .

وقالت : « وفيهم يهمننا هذا ؟ .. سنبدأ من جديد ، السنا كذلك ؟ .. لسوف ... » . ولم تتم عبارتها ، اذ فقد صوتها حرارته . ولاح ضوء الصباح كئيبا معتما ، على غير المؤلف .. ان البشر مخلوقات مضحكة حقا ، اذ ان من السهل للتوافه ان تقلب امزجتهم ! .. وراح كل منا يحملق في الآخر ، في صمت - بادىء ذى بدء - ثم شرعنا نتباحث فيما ينبغى ان نفعل . وقررنا - في النهاية - أن نعيش على النقود التي كانت لدينا ، ملتزمين أقصى اقتصاد ممكن ، وان نعلن في الصحيفة طلبا لمنصب كاتب أو مدرس ، وأن أكتب - في الوقت ذاته - الى رئيس تحرير « صديق الحرية » ، موضحا موقفى الراهن ، وسائلا اياه ان يتقبل احدى قطعى المترجمة ، ليعاوننى على الخروج من هذه الضائقة .

وقلنا : « لنعزز القول بالعمل ! .. لنشرع في بداية جديدة ! » ومضيت لفورى الى المائدة ، فازحت زجاجة الزيت وطبق الخل جانبا ، بينما أحضرت « تزو - تشون » المصباح الكابى الضوء . ووضعت صيغة الاعلان - أولا - ثم تخيرت نخبة من



الكتب للترجمة ، وكنت لم ألق نظرة على كتبى ، مذ انتقلنا الى هذا المسكن ، فكان كل كتاب منها مثقلا بالقبار . وما لبثت ان كتبت الرسالة ، فى النهاية . . ولقد ترددت طويلا فى اختيار كلماتها ، وكنت كلما توقفت عن الكتابة لأفكر ، أنظر الى «تزو - تشون» فى ضوء المصباح الكئيب ، فأراها وفى عينيها تلك النظرة الطافحة بالقلق . . ما تصورت قط أن يحدث أمر تافه كهذا ، مثل هذا التغير العجيب ، فى شخص له جلد «تزو - تشون» وعدم خوفها ! . . كانت قد ازدادت ضعفا - فى المدة الأخيرة - حقا . . وما كان هذا الذى اعتراها ، وليد الليلة . وقد جعلنى هذا أكثر اغتماما . وتمثلت لعين خيالى - فجأة - صورة حياة هادئة . . وومض امامى هدوء غرفتى الزرية فى الخان ، فلما هممت بأن أنفوس فى الرؤيا ، وجدتنى قد عدت الى ضوء المصباح السكابى ثانية !

وفرغت من الخطاب بعد وقت طويل . . كان خطابا طويلا ، وقد شعرت بتعب بالغ بعد كتابته ، وتحققت من اننى - انا الآخر - قد ازدادت ضعفا فى الفترة الأخيرة . وقررنا أن نرسل الاعلان والخطاب فى اليوم التالى . ثم استويننا معا ، وشددنا قامتيننا ، فى صمت . . وكان كلا منا قد ادرك قوة الآخر وجلده ، واستطاع ان يرى أملا جديدا ينبثق من هذه البداية الجديدة !

★ ★ ★

♦ **والواقع** ان هذه الصدمة ، التى انقضت من خارج عالمنا ، بعثت فىنا روحا جديدة . كنت قد عشت فى الوظيفة كطائر برى فى قفص ، لا يصيب من الحبوب - من أسرته - سوى ما يكفى لأن يستبقيه على قيد الحياة ، دون أن يزداد سمنا . ثم لا يلبث - مع مرور الزمن - ان يفقد القدرة على استخدام جناحيه ، ومن ثم فاذا قدر له أن يسرح من قفصه ، عجز عن ان يطير . على اننى قد غدوت خارج القفص ، على أية حال ، ولابد لى أن أحلق - من جديد - فى السماء الواسعة ، قبل أن تفوت



الفرصة ، مادام بوسعى أن احرك جناحي !  
ولم يكن لنا ان نتوقع نتائج سريعة ، من اعلان صغير ،  
بطبيعة الحال . كما ان الترجمة لم تكن بالمهمة اليسيرة .  
فأنت تقرأ الموضوع ، وتخال أنك قد فهمته ، حتى اذا شرعت  
في ترجمته ، ففزت امامك الصعاب من كل ناحية ، ورحت  
تتقدم في ببطء . ومع ذلك ، فقد صممت على أن ابذل خير ما في  
وسعى . وقبل ان ينقضى أسبوعان ، كانت حافة قاموس  
جديد قد اسودت من آثار اصابعي ، مما يشي بمدى الجهد  
الذي أقبلت به على عملي . . فان رئيس تحرير « صديق  
الحرية » كان قد قال ان مجلته لا تتجاهل قط أى انتاج  
كتابي طيب !

ولم يكن ثمة مكان أنجو فيه من الازعاج ، لسوء الحظ .  
كما ان « تزو - تشون » لم تعد فيما كانت عليه من هدوء  
ومراعاة . فكانت غرفتنا جد مزدحمة بالصحاف والأوعية ،  
وجد مليئة بالدخان ، فكان من المستحيل أن أعكف على العمل  
هناك . على انه لم يكن لى سوى أن ألوم نفسي ، فى الواقع  
.. كان ذنبى اننى كنت عاجزا عن ان أهيبء لنفسي حجرة  
مكتب ! .. ومما زاد الطين بلة ، وجود « آشوى » والدجاجات .  
فان هذه كانت قد كبرت ، واصبحت « خميرة » شقاق بين  
الأسرتين ، اكثر مما كانت فى أى وقت آخر !

ثم ، كانت هناك مهمة الأكل التى لا تنتهى ، فى كل يوم ..  
كانما كانت كل جهود « تزو - تشون » وقفا على وجبتنا .  
فالمرء يأكل ليكسب العيش ، ويتكسب ليأكل ! .. كذلك لم  
يكن ثمة بد من اطعام « آشوى » والدجاجات . والظاهر ان  
« تزو - تشون » نسيت كل ما كانت قد تعلمته ، فلم تكن  
تتبين انها كانت تقطع استرسال تفكيرى كلما كانت تنادىنى  
لتناول الطعام . ومع اننى كنت أبدى - أحيانا - بعض  
الاستياء ، اذ أجلس الى المائدة ، فانها لم تكن تبدى اكتر انا ،

على الاطلاق ، وانما كانت تمضى فى مضغ الطعام غير مبالية  
البتة !

واستغرقت خمسة اسابيع لتتعلم ان عملى ما كان ليخضع  
لقيود تناول الطعام فى اوقات منتظمة . ومن المحتمل انها  
حنقت - عندما تبينت هذا - بيد انها لم تقل شيئا .  
واسترسلت - بعد ذلك - فى عملى ، بمزيد من السرعة ، فلم  
البث ان ترجمت خمسين ألف كلمة . ولم يعد أمامى سوى  
أن أنقح انتاجى ، ثم ارسله الى « صديق الحرية » ، مع قطعتين  
اخرين أقصر منه . ومع ذلك ، فقد ظلت تلك الوجبات  
مصدر صدام لى . لم يعد ثمة بأس من أن يكون الطعام باردا ،  
ولكنه أصبح غير كاف . وكانت شهيتى أقل من ذى قبل اذ  
أصبحت أجلس فى البيت ، واقتصرت على استخدام عقلى طيلة  
النهار . ومع ذلك ، فانه لم يكن ثمة ارز كاف . . دائما ! كان  
الارز يقدم الى « آشوى » أحيانا ، مع اللحم الذى نادرا ما كان  
يتاح لى - أنا نفسى - أن آكله ، فى الفترة الأخيرة . وكانت  
( « تزو - تشون » ) تقول ان ( « آشوى » ) قد اشتد هزالا . والحق  
انه كان يستدر الإشفاق ، كما كان يحمل صاحبة البيت على  
أن تسخر منا . ولم تكن ( « تزو - تشون » ) تطيق أن يضحك  
أحد منها !

ومن ثم ، فلم يكن ثمة سوى الدجاجات لتقتات على فضلاتى .  
ولقد تبينت ذلك بعد وقت طويل . بيد اننى كنت أشعر تماما  
بأن « مكانى فى الكون » - كما يقول هكسلى - انما يقع فى  
نقطة ما . . بين الكلب والدجاجات !

★ ★ ★

♦ وما لبثت الدجاجات أن بدأت تظهر على مائدتنا ، بعد  
طول جدال واصرار ، فاستمتعنا و « آشوى » بها ، أكثر من  
عشرة أيام . ومع ذلك فانها كانت جد هزيلة ، اذ انها ظلت



طويلا لا تصيب سوى قدر ضئيل من الحبوب يوميا . واخذت الحياة تزداد دعة بعد ذلك ، فلم يكن يعكرها سوى ان « تزو - تشون » أصبحت فاقدة الهمة ، وبدت جد حزينة وجد ضجرة بعد ان فقدت دجاجاتها .. بل انها اخذت تزداد تجهما وبرما . فما أسهل ما يتغير الناس !

ومع ذلك ، فانه لم يكن ثمة بد من التخلي عن « آشوى » هو الآخر ! .. كنا قد كفنا عن الأمل في تلقى خطاب من اى مكان ، وانقضى وقت طويل لم يتبق فيه لى « تزو - تشون » طعام يدعو الكلب الى ان يتمسح بها ، أو أن يقف على مؤخرته ليلمسه منها . والى جانب هذا ، كان الشتاء يفذ السير مقبلا ، ولم تكن ندرى كيف نذبر أمر موقد للتدفئة . وكانت شهية الكلب للطعام عبءا طال به الأمد ، وأصبحنا مرهفى الشعور بصدها . ومن ثم ، لم يعد ثمة بد من ان يذهب الكلب - بدوره - من حياتنا !

ولو اننا ربطنا بطاقة الى عنقه ، وحملناه الى السوق لنبيعه ، لكان من المحتمل أن نصيب منه بضعة دراهم نحاسية ، ولكن ايا منا لم يقو على أن يحمل نفسه على أداء هذه المهمة . وأخيرا ، لفقت رأسه فى قطعة من قماش ، وحملته الى خارج البوابة الغربية للمدينة ، حيث اطلقتته . فلما جرى ورائى ، دفعته فى حفرة لم تكن بالغة الفور !

واذ عدت الى البيت ، وجدته أكثر هدوءا ، ولسكنى بهت لمظهر « تزو - تشون » الحزين .. أبدا لم أرها مفرقة فى الأسى الى هذا الحد . وكان حزنها من أجل « آشوى » طبعاً ، ولكن .. لماذا تحزن عليه كل هذا الحزن ؟ .. فما بالك لو اننى أنبأتها بأننى دفعته الى الحفرة !

وفى ذلك المساء ، تسلل الى مظهرها شىء جليدى كذلك .. ولم أتمالك ان قلت لها : « حقاً ! .. ما الذى داخلك اليوم يا تزو تشون ؟ » .. فتساءلت ، دون ان تنظر الى : « ماذا ؟ »

— انك تلوحين جد ..

— لا شيء هناك .. لا شيء اطلاقا !

وما لبثت أن أدركت أنها ولا بد تعتبرني فظا قاسيا . والحق اننى كنت حسن المعشر ، عندما كنت أقيم وحدى ، بالرغم من اننى كنت اشد كبرا وغرورا من أن أكثر من الاختلاط بمعارف الأسرة . ولكننى — منذ انتقالى الى هذه الحياة الجديدة — قد انفصلت عن جميع أصدقائى القدامى . ومع ذلك ، فقد كانت ثمة أبواب كثيرة ، لا تزال مفتوحة أمامى ، لو اننى تخلصت من كل هذا . كان على الآن أن أتقلب على كل هذه المحن ، من أجلها هى ، قبل أى شيء آخر ! .. وما كان التخلص من « آشوى » سوى ضرورة جاءت فى وقتها . ولكن « تزو — تشون » بدت شديدة العناد والضيق ، حتى انها أبت أن تفهم هذا !

وعندما انتهزت فرصة أشرت فيها الى هذا ، هزت « تزو — تشون » رأسها ، وكأنها كانت تفهمه . ولكننى — على ضوء مسلكها الأخير — لم أتمالك أن أحكم بأنها لم تستوعب ذلك ، أو انها لم تصدقه وتقتنع به !

\*\*\*

♦ **وتعاون** برد الجو مع برود « تزو — تشون » ، فجعلنا ارتياحى الى البقاء فى البيت أمرا مستحيلا . ولكن ، الى أين كان لى أن أذهب ؟ .. كان بوسعى أن أفر من نظراتها الجليدية ، وألوذ بالشارع أو المتنزهات ، ولكن الريح الزمهرير كانت تعصف بالمرء خارج الجدران ! .. وأخيرا ، وجدت فى المكتبة العامة ملاذا لى !

كان ولوج المكتبة مباحا ، دون ما مقابل . وكانت ثمة مدفأتان فى قاعة المطالعة . ومع أن النار كانت خافتة ، إلا أن مجرد رؤية المدفأتين كانت كفيلة بأن تدفع المرء ! .. ولم تكن



هناك كتب جديدة بأن تقرأ .. فان القديم منها لم يعد يلائم العصر ، في حين انه لم تكن ثمة كتب جديدة تذكر ! ولكنى لم أكن أذهب الى هناك بغية المطالعة .. وكنت أجد هناك نفرا ضئيلا من الناس - عادة - يصل عددهم أحيانا الى اثني عشر ، كلهم مشغلي في ثياب خفيفة . فكنا نتظاهر بالمطالعة ، لكي نبقي بمنجاة من البرد ! .. وكان هذا يلائمني كل الملاءمة ، في موقفى الذى كنت فيه .. فانت معرض في الطريق الى ان تلتقى بأناس تعرفهم ، ولا يتورعون عن ان ينظروا اليك شذرا .. أما في المكتبة ، فلم يكن ثمة ازعاج من هذا القبيل ، لأن معارفى كانوا يلتفون جميعا حول مدافئ أخرى ، أو يستدفئون حول مواقد خاصة في بيوتهم ! ومع انه لم تكن هناك كتب أطلعها ، إلا اننى كنت أجد هدوءا أفكر فيه . واذ كنت أجلس هناك ، استعرض ماضى حياتى ، شعرت بأننى اهملت كل مهام الحياة - ذات القيمة - خلال نصف العام الأخير ، من اجل الحب ، الحب الأعمى ! .. وأهملت أولا - وقبل كل شيء - مورد العيش ! .. فلا بد للرجل من أن يكسب عيشه ، قبل ان يفسح في حياته مكانا للحب ! .. وكان لا بد للراغبين في الكفاح ، من مخرج من مثل هذا الموقف ، وما كنت قد نسيت بعد ، كيف أحرك جناحى ، وان كنت قد غدوت - ولا بد - أضعف من ذى قبل !

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وتلاشت القاعة والمنكبون على القراءة فيها ، من ناظرى ، رويدا .. فرأيت صيادى السمك فى البحر الهائج ، والجنود فى الخنادق ، وعلية القوم فى مركباتهم ، والمضاربين فى «البورصة» ، والابطال فى الغابات الجبلية ، والمدرسين على منصات التدريس ، والهائمين فى ظلمات الليل ، واللصوص فى الدياجير .. .. كانت «تزو - تشون» بعيدة كل البعد ! .. لقد أضاعت كل شهامتها

في عنادها من أجل « اشوى » ، وفي استغراقها في الطهو ! ..  
 وكان الغريب في الأمر ، انها لم تصب بهزال ملحوظ بعد نكبتنا !  
 واشتد البرد ، فقد نفدت الكتل القلائل من الفحم البطيء  
 الاحتراق ، التي كانت في الموقد .. وحان وقت اغلاق المكتبة .  
 وصار حتما على ان أعود الى شارع ( تشييتشاو ) ، لأعرض  
 لتلك النظرة الجليدية . ولقد كنت أصادف - في الفترة  
 الأخيرة - شيئا من الدفء ، في نظراتها ، ولكن هذا لم يكن  
 يزيدني الا بلبلة وحيرة ! .. واني لأذكر ان النظرة الصبانية  
 البريئة - التي لم أكن قد رايتها منذ امد طويل - انبثقت ذات  
 ليلة من عيني « تزو - تشون » ، وهي تذكرني - مبتسمة -  
 بأمر كان قد حدث أثناء اقامتنا في الخان . على انه كان ثمة  
 خوف مقيم في عينيها كذلك ! .. كان يزعجها انني أصبحت  
 أعاملها - في الآونة الأخيرة - ببرود يفوق ما كانت تعاملني  
 به . وكنت أقسر نفسي احيانا على الكلام والضحك ، لأسرى  
 عنها .. ولكن خواء ضحكي وحديثي ، والطريقة التي كانا  
 لا يلبثان ان يتوردا بها فورا في أذني ، كانت تجعلها اشبه  
 بالسخرية البغيضة ، الى درجة فوق ما احتمل !

ولا بد ان « تزو - تشون » شعرت بهذا ، هي الأخرى .  
 اذ انها لم تلبث - بعد ذلك - ان فقدت هدوءها الجامد ، وبدت  
 أكثر قلقا ، وان حاولت - غاية وسعها - أن تخفي ذلك عني .  
 على انها راحت تعاملني بمزيد من الحنو الضافي !

ولقد وددت ان أصارحها في جلاء ، ولكنني لم أوت الجرأة  
 على ذلك . وكان مرأى تلكما العينين الطفلتين يضطرني -  
 كلما عقدت العزم على الكلام - الى ان أمسك عنه وأبتسم ،  
 الى حين .. ولكن ابتسامتي كانت تنقلب لفورها الى سخرية  
 مني ، فتفقدني هدوء أعصابي وتجلدي !

وعادت - بعد ذلك - الى بعث الأسئلة القديمة الى  
 الحياة ، كما شرعت في توجيه اسئلة جديدة ، فكانت تضطرني



بذلك الى كافة الوان الختل والرياء في الاجابة ، حتى ابين لها حبي . وختم الرياء على صدرى ، فملأه بالزيف الى درجة عز على معها التنفس ! .. وكثيرا ما كنت أحس - فى ضيقى - بأن قول الحق كان يتطلب شجاعة كبيرة حقا . فان الرجل الذى تعوزه الشجاعة فيروض نفسه على الكذب ، لا يمكن أن يسلك طريقا أخرى قط . بل الآنكى من ذلك ، انه لا يعود قادرا على أن يكون ذا وجود فى عالم الحقيقة !

وما لبثت « تزو - تشون » أن شرعت تبدي عنادا . وقد حدث هذا - للمرة الأولى - ذات صباح .. صباح قارس البرد ، أو هكذا خيل الى ! وابتسمت لنفسى - فى الخفاء - وقد غشيتنى استنكار بارد . اذ ان كل ماكانت تعرفه من آراء وحكمة وعبارات جريئة - خالية من الخوف - أصبحت فارغة . بيد انها لم تظن الى هذا الفراغ ! .. كانت قد هجرت القراءة من عهد طويل ، ولم تكن تدرك أن أول أمر فى الحياة هو كسب العيش ، وأن على الناس - فى سبيل ذلك - أن يتقدموا يدا فى يد ، أو أن يتقدموا فرادى . أما هى ، فكان كل ما بوسعها أن تفعله ، هو أن تتعلق بشباب سواها ، فتجعل الكفاح عسيرا ، حتى على ربيب القتال ، وتؤدى الى دمار الاثنين .. دمارها ودمار من تتعلق به !

وشعرت بأن أملنا الأوحد يكمن فى انفصالنا .. كان خليقا بها أن تنأى عنى نأيا تاما . وخالجتني - فجأة - فكرة موتها ، ولكنى استحيت لفورى وأنبت نفسى ! .. وكنا - حين خالجتني هذه الفكرة - فى الصباح ، لحسن الحظ ، فكان ثمة متسع من الوقت أمامى ، كى أصارحها بالحقيقة .. فعلى هذه كان يتوقف ما اذا كان بوسعنا أن نقدم على بداية جديدة .. وتعمدت أن استعيد لها الماضى .. وتحدثت عن الأدب ، وعن المؤلفين الأجانب ومؤلفاتهم .. وعن « نورا » و « امرأة البحر » لابسن .. واطريت « نورا » لقوة عقلها وحجاها ..

كل هذا كان قد قيل في الحجرة الزرية في الخان ، ولكنه بدا الآن خاوياً فارغاً ! .. وأصبحت لا أقوى - اذ تغادر الكلمات فمي - على أن أتحرك من التوجس من وجود جنى غير مرئى خلفي ، يردد كل ما أقول في خبث ! وكانت تصفى ، وتطرق برأسها موافقة ، وهى تلوذ بالصمت . وفرغت مما كنت أود قوله فجأة ، فتبدد صمتى في الفراغ الموحش .

وقالت بعد فترة من الصمت : « اجل ، ولكن ... اننى اشعر ياتشوان - شينج ، بأنك تغيرت كثيراً في الفترة الأخيرة .. اصحيح هذا ؟ أنبئنى ! »

وكانت هذه صدمة ، ولكننى تماسكت لأحتفظ بهدوئى ، وشرحت لها رأيى واقتراحاتى . ان نبدأ بداية جديدة ، ونقلب صفحة أخرى في حياة كل منا ، لتفادى ان يحقق بنا الهلاك معا ! ولكى أحسم الأمر ، قلت لها في حزم ! « ... والى جانب هذا ، أرى أنك لست بحاجة الى مزيد من الهواجس ، بل عليك ان تمضى بجرأة . لقد سألتنى أن أقول لك الحقيقة ، وهذه هى .. من الواجب ان لا نفرق في الزيف والرياء . واذا شئت الحق ، فان هذا راجع الى .. اننى لم أعد أحبك ! .. وهذا يبسر عليك امرك في الواقع ، اذ سيفقدو من السهل عليك ان تستغنى عني ، دون ما ندم ... »

وكنيت أتوقع موقفاً عاصفاً ، ولكن حديثى لم يعقب سوى صمت .. واستحال لون وجهها الى شحوب مربد ، فكأنه وجه جثة ميتة . ولكن لونها الطبيعى لم يلبث أن ارتد اليها بعد لحظة ، وانبعثت من عينيها تلك النظرة الشبيهة بنظرة الأطفال . وتلفتت حولها كطفل جائع يبحث عن أمه الرؤوم ، ولكن بصرها لم يقع الا على القضاء .. وراحت تتحاشى عيني وهى خائفة !

وكان هذا المنظر فوق ما أقوى على احتماله . وكان الوقت



لا يزال مبكرا لحسن الحظ ، فخفضت خلال الريح القارسة ،  
لأهرع الى المكتبة . . وهناك قدر لى أن أرى مجلة « صديق  
الحرية » ، وفيها كل مقالاتى . وكانت هذه مفاجأة هزتنى ،  
وكأنما طوحت بى الى حياة جديدة . وقلت لنفسى : « هناك  
طرق كثيرة مفتوحة أمامى لأسلكها . ولكن الأمور لا يمكن أن  
تستمر على هذا الوضع ! »

وشرعت أزور الأصدقاء القدامى ، الذين لم تعد ثمة صلة  
بينى وبينهم من أمد طويل ، ولكنى لم أقم بأكثر من زيارة او  
اثنتين . . والواقع أن غرفهم كانت دافئة ، بيد اننى شعرت  
بالبرودة تنفذ الى عظامى هناك . . وكنت فى الأمسيات ، أعود  
كارها الى حجرة أبرد من الثلج !

كانت ثمة أبرة جليدية تخز قلبى ، وتجعلنى فى ألم مستمر  
من الشقاء الجامد الراسخ . . وكنت أقول لنفسى : « هناك  
طرق كثيرة مفتوحة أمامى . . اننى لم أنس بعد كيف أحرك  
جناحى ! » . وخالجتنى - فجأة - فكرة موتها ، ولكنى  
استحييت لفورى وأنبت نفسى !

وكثيرا ما كنت أرى - فى المكتبة - طريقا جديدا يلوح لى  
فى وميض البرق الخاطف . . كنت أتصورها تواجه الواقع فى  
شجاعة ، وتبرح هذا البيت الجليدى . . وتتركه - فوق  
ذلك - دون أن تكون بنفسها ضغينة نحوى ! . . اذ ذاك كنت  
أشعر بأننى أغدو خفيفا كسحابة تطفو فى الفضاء ، والسماء  
الزرقاء فوقها ، والجبال الشاهقة والمحيطات الشاسعة  
تحتها . . والبنائات الضخمة ، وناطحات السحاب ، وميادين  
القتال ، والسيارات ، والحارات ، وبيوت الاغنياء ، والأسواق  
المضيئة الزاخرة ، والليل الحالك البهيم . . .

والأكثر من هذا ، اننى شعرت بأن هذه الحياة الجديدة  
كانت تنتظرنى عند منعرج الطريق !  
واستطعنا - بطريقة ما - ان نعيش معا خلال شتاء (بكين)

القارس . ولكننا كنا اشبه بزنبارين وقعا في أيدي اطفال اشرار، ربطوهما بخيط ، وراحوا يلعبون بهما ويعذبونهما وفق هواهم ! .. ومع اننا خرجنا من هذه المحنة وفينا رفق من الحياة ، الا اننا كنا بلا حراك .. وكانت النهاية أمرا محتوما .. مسألة متعلقة بالوقت فحسب !

وتعاقبت ثلاث رسائل على رئيس تحرير « صديق الحرية » قبل ان يرد . وكانت رسالته تضم اذنين بمبلغين - كأجر رمزي - احدهما بعشرين « سنت » ، والآخر بثلاثين « سنت » ، عن كتابين .. وكنت قد انفقت تسعة « سنتات » رسما للبريد عن الخطابات التي كنت أتعجل بها الدفع ، كما كنت قد قضيت يوما بأكمله جائعا ، دون ان أكسب شيئا ! ومع ذلك ، فقد شعرت بأنني قد نلت - اخيرا - ما كنت ارجو !

\*\*\*

♦ **وأخذ الشتاء** يفسح مكانه للربيع ، ولكن الريح لم تهدأ ، بل كانت شديدة البرد . واصبحت اقضي مزيداً من الوقت هائما خارج البيت دون أن أعود اليه - عادة - قبل الغروب . وفي احدى الأمسيات المظلمة ، عدت الى البيت منهوك القوى كعادتي .. وكعادتي ، اشتد كربى اذ رايت باب البيت ، فقصرت الخطى .. على اننى لم ألث ان بلغت غرفتي ، فاذا بها مظلمة . وفيما كنت اتحسس مكان الثقاب لأشعل النور ، بدا لى المكان اكثر هدوءا ووحشة من العهد به . وكنت أقف فى حيرة ، عندما نادتنى زوجة الموظف - خلال النافذة - وقالت ببساطة : « **لقد أتى والد تزو - تشون اليوم، وأخذها !** »

ولم يكن هذا فى حسابانى . وشعرت كأن ضربة هوت على مؤخر رأسى ، فوقفت لا أحيـر كلاما . ثم غالبت نفسى - فى



النهاية - لاتسائل : « هل ذهبت ؟ . »

وكان الجواب : « نعم ! » . .

- وهل قالت أى شىء ؟

- لا ، بل سألتنى أن أتأكد - اذا ماجئت - بأنها ذهبت . .

فقط !

ولم أكد أصدق ذلك ، ولكن الحجرة كانت أكثر هدوءا ووحشة من العهد بها . وبحثت عن « تزو - تشون » فى كل مكان ، ولكن كل ما وسعنى أن أراه هو ذلك الأثاث القديم الحائل اللون ، الذى بدا مبعثرا ، متباعد القطع ، وكأنما كان يكشف عن عجزه عن أن يخفى شيئا أو شخصا . وخطر لى أنها ربما كانت قد تركت رسالة ، أو سطرت بضع كلمات على عجل ، على الأقل . ولكن ، لا ! . . لم يكن ثمة سوى ملح ، وفلفل احمر مجفف ، ونصف كرنبة ، وضعت جميعا معا ، مع بضع عشرات من النقود النحاسية الى جانبها . كان هذا كل متاعنا من حطام الدنيا . . وها هى ذى قد عنت بترك كل هذا لى ، وكأنما كانت ترجونى - دون ما كلام - أن أستخدم هذه الأشياء لأقيم أودى فترة أطول !

واذ شعرت بأن الأشياء التى أحاطت بى كانت تكربنى وتجنم على صدرى ، أسرع الى الفناء ، حيث كان الظلام يحوطنى . وتجلى ضوء باهر خلال ورق نوافذ الحجرات الوسطى ، حيث كان الموظف وزوجته يدغدغان طفلهما ليحملاه على الضحك . وأخذ فؤادى يهدأ ، وبدأت المخرججا من هذا الضيق الشديد : الجبال الشاهقة ، والآجام الشاسعة ، والطرق الخلوية ، والمآدب ذات الأضواء البراقة ، والخنادق ، والليل الفاحم الظلمة ، ووخزة خنجر حاد ، وخطى غير مسموعة الوطء . . . وارتاحت نفسى ، ففكرت فى نفقات الترحال ثم تنهدت أسى !

\*\*\*

♦ ورحت اتمثل صورة لمستقبلى ، وانا مستلق مغمض

العينين ، ولكن الصورة تلاشت قبل ان ينتصف الليل . وخيل الى اننى ارى وسط الظلام - وعلى حين غرة - كوما من مواد البدالة ( البقالة ) ، ثم وجه «تزو - تشون» الشاحب بينها ، يحملق فى ، وكأن عينيه الشبيهتين بعينى الطفل تضرعان الى . ولكننى لم أكد أتمالك نفسى حتى تلاشى كل شىء !

على أن قلبى ظل مثقلا . لم لم أنتظر بضعة أيام ، بدلا من أن ألفظ الحقيقة فى وجهها بهذا الشكل ؟ .. لقد أيقنت بعد ذلك أنه لم يبق لها سوى حب أبيها الصارم - الذى كان مع أولاده جامد القلب كالدائن - وجفاء الناس .. وفيما عدا ذلك ، لم يكن ثمة سوى الخواء الموحش . ما أقسى تحمل عبء الفراغ الموحش الثقيل الوطأة ، الذى يجرم على المرء وهو يشق طريقه فى الحياة بين الصرامة والجفاء ! .. ثم لا تظفر فى النهاية بشىء .. ولا شاهد من حجر يحمل اسمك ، على القبر !

لقد ظننت ان «تزو - تشون» خليفة بأن تمضى فى الحياة ، جريئة ، بلا هواجس ، اذا أنا صارحتها بالحقيقة .. تماما كما كانت حالها عندما بدأنا العيش معا . ولكنى كنت مخطئا ، ولا بد .. فقد كان تجردها من الخوف راجعا الى الحب ! اننى لم أوت الجلد على تحمل عبء الرياء الفادح ، ومن ثم فقد ألقيت عليها عبء الحقيقة . وكان عليها - لأنها أحببتنى - ان تحمل هذا العبء ، بين الصرامة والجفاء ، مدى الحياة ! ولقد فكرت فى موتها .. .. لشد ما تبينت اننى كنت خائرا ! لكم كنت استحق أن ينبذنى من هم أقوى منى ، سواء كانوا صادقين أو كانوا مرأئين ! ومع ذلك ، فقد كانت «تزو - تشون» تأمل - من البداية - أن أكون أطول منها عمرا !

\*\*\*

♦ ورغبت فى ان أبرح شارع (تشيتشاو) ، فقد كان المسكن



جد موحش ، وجد خاو . وخطر لى اننى لو استطعت الفرار منه ، لعاودنى ما كنت أستشعره و « تزو - تشون » الى جانبى . . أو لشعرت كما لو انها كانت لاتزال فى المدينة بحيث يتاح لها ان تفاجئنى بزيارتها. فى أى وقت ، شأنها عندما كنت أقيم فى الخان !

ومع ذلك، فان رسائلى ظلت بلا جواب ، كما كانت رجاواتى الى الأصدقاء كى يبحثوا لى عن منصب . ولم تكن ثمة حيلة سوى ان اذهب لأزور اسرة من المعارف ، لم اكن قد زرتها من امد بعيد . وكان ربهها زميلا قديما من زملاء عمى فى الدراسة، من العلماء الكبار ذوى المكانة الرفيعة ، وقد عاش فى ( بكين ) سنين عديدة ، وكان محوطا بعدد وفير من المعارف .

ورمقنى حارس بابيه باستهجان - لابد ان مبعثه زراية ملبسى - ولم يدعنى ألج الدار الا بعد عناء . وكان صديق عمى لايزال يذكرنى ، فعاملنى بفتور بالغ ، اذ كان يعرف كل شىء عنا .

وقال لى ببرود ، بعد أن سألته ان يزكىنى لعمل فى أى مكان : « من الجلى انك لاتملك الاقامة هنا . ولكن الى أين تراك تذهب ؟ . . انه لأمر جد عسير ، ان . . أ . . ان صديقة لك . . اعتقد انك تعرف ان « تزو - تشون » قد ماتت ! » وصعقت . . ثم تمتمت ، فى النهاية ، مرتبكا : « أوافق انت ؟ »

فأرسل ضحكة مصطنعة ، وقال : « بلا شك . . أن خادمى « وانج شينج » من قرية أهلها »  
- ولكن . . كيف ماتت ؟

- من يدري ؟ . . انها - على كل حال - قد ماتت !  
ولست اذكر كيف استأذنت للانصراف ، ولا كيف غادرت الدار . . كل الذى أدركته هو أنه ما كان ليكذب ، وأن « تزو - تشون » لن تكون ثانية معى أبدا ، كما كانت فى العام الماضى . .

ومع انها أرادت أن تحمل عبء الفراغ والوحشة بين الصرامة والجفاء ، الى نهاية أيامها ، الا أن العبء كان أثقل مما تحتمل !  
لقد شاء لها القدر أن تموت وهي تعرف الحقيقة التي صارحتها بها .. أن تموت محرومة من الحب !

وكان من الجلى فعلا ، اننى لن أقوى على البقاء فى المدينة .. ولكن ، الى اين اذهب ؟

كان كل ماحولى فارغا ، ساكنا ، كالموت .. لكأننى كنت أرى الظلام الذى يتمثل لعينى كل شخص يموت محروما من الحب ، وأسمع كل الصيحات المريرة اليائسة التى كانت تصدر عن المحرومين فى كفاحهم !

ورحت انتظر شيئا جديدا .. شيئا لا اسم له .. شيئا غير جلى ولا مرتقب ، ولكن الأيام توالى فى نفس السكون المميت !

.....

واصبحت أقل من ذى قبل مغادرة لمسكنى ، فكنت اجلس أو أرقد فى هذا الفراغ الموحش العظيم ، تاركا هذا السكون القاتل ينهش روحى ! .. وكان الصمت ذاته يبدو أحيانا خائفا ، منكشفا .. وفى مثل هذه الأوقات ، كان يومض أمامى أمل جديد ، غير مرتقب ، لا ادري كنهه !

وفى ذات صباح ملبد بالغيوم ، وقد عجزت الشمس عن





الجهاد لتشق لنفسها طريقا من وراء السحب ، وبدأ الهواء ذاته كليلا خاملا ، اذا بدبيب قدمين صغيرتين وتهدج أنفاس لاهثة ، يحملاننى على أن أفتح عيني . ولم تكشف لى النظرة — التى طوفت بالحجرة — عن شيء ، ولكنى عندما انعمت النظر الى الأرض ، رأيت مخلوقا صغيرا يزحف فى المكان .. ناحلا ، مغبرا ، أقرب الى الموت منه الى الحياة . . . . .  
وعندما تفرست فيه ، أوشك قلبى ان يكف عن الوجيب .  
وقفزت من مرقدى .. كان القادم « اشوى » .. لقد عاد !

\*\*\*

♦ **ولقد** غادرت شارع ( تشيتشاو ) ، لا من جراء نظرات صاحب البيت وخادمه ، وانما بسبب « اشوى » بوجه خاص . ومع ذلك ، فالى أين كنت املك أن أذهب ؟ .. لقد كنت اتبين — طبعا — ان امامى سبلا مفتوحة ، وكان يخيل الى اننى أراها ممتدة أمامى .. ومع ذلك فاننى لم أكن أعرف كيف اتخذ الخطوة الأولى !  
وبعد تدبر طويل ، قررت أن الخان كان هو المكان الأوحده الذى أستطيع أن أستقر فيه . فها هى ذى الغرفة الزرية على ما كانت عليه من قبل ، والسرير الخشبى ذاته ، وشجرة الخروب نصف الميتة ، وشجرة الويسطار ! .. **ولكن المصدر الذى كان يهينى — فيما مضى — الحب والحياة والأمل والسعادة تلاشى .. فليس هناك سوى الخواء والفراغ .. الحياة الفارغة !**  
ان ثمة سبلا كثيرة مفتوحة أمامى ، ولا بد لى من أن أسلك أحدها ، لأننى لا ازال على قيد الوجود . ومع ذلك فاننى مازلت اجهل كيف أتخذ الخطوة الأولى .. وان الطريق لبدو احيانا عريضا ، مغبرا ، مظلما ، ملتويا كالأفعوان ، يختلج ويندفع وكأنه يهم بأن يطعننى . وانى لا أنتظر ، وانتظر ، وأرقبه يقترب ، ولكنه دائما يختفى فجأة فى الظلام .

ان ليالى بواكير الربيع لاتزال طويلة كهدها . وانى لأجلس  
طويلا خاملا ، واستعرض أمام عيني الخيال موكبا جنائزيا  
رأيتة فى الطريق ، فى هذا الصباح . كانت ثمة اشكال من الورق  
- فى المقدمة - تمثل اشخاصا وجيادا ، كما كان فى المؤخرة  
عويل يبدو كأنه الزغاريد . واذا ذاك ، تقفز صورة جنازة  
« تزو - تشون » الى خاطرى . **لقد حملت عبء الفراغ الموحش**  
**- على ثقله - وحدها ، وسارت فى الطريق الطويل المعتم . .**  
**حتى ابتلعتها القسوة الصارمة ، والجفاء البارد !**

لكم اتمنى لو انه كانت ثمة اشباح ، وكان ثمة جحيم حقا .  
ذلك لأننى لن احجم - مهما تهدر ريح الجحيم - عن أن اذهب  
للبحث عن « تزو - تشون » ، لأخبرها بندمى وحسرتى  
وأساى ، والتمس غفرانها . . والا فقد تحيط بى السنة  
الجحيم السامة ، وتبتلع - فى وحشية - ندمى وأساى !  
**وفى دوامة اللهب الجامح ، سأحيط بذراعى «تزو - تشون» ،**  
**وأسألها الصفح ، أو أحاول أن أجعلها سعيدة . . . .**

على ان هذا أكثر خواء من الحياة الجديدة . وليس هناك  
الآن سوى ليل اوائل الربيع . الليل الذى لايزال طويلا كالعهد به .  
ولا بد لى من أن أبدأ من جديد ، مادمت على قيد الحياة . ولن  
تتطلب الخطوة الأولى سوى أن أصف ندمى وحزنى ، من أجل  
« تزو - تشون » ، ومن أجل نفسى !  
ان كل ما لدى هو عويل ينبعث كالزغاريد ، وانا اندب  
« تزو - تشون » ، وأدفعها فى النسيان !

**أريد أن أنسى . لا أريد - لمصلحتى - أن أذكر النسيان**  
**الذى جعلت منه مدفنا لتزو - تشون !**

يجب ان أبدأ الحياة من جديد . . يجب أن أخفى الحقيقة  
فى أعماق قلبى الجريح ، واتقدم وئيدا ، مستهديا فى سبرى  
بالنسيان والزيف والرياء ! . . . .





حادثة!

قصة من الأدب الصيني الحديث، للكاتب الكبير "لو شون"

♦ ست سنوات مضت ، مذ جئت من الريف الى العاصمة .  
ولقد سمعت ورأيت - في تلك الأثناء - ما يكفي ، مما يسمونه  
« أمور الدنيا » ، لكن شيئا منها لم يترك أثرا كبيرا في نفسى .  
فاذا ما سئلت أن أحدد تأثيرها ، فليست أملك أن أقول سوى  
انها زادت مزاجى حدة ، وجعلتنى - بصريح القول - أكثر  
بغضا للبشر .

على ان حادثا عرض لى ، فاثار في نفسى كثيرا من المعانى  
التي ايقظتنى من سوء الطباع ، حتى اننى لا اقوى على نسيانه ..  
الى اليوم !

ففى شتاء سنة ١٩١٧ ، اضطررنى كسب العيش الى ان  
أغادر فراشى ودارى مبكرا ، بينما كانت ثمة ريح صرصر عاتية  
تهب من الشمال . ولم أكد أصادف مخلوقا فى الطريق ، كما  
وجدت مشقة حتى استطعت أن أستأجر مركبة من مركبات  
« الركشة » ، تقلنى الى بوابة ( س .. ) . وما لبثت  
الريح ان خفت قليلا ، بعد أن أزاحت جميع الغبار المتناثر ،  
وخلفت الطريق نظيفا ، فاستطاع الحوذى ان يغذ الخطى .  
وفيما كنا تقترب من بوابة ( س .. ) ، اذا بشخص يعبر  
الطريق ، فتشتبك ثيابه بمركبتنا ، ويهوى الى الأرض ويثدا .  
.. كانت امرأة ، وخط الشيب شعرها ، وقد ارتدت أسمالا  
مهلهلة . وكانت قد غادرت الرصيف دون انذار ، لتعبر الطريق  
امامنا مباشرة . ومع ان الحوذى كان قد أفسح لها سبيلا ،  
الا أن سترتها الممزقة ، العديمة الأزرار ، كانت تتطاير مع  
الهواء ، فاشتبكت بذراع المركبة . ومن حسن الحظ ان الحوذى  
كان قد أوشك على الوقوف ، والا كان من المحقق أن تأتى  
السقطة غنيمة تصيب المرأة بجرح بالغ



وظلت المرأة مستلقية على الأرض ، بينما وقف الحوذى تماما . ولم أر أن من المحتمل أن تكون العجوز قد أصيبت . كما انه لم يكن ثمة شهود لما حدث ، فضايقنى من الحوذى هذا التلكؤ الذى كان خليقا بأن يوقعه فى المتاعب ويعطلنى . لذلك قلت له : « لا ضرر هناك .. تابع سيرك ! »

لكنه لم يولنى انتباها - بل لعله لم يسمع قولى - وانما أنزل ذراعى المركبة ، واخذ يساعد العجوز بلطف حتى نهضت . واذا كان يساندها بذراع واحدة سألها : « أنت بخير ؟ »

- لقد أصيبت ..

وكنت قد رأيتها وهى تهوى ببطء واناة ، فافقت بأنها لا يمكن أن تكون قد أوذيت ، بل لا بد من انها كانت تصطنع ذلك ، وهو أمر كان خليقا بأن يلقي منى استنكارا .. لقد كان الحوذى يبحث عن المتاعب ، وها هو ذا قد حصل عليها ، فعليه وحده اذن أن يخرج نفسه منها !

بيد ان الحوذى لم يتردد لحظة - بعد ان قالت العجوز انها قد أصيبت - بل ظل ممسكا بذراعها ، يساعد على السير ببطء .. وتطلعت الى الامام فرأيت احد مراكز البوليس ، وقد حالت الرياح دون أن يوجد أحد خارجه . ومضى الحوذى يساعد



المرأة على التقدم .. حتى باب المركز !

وفجأة .. انتابني شعور غريب . لقد خيل الى ان شمكه  
الأعبر ، المتباعد ، قد تضمح فاصبح - في تلك الوهلة - أكبر  
من حقيقته . وأخذ يزداد ضخامة ، كلما ابتعد ، حتى لقد  
أصبح على أن أصعد البصر الى أعلى لأراه ! . وفي نفس الوقت . .  
خيّل الى انه يسلط على ضغط متزايدا ، بدا انه يوشك ان  
يسيطر على النفس الضئيلة الكئيمة تحت معطفى الموشى بالفراء !  
وخيل الى - وأنا جالس فى مكانى دون ما حركة - ان  
حيويتى بدأت تفيض ، وان عقلى يخوى . . الى أن أقبل أحد  
رجال البوليس ، فهبطت من المركبة .  
وجاءنى الرجل فقال : « استقل مركبة اخرى .. فلن  
يتسنى له المضى بك بعد ذلك » .

وبدون ما تفكير ، وجدتنى أخرج من جيب معطفى حفنة  
من النقود النحاسية ، فأسلمها الى رجل البوليس قائلا : « تكرم  
باعطائه هذه ! »

وركدت الريح تماما ، لكن الطريق ظل هادئا .. وسرت فى  
سبيلى أقلب الفكر ، ولكنى كنت خائفا من أن أعكس أفكارى  
على نفسى ، ولو اننى غضضت النظر عما حدث ، فما الذى  
كنت أعليه بحفنة النقود ؟ .. أهى مكافأة ؟ ومن أنا حتى أقيم  
نفسى حكما على الحوذى وأهلا لتقدير أعماله ؟ .. لكن  
اجابة ما لم تواتنى قط !

ان هذا الحادث لايزال واضحا فى ذاكرتى حتى الآن ، وكثيرا  
ما بعث فى نفسى الهم ، وحملنى على أن أفكر فى هذه النفس ! ..  
لقد نسيت الشئون الحربية والسياسية لتلك الفترة . . تماما  
كما نسيت المؤلفات الأدبية القديمة التى قرأتها فى طفولتى .  
أما هذا الحادث ، فما زالت ذكرأه تعاودنى ، فى حيوية تفوق  
الحياة الحقيقية ، فتعلمنى الشعور بالخجل ، وتستحثنى على  
الإصلاح ، وتمدنى بشجاعة جديدة . . وأمل !



## (الأوبرا) في أدب الصين . . .

♦ قدمنا لك فيما سبق من صفحات هذا الكتاب ، نموذجين من القصص الصينى العريق ، الممعن فى القدم الى درجة يتعذر معها معرفة المؤلفين . . وهذان هما قصتا : « جواهر الغانية » و « صانع الذهب » . كما قدمنا نموذجين من القصص الصينى الحديث ، للكاتب الخالد « لوشون » ، هما : « حسرة على الماضى » - التى تمثل الصراع بين الشباب الحديث والثقافة ، والمجتمع الرازح تحت ركامات من التقاليد - و « حادث ! » . ثم قدمنا لك قصة من الأدب القديم ، صاغها « لو شون » بأسلوب حديث ، واتخذها رمزا للصراع بين الحق والظلم . . وهى قصة « السيف العجيب » .

وان تكتمل لديك الفكرة الشاملة عن الأدب الصينى العريق ،  
الا اذا قدمنا لك أحـدى « الأوبرات » . . فان فن كتابة  
(الأوبرا) من أبرز ألوان الأدب هناك .

ومن الطبيعى أن تسبق المسرحيات « الأوبرات » فى الظهور . وهذا ما حدث فى الصين فعلا . وقد ظهر فن كتابة المسرحيات وازدهر ، قبيل نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . ثم ازداد ازدهارا وثباتا ، فى القرون الثلاثة التى تلت ذلك ، اذ استتب خلالها الحكم لأسرة « منج » ولم تعد البلاد موزعة بين القلاقل والحرب . وعندما قدر للأوبرات أن تظهر ، صادفت رواجاً وتحبيذاً . ثم ادخلت - فى أواسط القرن الثالث عشر - تجديدات على فنى التلحين والغناء ، فى « الأوبرات » التى كانت شائعة فى الحوض الجنوبى لنهر ( يانجتسى ) ، فخلق بذلك نوع خاص من « الأوبرات » ، اشتهر فى الصين باسم « أوبرا كرنشو » ، وهو يقوم أساسا على الجمع بين الكلام والغناء ، كما سبرى القارىء فى « الأوبرا » التى تقدمها له

فيما يلي ، اذ يتخلل الحوار أبيات من الشعر ، ترجمناها له  
شرا .

وأدى هذا الى مرحلة جديدة في تاريخ المسرح والموسيقى  
والفناء في الصين . وترتب على هذه النهضة ظهور مدارس  
مختلفة في فن « الأوبرا » ، منها ما وجه عنايته الى الناحية  
الأدبية والأسلوبية في القصة ، ومنها ما ركز اهتمامه في الناحية  
الموسيقية والغنائية والتمثيلية قبل كل شيء .. ومنها ما عني  
بالناحيةين على السواء . وقد كان من قادة هذه المدرسة  
الأخيرة « تشو سو - تشين » ، الذي ترجمنا « (العدالة) » عن  
« الأوبرا » التي صاغها في أواسط القرن السابع عشر ،  
« تشو سو - تشين » في حقبة من الزمن ، كان الفساد قد  
دب فيها في الأداة الحاكمة للصين ، فبدأ الفلاحون في التمرد  
وإثارة القلاقل ، ومن ثم اتخذت « الأوبرات » طابعا قوميا ،  
اصلاحيا ، يحذ الروح الوطنية ، ويحارب الفساد والتداعي ،  
ويكشف عن محن القوم وعن نواحي الاصلاح

\*\*\*

• ونقول ان « تشو سو - تشين » صاغ - وليس الف -  
هذه « الأوبرا » ، التي تقدمها فيما يلي ، لأنه لم يكن - في  
الواقع - صاحب الفكرة الأولى فيها ، وإنما هو اقتبسها عن  
الأدب الشعبي القديم ، وقد أخذ عقدة هذه الأوبرا ، عن قصة  
كانت شائعة قبل القرن الرابع عشر ، وقد عرفت باسم  
« أعدام تسرى نينج ظلما » .. وهي تدور حول رجل فقير ،  
اقترض من حميه خمسة عشر خيطا من النقود ، ليبدأ بها  
تجارة . ثم شاء أن يمازح محظيته ، فزعم لها أنه باعها بهذا المبلغ ،  
مما حملها على أن تهرب في جناح الظلام . واذا أوشكت أن تضل  
طريقها ، التقت بتاجر شاب يدعى « تسوى نينج » ، كان  
يقصد المكان الذي فكرت في أن تلوذ به ، فسارت معه .



وتصادف ان كان الشاب يحمل خمسة عشر خيطا من النقود .

وفيها كان الشابان في الطريق ، اغتيل مولى المحظية ، وارتاب المسئولون في الأرة - عندما اكتشفوا غيابها عن الدار - فانطلقوا وراءها حتى لحقوا بها في رفقة « تسوى نينج » ، فاعتبروه عشييقها ، واتهموها بسرقة خيوط النقود الخمسة عشر ، واغتيل الرجل . وكان أن أعدما ظلما . على أن الايام لم تلبث أن كشفت عن القاتل الحقيقي ، ولكن .. بعد فوات الفرصة لأصلاح الخطأ ، وتحقيق العدالة للمظلومين .

على أن « تشو » آثر للعدالة ان تنتصر ، بان اضاف الى القصة الأصلية عقدة قصة قديمة اخرى ، مؤداها ان فارا سرق بعض المصوغات من غرفة فتاة ، ودلف بها الى حجرة شقيق خطيبها .. ثم سرق خمسة عشر خيطا من النقود ، من غرفة جار آخر ، ودلف بها الى غرفة الفتاة دون ان تظن . وشاءت المصادفة للفار ان يجر الى غرفة ذلك الجار كعكة مسمومة ، عثر عليها الرجل فأكلها ، ومات ! .. وبالبحث ، وجدت الخيوط النقدية لدى الفتاة ، ووجدت المصوغات لدى شقيق خطيبها ، فاتهما بأنهما عشيقان ، وبأنهما اغتالا الجار ليحصلوا على نقوده ويفرا بها معا ! .. على ان « تشو » وضع في مكان « الفار » - لادما اقتبس القصة لأوبراه - لصا احتفظ له بقلب « الفار » !

وأدى ادماج القصتين الى ان صارت « الاوبرا » تتألف من ثمانية وعشرين مشهدا . على ان المعنيين بفن « الأوبرا » - في القرن الثامن عشر - فطنوا الى أن الرواية بوضعها هذا ، طويلة الى درجة الأملال . فأقبلوا يدرسون أصلها ، ثم عمدوا الى اختصار بعض مشاهدنا ، والى تجريدها من بعض

الأحداث البعيدة عن المعقول ، ومن بعض المبالغات . فكان من نتائج هذا الاختصار ، انه ساعد على ايضاح الهدف الذي ترمى اليه المسرحية . . وهو مهاجمة القضاة الذين لا يعبأون بتحري العدالة - ممثلين في القاضي « كو » الذي حكم على الشايين بالاعدام - ومهاجمة كبار الموظفين الذين لا يفهمون مناصبهم الكبرى الا على انها ترف وسلطان ومظهر ، ممثلين في الحاكم « تشو » في الأوبرا التي سنقدمها لك بعد هذه السطور





عَلَامَة

«أوبريت» من الأدب الشعبي الصيني

## المشهد الأول

♦ سمعان يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الأمامى الذى يمثل طريقا عامة ، يترنح فيها « يو » ثملا ، وقد حمل على كتفه خمسة عشر خيطا مثقلة بالنقود (١)  
يو : أف ! .. ما أثقلها .. كلما شربت انشربت نفسى .  
وكلهما خسرت قل ما عندى ..

ورحت « فى يأسى - وقد طال اغلاق حانوتى -  
أهيم على وجهى ، جريا وراء نقود أقترضها !  
لقد عشت على القروض ورهن متاعى ، مذ أغلقت حانوتى الذى كنت أبيع الخنازير فيه . وأسودت الدنيا فى وجهى . ولكن  
أخت زوجتى العزيزة الزاحلة - التى تقيم فى ( كواتشياو ) -  
طيبة القلب ، سخية ، لحسن الحظ ، وقد قدمت لى اليوم  
قدحين من النبيذ ، وأقرضتنى خمسة عشر خيطا مثقلة  
بالنقود ، لا بدأ بها تجارتى من جديد !  
فمن مثل أخت زوجتى ؟

ومن غيرها من النساء تبذل الفقير ما بذات ؟  
وها قد دوت نوبة المساء ، وأوشكت أن أبلغ دارى مع الفسق  
لقد اعتدت - فى الماضى - أن أعهد الى العم « تشين » بابتياح  
الخنازير لى . وعندما أذهب الى السوق غدا ، بأسأله - من  
جديد - أن يعيننى . ها هى ذى داره ، فهل تراه هنا ؟ .. ايها  
العم « تشين » !

تشين ( من وراء الستار ) : من المنادى ؟  
يو ( بصوت عال ) : انه أنا ( يقلص عضلات وجهه ) تعال !

(١) بان الصينيون القدامى يسلكون قطع النقود فى خيوط ، يحمل كل  
منها عددا معينا من العملة .



تشين ( وهو يدخل ) : اذن ، فهذا انت يا «يو» الحميم ! ..  
أما زلت سادرا في الأعيك ؟ ! .. ان الليل يزحف ، فماذا  
تبتغي منى ؟

يو : انظر يا عماه ! ( يشير نحو النقود مزهوا )

تشين : من أين لك بكل هذه النقود ؟

يو ( مازحا ) : سرقتها من عابر طريق

تشين : ها أنتذا تعود الى المزاح ثانية

يو ( ضاحكا ) : اذا شئت الحقيقة ، فان هذه الخيوط

الخمسة عشر ، المثقلة بالمال ، قرض من أخت زوجتى فى

( كواتشياو ) لتكون رأس مال لتجارتي

تشين : مرحى ! بهذا تستطيع ان تفتح حانوتك من جديد ،

ولن تحمل بعد هم التفكير فى مصدر وجبتك التالية . كذلك

ستزداد مبيعاتى من الخمر والزيت . فلنذهب معا ، كعادتنا ،

اذا شئت أن تبتاع خنزيرا ، فى غد !

يو : شكرا لك يا عماه

تشين : أراك ثملا ، وأخشى ألا تتذكر . سأتى غدا لاصطحبك

يو : شكرا .. شكرا !

تشين : الى غد اذن ! ( يخرج ، ويسير « يو » الى داره )

يو : اننى اذ أبارح حانوت تشين للبدالة ،

أصل الى حانوتى لبيع لحم الخنزير !

( يدق باب الدار ) افتحى الباب .. افتحى !

( تزاح السنار الداخلية ، فتكشف عن بيت «يو» . وتدخل

سو شو - تشوان )

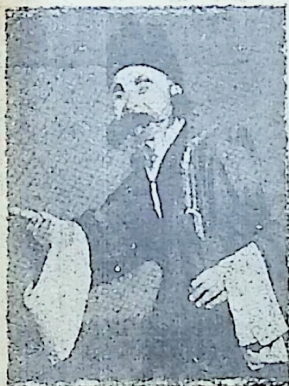
سو : ها أنذى قادمة ! ( تفتح الباب ) اذن فقد عدت يا أبى !

يو : أجل يا ابنتى ( يضع النقود عن كاهله )

سو : من أين لك بكل هذه النقود ؟

يو : من أين تظنين ؟

سو : هل اقترضتها ؟



یو - هو - لو  
قام بتمثيل دوره :  
( تشون تشوان تشينج )

سو شو - تشوان  
قامت بتمثيل دورها :  
( شانج شيه - نجو )

یو : ومن ترينه يتفضل فيقرضني مبلغا كهذا ؟  
سو : اذن فكيف حصلت عليها ؟  
یو : آه ، لم يعد من سبيل الى التكتّم عنك . لقد خرجت  
اليوم فصادفت السيدة « تشانج » الخاطبة ، فاخبرتني بأن  
ابنة السيد وانج تنأهب للزواج ، وبحاجة الى جارية ..  
ومن ثم بعثها اياك بخمسة عشر خيطا من النقود !  
سو : ما أراك جادا في قولك ؟ !  
یو : سيكون عليك أن تذهبي الى هناك في بكور الغد ،  
فيحسن بك أن تشرعي في حزم ثيابك  
سو : آواه ، يا أمي ! ( تخرج باكية )  
یو : كنت اتحدث مداعبا ، فاذا بهما تحمل كلامي محمل



الجد . سآتركها الليلة فى قلق ، ثم أنبئها بالحقيقة فى غد .  
 يا لها من أمزوجة ! .. والآن ، لأخبىء النقود ، وأنعم بالنوم !  
 ( يستلقى على السرير ، فيروح فى سبات - تدخل سو )  
 سو ( باكية ) : لست املك أن اكف عن البكاء ..  
 وكقارب وحيد ، فى البحر الشاسع المريض ،  
 أتقلب بين الوسائد ، وليس من شاطىء على مرمى البصر !  
 سأضرع ، متوسلة بذكرى أمى الميتة ،  
 فاشفق عليها ، ورد تلك النقود !  
 أبى ! أبى ! .. آه ، انه مغرق فى النوم .  
 ما اراه أبى حقا ، والا فلماذا يعاملنى كغريبة ؟  
 لقد اعتزم أن يبيعنى ، فلماذا يشفق على ؟  
 أخشى أن لا أستطيع أن أحمله على الاصغاء لكلامى .  
 وفى أساى ، أضرع للسماء .. ذون جدوى !  
 لكنما قلبى قد أحترمته الاحزان ،  
 ولكم أنادى أمى ، حتى جفت شفتاى !  
 ( ترى - فى غمرة شقائها - « الشاطور » على المنضدة ،  
 فتمسك به ، وتهم بأن تقتل نفسها ، ولكنها تمسك فجأة )  
 مهلا ! .. أنى لأذكر أن خالتى التى فى ( كواتشياو ) قد قالت  
 لى يوما : « اذا كنت فى ضائقة ، فتعالى الى ! » . ولقد تخرجت  
 الظروف ، حتى بات من المستحسن أن اذهب اليها .  
 آمل أن تنقذنى خالتى ! .. وما دام نائما مخمورا ،  
 فلاذهب الى ( كواتشياو ) بأسرع ما أستطيع !  
 ( تتسلل من الدار . وتنطلق مهرعة - يدخل «لو» الفار . )

( اللص )

الفار : بالمقامرة أضعت كل ما كسبت بحيلتى ،  
 فلا بد لى من فريسة جديدة !  
 أنا - « او » الفار - لست بالتاجر ولا المزارع ، ولكننى  
 أعيش بذكائى . ولا يعيننى ما يحترفه الناس ، ولا ما هم

عليه ! فاذا كان لديهم مال ، فهم متى هلى أن اتحايل على ابتزازه منهم ، أو على سرقة . أن لى لسمعة سيئة ، ولكن لى فى بيوت اليسر أخوة فى العهد . . . لى فى الحكومة كثير من الاصدقاء ، ومن ثم فانتى أحظى بالاحترام . لقد جردت رجلا من بعض النقود بالأمس ، ولكن الحظ لم يحالفنى ، فأضعته الليلة فى لعب الكعوب (١) . أن كعبى مثقل ، ولكن اللاعبين الليلة كانوا من القدامى المحنكين ، فلم أستطع أن اتحايل عليهم ولا بد لى الآن من أن أسترده نقودى . ولكنى لم أعد أملك ما أقامر به . يجب أن أعجل بالبحث عن أحقق غرير . ( يتلفت حوله فى لهفة ) ها ! ما السر فى أن باب « يو هو - لو » مفتوح ، ومصباحه لا يزال مضاء ؟ . لا بد أنه قد عاد الى ذبح الخنازير ، فلاحصل منه على بعض اللحم بالنسيئة (٢) ، واناؤول وجبة طيبة ، قبل أن أقدم على شىء . ( يلج دار «يو» وهو ينادى ) ايها العم يو . . أيتها الأخت سو . . عجا ، انه فى نوم عميق . لا بد انه تمل ، ونسى أن يطفىء المصباح وأن يغلق الباب . لا بأس ، ها هو ذا « شاطور » على المنضدة ، فخلق بى أن أخذه فأحصل من ورائه على دريهمات . . ! هو ! . . أنى لأرى كومة من النقود تحت وسادته . بديع ، بديع ! ( يضع الشاطور مكانه )

ان نجما موقفا يشع على ، فىا له من يوم سعيد !  
( يتقدم لياخذ النقود ، ولكنه يتردد خشية أن يوقظ يو )  
ومع ذلك فانى ارتجف فرقا . . لقد كنت مهموما لافلاسى ،  
اما الآن :

بهذه النقود ، لم يعد ثمة مجال للهم !

(١) لعب النرد ، أى « زهر الطاولة » . والكعب المثقل « زهر »  
يضاف رصاص الى أحد جوانبه ، ليفدو ثقيلًا ، فيستقر الزهر على هذا الجانب كلما رمى .  
(٢) النسيئة التأخير . . والقصود أن يدفع الثمن فيما بعد .



وبوسعى ان اذهب الى دار المقامرة :  
 فأقامر بمبالغ كبيرة .. واذا كسبت اشتريت غداء شهيا ،  
 ثم ازور فتيات الهوى والطرب !  
 ( يههم بأن يأخذ النقود ، فيستيقظ يو )  
 يو : من هذا ؟ النجدة ! الى اللص .. اللص ! ( يقبض على  
 « الفار » ، الذى يظل صامتا ) اذن ، فهذا أنت ! .. انك  
 مدين لى بنقود ، ومع ذلك فقد جئت لتسرق مالى !  
 ( يحاول « يو » أن يستنرد نقوده ، فيتصارعان .. وينتهى  
 الامر الى أن يقتل « الفار » يو بالشاطور )  
 الفار : الآن ، ليس لك أن تلومنى يا « يو - هو - لو » . فلو  
 لم أقتلك ، لأثرت لى متاعب ما كان يوسعى أن أغالبها  
 فى يأسى ، قتلت الرجل .. فلاول الادبار بالنقود !  
 ( واذا يههم بمفادرة البيت ، يسمع خطوات الخفير تقترب ،  
 فيرتد مسرعا الى الفرفة ، ويطفىء المصباح ، ويختفى وراء  
 السرير . وتفلت بعض قطع النقود من الخيوط ، ولكن الوقت  
 لا يسعفه بالتقاطها جميعا . حتى اذا سمع خطوات الخفير  
 تجاوز البيت ، يطل برأسه ، فاذا ما رأى الطريق خالية ،  
 جرى هاربا ، بعد أن يكون الكعب قد سقط منه وراء السرير  
 ولا يلبث الشيخ تشين أن يدخل )  
 تشين : القريب فى عون القريب ، والصديق للصديق  
 الغنى يساعد الغنى ، والفقر للفقر  
 ان الباب مفتوح ، فلا بد انه قد استيقظ . ( يستمر فى  
 سيره الى الداخل ) يا « يو » العزيز .. يو ! آه ، ما هذا الملقى  
 على الأرض لتعثر فيه الناس ؟ انه « يو » . هاى ، أنت ،  
 استيقظ ! .. لماذا تنام على الأرض بدلا من السرير ؟ ( يهز يو )  
 النجدة ! النجدة ! انه ملطخ بالدم ! لقد قتل الرجل ! سو -  
 تشوان ! سو - تشوان ! .. لقد اختفت الفتاة ! ( يخرج )  
 ايها الجيران ! ايها الجيران ! جريمة ! .. الى جميعا !

( يدخل أوبهبة من الجيران  
و «الفار» ) الجيران الاول والثاني:  
فيم صياحك ؟

تشين : النجدة ! .. اغتيال !  
الجيران الثالث والرابع : ومن  
الذي اغتيل ؟

تشين : يو هو - او !

الجيران : آه !

الفار : لست أصدق قولك !  
تشين : ادخلوا فتبينوا بانفسكم !  
الجيران : هيا بنا ، لندخل  
فتبين ماهناك (يدخلون فيمتولاهم  
الدعر للمنظر )

عنقه مقطوع ، والدم يجلل  
صدره كله ..

( وانج تشوان - سونج ) وجهه كالشمع .. وهو يرقد  
على التراب ميتا !

تشين : انظروا هذا الدم الذي يخضب « الشاطور »

الجيران : من الجلى انه قتل بالشاطور

الفار : اواه ، الا انظروا كل هذا الدم ! .. الا يدير رؤوسكم ؟!

الجيران : كيف قدر لك ان تكشف الامر ايها العم تشين ؟

الفار : حقا ، كيف علمت ؟

تشين : لقد جاءني في الليلة السالفة ، فأخبرني بأنه اقترض

خمسة عشر خيطا من النقود ، من اخذت زوجته في (كواتشياو) ،

وسألني أن أساعده على ابتياع خنازير في هذا الصباح . لهذا

جئت - عندما أسفر الصبح - لأصطحبه . ولكنه كان ميتا !

الجيران الثاني : واين الخمسة عشر خيطا من النقود ؟

تشين ( يحيل نظره في المكان ) : يبدو انها اختفت





**الجار الثالث :** وأين ابنته ؟

**تشين :** اختفت هي الأخرى

**الجيران :** عجبا ! .. الأب ميت ، والفتاة اختفت .

يقينا انه لأمر يثير الريب !

**الجار الرابع :** لا بد أن خيوط النقود هي أس البلاء ،

كتب عليه ان يعيش فقيرا ، ويلقى هذه النهاية البشعة !

**تشين :** لعل لصا سرق النقود وقتله .. وخطف الفتاة كذلك !

**الجار الثاني :** من عادة القاتل ان يحمل سلاحه معه .

فمن الغريب ان يستخدم هذا الشاطور !

**الجار الأول :** لعلها سر - تشوان .. قتلت أباهما وفرت

بالنقود !

**الجار الثالث :** لا ، فان سو - تشوان فتاة طيبة ، أمينة .

لا تحرؤ قط على عمل شرير كهذا !

**الفار :** يقول المثل ، كما تعرفون : اذا كبرت البنت

فمن المتعب استبقاؤها في البيت .

ولا بد ان لسو - تشوان عشيقا فقتلا الأب وسرقا المال

وها قد طار العصفوران العاشقان المجرمان !

**تشين والجار الثاني :** ولكن ، هل رأها أحد مع رجل ؟

**الجيران الأول والثالث والرابع :** هل رأينا لها عشيقا قط ؟

**الفار :** ان للفتاة في سنها آراء خاصة .

وانها لتعاني الوحدة .. بلا رجل .

واذا كان لها عشيق ، فمن الطبيعي أن تكتم أمره .

على ان الذي استخدم هذا الشاطور ليس غريبا !

لا ، لقد كانت تتظاهر بالاستقامة ، ولكن ..

الفاجرة كانت تدبر الشر ، طيلة الوقت .

انها المقاتلة يقينا ، فلا داعي للبحث والتحري !

تشمين : سواء كان هذا عملها أو عمل لص ، فليس من المحتمل ان يكون القاتل قد ابتعد . فلنقسم أنفسنا ( يوجه الحديث للجارين الثاني والرابع ) يحسن بكما ان تحملا النبأ الى دار الحكومة ( المجارين الاول والثالث والفار ) وعلينا نحن الاربعة ان نطارد القاتل !

الجاران الثاني والرابع : حسن .. سنبلغ الامر الى الحاكم ( يخرجون )

الجاران الاول والثالث وتشمين : هيا .. لنلحق بالقاتل ( يخرجان )

الفار : سأذهب معكم ! .. سأذهب معكم ( يخرج ، وتهبط الستار )

### المشهد الثاني

♦ ستار يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الامامى الذى يمثل طريقا عامة - خارج المدينة - يبدو فيها « شيونج يو - لان » مسرعا ، وهو يحمل على كتفه خيوطا مثقلة بالنقود شيونج : ها انذا انطلق !

ان اسرتى فقيرة ، فانا اعمل لاعول والدى ،  
وان حياتى لمريرة ، اذ اعمل لحساب غرى ..  
ان مولاي تاجر غنى .. وكم اقاسى من صعاب  
اذ ابيع واشترى دائما ، لكى يثرى هو ..  
من سوتشاو ، الى هانكاو ، الى هوكاو ، وكوانجتشاو  
أتاجر فى الحرير والاعشاب ، ونفائس البحر والجبل  
( يخرج ، فتدخل سو - تشوان ، وهى جد متعبة )  
سو : لكم تؤلنى ساقاى ، وآه لقدمى ! ( تتعثر )  
ان حلقى جاف ، وانى لمبتلة بالعرق ،  
ولكنى مضطرة للاسراع ، وربما كانوا فى اثرى .  
لقد انهكنى الجرى ، وان رأسى ليدور . ترى كم بقى امامى



حتى اصل الى ( كاوتشياو ) ! لكم قست الحياة على !  
 وانا يتيمة ، لا اهل لى ، كورقة ذابلة فى مهب الريح  
 ليس لى من يشفق على ، او يفكر فى ..  
 وأملى الوحيد خالتى فى ( كاوتشياو ) ، فسأبتها متاعبى  
 ( تخرج - يظهر الجيران فيعبرون المسرح يتابعونها - يدخل  
 شيونج يو - لان )

شيونج : انى لاعمل كالثور حتى تتبدد قواى ،  
 ومع ذلك فلا اكاد أعول أبوى ..  
 فهل سيقدر لى أن اريحهما ، وأعيش سعيدا ؟  
 سو ( من خارج المسرح ) : ايها المسافر .. هلا وقفت لحظة !  
 شيونج : آه ، انها فتاة ! .. لعلها تسأل الطريق .. ولماذا  
 هى وحيدة ؟

( تدخل سو شو - تشوان )  
 سو : اننى نادرا ما اغادر بيتنا ،  
 ولذا ضللت الطريق ، وانهكنى التعب .. فناديتك !  
 فهلا ارشدتنى الى الاتجاه المضى الى (كاوتشياو) ؟  
 شيونج : وفيم تعجلك يا أختاه ؟  
 سو : اننى اسعى الى قرية لى فى ( كاوتشياو )  
 شيونج : ولماذا لا يرافقك أحد من أسرتك ؟  
 سو : لأنه .. لأنه .. ثمة مشاغل كثيرة فى البيت ،  
 ولم يسع والدى الحضور ، ومهمتى فى ( كاوتشياو )  
 عاجلة ، ولكنى لا اعرف الطريق .. فهلا ارشدتنى ؟ ..  
 أرجوك !

شيونج : اذن ، فهذا هو السر . اذا كنت ذاهبة الى  
 ( كاوتشياو ) ، يا أختاه ، فمن المصادفة اننى مسافر فى عين  
 الاتجاه ، وفى الوسع ان نمضى معا  
 سو : شكرا لك !  
 شيونج وسو : أسير امامها وتسير خلفي

يسير أمامي وأسير خلفه

ومع اننا نسافر معا ، فنحن غريبان .. غريبان !

وما سألتها اسمها .. وهل للأغراب أن يسألوا ؟

الجار الاول ( من خارج المسرح ) : هناك شخصان أمامنا .. أفيكونان القاتلين ؟ .. لنسرع حتى نلحق بهما !

شميونج وسو : وفجأة ، ها نحن نسمع صياحا !

الجيران ( من خارج الستار ) : هاى ، قفا .. انتما يا من تسبقاننا !

شميونج وسو : ونرى رجلا يجرون نحونا !

( سو شو - تشوان تترنج ذعرا فيسماندها شميونج ، عندما يدخل تشين والجيران الاول والثالث والفار . ويسدو عليهم الذهول اذ يرون الفتاة مع غريب )

الجيران : آها ! .. انا لنعرف وجوه الناس ، وتخفى علينا قلوبهم !

ما ظنناها .. تقدم على مرافقة قاتل شرير !

تشين : ما أبدع ما فعلت يا شو - تشوان !

سو : اننى ذاهبة لزيارة خالتي ، ايها العم تشين . فإى عيب فى هذا ؟

الجيران : لقد اغتيل أبوك

سو ( جزعة ) : ماذا ! .. أمات أبى ؟

( تهم بالرجوع ، فيسدون عليها الطريق )

الجيران : الى أين تهمين بالذهاب ؟

سو : اننى ذاهبة لارى ما جرى !

الجيران : آه ! .. من الذى تخالين انك تخدعين ؟

سو : اذا كان أبى قد قتل ، فلماذا لا تدعوننى اعود لارى ؟

الجيران : بيديكما معا ، قتلت وعشيقك اباك ،

وسرقتما ماله ، وخيل اليكما ان بوسعكما الهرب .

وها نحن قد أمسكنا بكما ، فلا تطمعا فى نجاة !



**شيونج :** لا عجب في انها كانت متعجلة (يهم بالانصراف)

**الجيران :** هاى ! ليس لك ان تنصرف !

**شيونج :** ولم لا ؟

**تشمين :** اذا انصرفت فمندا الذى يحمل وزر جريمته ؟

**الفار :** حقا .. افتريدنى أنا على أن أحمل عنك وزرك ؟

**الجار الثالث :** لا تضيعوا الوقت في الكلام . لنر ما اذا كانت النقود الخمسة عشر معه

( يأخذون من شيونج نقوده ، بعد مناقلة )

**شيونج :** هاى ! .. هذه نقودى انا !

**الجيران :** سنحصيها ونرى !

**تشمين :** لاعدها ؟ خمسة ، عشرة ، خمسة عشر ! ..

رأيت ، انها لا تزيد خيطا ، ولا تنقص خيطا ، بل انها خمسة

عشر تماما ! .. افتريد بعد هذا أن تموه علينا ؟

**الجيران :** لقد سرقت ، وقتلت ، واختطفت فتاة ،

ايها الكلب الذى أوتى قلب ذئب !

**الفار :** ايها الافاق الشرير .. ايها الخبيث . ايها القاتل !

**شيونج :** ان اسمى ، ايها السادة ، هو « شيونج يو - لان » ،

وأعمل في خدمة التاجر « تاو فو - تشو » . ولقد أعطاني

مخدومي هذه الخيوط النقدية الخمسة عشر ، لاجلها الى

شانجتشاو ) ، فأبتاع بها امشاطا خشبية . وما وقع بصرى

على هذه الشابة من قبل ، فكيف تتهموننى باننى قاتل ؟

**سو :** اننى لم أر هذا الرجل قبل اليوم .. فلا تسيئوا

لى برىء !

**الجيران :** وكيف نثق بشهادتك ؟ .. من يدرينا بانك لمست

كاذبة ؟

**شيونج :** ان مخدومي « تاو فو - تشو » يقيم في فندق

« الضيافة » امام معبد « يوانمياوكوان » ، في ( سوتشاو ) ،

في وسعكم ان ترسلوا من يتحرى صدق قولى ، اذا أبتسم

— أيها السادة — أن تصدقوني !

**الجيران ( يتبادلون النظرات في تشكك ) :**

أفصدقه أم لا .. أو هذا صحيح أم كذب ؟

إنها لمشكلة عسير علينا أن نبت فيها

**الفار :** لقد وضعنا أيدينا على المذنبين ، وعثرنا على المال المنهوب . وإذا لم يكونا قد قتلنا « يو هو — لو » ، فمن تراه قاتله إذن ؟

**( يدخل رسولان من لدى الحاكم ، مع الجارين الثاني والرابع )**

**الفار :** ها هما ذان القاتلان أيها الاخوة ، اسرعوا واقبضوا عليهما !

**( يضع الرسولان الاغلال في أيدي شيونج وسو )**

**الرسولان :** اذا قتلتما رجلا ، فلا بد من حياتيكما تمنا

وليس لكما ان تلوما سوى نفسيكما .. فهيا !

**الجيران :** مهلا ! .. يجب أن نصل الى لب الامر أولا !

**الرسول الثاني :** هيا ! .. ويحسن ان تأتوا جميعا كذلك الى المحكمة !

**( ويسمرون تباعا ، والفار في مؤخرتهم — وتسدل الستار )**

### المشهد الثالث

♦ محكمة اقليم (ووسيه)، يدخل الرسولان الثالث والرابع،

يتبعهما «كوو — تشيه» قاضى ( ووسيه ) .

**كوو :** ان القوم هنا مشاكسون عنيدون ،

وبفضل الفاسقين والاشرار اصبحت القضايا لا تنتهى ،

لابد — لاستقرار الامن — من أن أسوسهم بقضيب من

حديد ، فلن تنتهى القلاقل ، ما لم أعلمهم أن يرهبوني !

لقد عرض لى كثير من القضايا العويصة ، منذ توليت هذا





شيونج يو - لان  
قام بدوره :  
( كونج شيانج - فو )



كو يو - شيه  
قام بتمثيل دوره :  
( تشو كو ليانج )

المنصب . ولحسن الحظ استطعت - برغم لؤم أهل هذا الاقليم - أن أصل الى قرار في تسع من كل عشر قضايا ، بفضل ما أوتيت من قوى التحرى . واصبح ذكائى وحزمى معروفين للجميع ، من الحاكم حتى عامة المواطنين . ولسوف احاكم اليوم قاتلى « يو هو - لو » ، وقد تم القبض عليهما . فلاتخذ مجلسى للفصل فى القضية . افتحوا المحكمة !

الرسولان الثالث والرابع : سمعا يا صاحب الشرف !  
كوو : استدعوا جيران الميت !  
الرسول الثالث : ليمثل الجيران امام المحكمة ! ( يدخلون وينكمهون )

الجيران : تحياتنا لصاحب الشرف !  
كوو : اكلكم جيران يو هو - لو ؟

**الجيران : أجل يا صاحب الشرف !**

**كوو : قفوا واجيبوا عن اسئلتى**

**الجيران : سمعنا يا صاحب الشرف ( ينهضون )**

**كوو : كيف عرفتم ان يو هو - لو قد اغيل ؟ .. وكيف قبضتم على القاتلين ؟**

**تشرين : ليسمح لى صاحب الشرف ان اقول ان الامر كان على هذا النحو : لقد جاءنى « يو هو - لو » مساء امس - بعد ان اقترض خمسة عشر خيطا نقديا من قريبة فى ( كاوتشياو ) - فسألنى ان اعينه على شراء خنازير . وخشيت ان يستفرقه النعاس ، لانه كان ثملا للغاية ، ومن ثم فأننى استيقظت مبكرا ، وذهبت اليه . . واذا بى أجده قتيلا ! واذا ابنته «سو شو - تشوان» قد اختفت . فذهب بعضنا لينهى الامر الى السلطات ، بينما أسرع الباقيون للقبض على القاتلين . ولقد مضينا الى ( كاوتشياو ) تقريبا ، واذا بنا نرى « سو شو - تشوان » فى الطريق ، مع رجل . وكان الرجل يحمل خمسة عشر خيطا نقديا تماما . . .**

**كوو : آه ! اذن فقد كان شيونج يو - لان يحمل خمسة عشر خيطا نقديا ، تماما ؟!**

**الجيران : أجل ، يا صاحب الشرف !**

**كوو : وكانا يسيران معا . . اليس كذلك ؟**

**( يستفرق فى التفكير ، بينما يظل الجيران صامتين . ثم يستأنف الحديث ) فى هذه الحال . . كان « شيونج يو - لان » و « سو شو - تشوان » كانا عاشقين ، وقد تأمرا على القتل معا . . لا شك فى ذلك !**

**الجيران : لا علم لنا بذلك يا صاحب الشرف**

**الفار : اذا كان صاحب الشرف يقول انهما قد تأمرا ورسما معا هذه الجريمة ، فلا بد ان هذا عين ما حدث !**

**كوو : حسنا . انصرفوا ( ينصرف الجيران )**



الفار : آه ! ان صاحب الشرف بارع الذكاء ، حاسم في قضائه حقاً ! .. آها ! انه لقاض بارع الذكاء ، حاسم ! ( يخرج )  
 كوو : ادعرا سو شو - تشوان !

الرسول الثالث : لتمثل سوشو - تشوان امام المحكمة !  
 ( الرسولان الاول والثاني يجرانها الى المحكمة )

الرسول الاول : ها هي ذى الخيوط النقدية الخمسة عشر المروقة

سو : يا صاحب الشرف

كوو : ارفعى رأسك ، وانظري الى !

سو : لست أجرؤ

كوو : عندما اطلب اليك ان ترفعى رأسك يجب ان ترفعيه !  
 ( ترفع سو شو - تشوان رأسها ) انها لبديعة كالزهرة ...  
 من الطبيعى ان يكون لها عاشق .. وهى فتاة شابه ، حارة الدماء ، فى ربيع العمر ! .. وما ان وقعت فى هوى هذا الوغد ، حتى بات من الطبيعى ان تهفو نفسها الى الهرب معه . ولما كان ابوها يقف فى طريقها ، فقد قتله وسرقت ماله .. ما كان ليرتقب غير هذا ! .. ان بوسعى - دون ما سـؤال - ان احبس ما حدث . يا سو شو - تشوان ، لماذا تأمرت مع هذا الشقى على سرقة الخمسة عشر خيطا من النقود ، وعلى قتل ابيك ، والفرار ؟

سو : لم افعل شيئاً من هذا ، يا صاحب الشرف !

كوو : ها ! انها تنكر الامر كله ! .. اذن فأجيبى عن سؤالى هذا : كيف تسنى ان يكون اسمك سو ( ١ ) ، فى حين ان اسم ابيك يو ؟

سو : لقد مات ابنى الحقيقى وانا طفلة ، فلما تزوجت اُمى ثانية اخذتنى معها الى بيت زوجها . بيد اننى احتفظت باسم

( ١ ) فى الاسماء الصينية ، يكون الاسم الاول عادة هو اسم الاب أو لقب الاسرة .

أبي . ولهذا فأننى ادعى « سو »  
**كوو :** الآن عرفنا السر ! .. انك لم تكونى ابنته . فلما رأك  
 تغازلين وتسيئين الى سمعته ، كان من الطبيعى ان يقسو فى  
 الحديث اليك . فاذا بك تكرهينه ، وتقررين قتله . اليس هذا  
 هو ما حدث فعلا ؟

**سو :** ما فعلت شيئا من هذا قط !  
**كوو :** هراء ! .. ان المثل يقول : « اذا شئت ان تدعو الرجل  
 لصا ، فامسكه متلبسا ! .. ولكى تصم امرأة بالزنى لابد من ان  
 تفاجئها مع عشيقها ! » .. ولقد اعتقلت وذلك الوغد ، وبها  
 هى ذى الخيوط النقدية الخمسة عشر . كما ان الجيران شهود  
 . . وأمام كل هذه القرائن ، ليس بوسعك ان تقولى  
 اننى اتهمك ظلما !

**سو :** ولكننى لم ارتكب ذبا يا صاحب الفضيلة !  
 لقد باعنى أبى ، لانه احتاج الى نقود ،  
 ولكننى لا املك ان اطيق ان اكون جارية ،  
 لهذا فررت ليلا ، فلما عجزت عن تبين سبيلى ، سألت  
 رجلا صادفنى فى الطريق ..  
 ثم دهمنى الشبهات .. ووجدت نفسى - اذ حاولت  
 النجاة من ضائقة - فى مأزق اسوأ !

**كوو :** مجموعة من الاكاذيب ! .. لقد انبأنى الجيران لتوهم  
 ان اباك اقترض هذه الخيوط النقدية الخمسة عشر من احدى  
 القريبات . وبها اتذى - لتلطخى اسمه - تتهمينه بانه باعك !  
 .. انك رغم صغر سنك مجردة من كل حياء . . فانت  
 مجرمة شديدة الجحود ! .. لقد استطعت ان أغوص الى  
 قرار قضايا كثيرة ، تفوق هذه صعوبة .. فليس بوسعك  
 ان تغررى بى ، مهما يكن دهاؤك !  
 ايتها اللصة قاتلة ابىها .. كيف تجسرين على انكار  
 جرمك !





لسوف تسدرين في التحدى ، مالم آمر بعقابك .  
فهي وبادري بالاعتراف !

سو : كيف اعترف وانا لم ارتكب ذنباً ؟  
كوو : عجباً ! .. خذوها فأذيقوها طعم مضطرب الابهام ! (١)  
( يجز رسولان سو شو - تشوان الى الخارج . ولا يلبث  
ان يعود الرسول الاول )  
الرسول الاول : ان الفتاة لا تحتمل التعذيب .. لقد أغمى  
عليها !

كوو - اوقفوا التعذيب ، اذن !  
الرسول الاول : اوقفوا التعذيب !  
( رسولان يجزان سو شو - تشوان الى المحكمة . فتنهالك  
على الارض )

كوو : احملوها على توقيع الاعتراف !  
الرسول الاول : وقعى !  
( تعجز سو شو - تشوان عن الامساك بفرجون الكتابة ،  
بين أصابعها التي تعرضت للتعذيب ، فيطبع الرسول الاول  
بصمة أصبعها عنوة على الوثيقة )

(١) آلة للتعذيب يطبق شفاها على اصابع الفريسة .

كوو : خذوها الى الخارج ، فكلبوها بالاغلال ، والقوا بها في السجن !

(يجر رسولان سو شو - تشوان الى الخارج ، ثم يعودان)

كوو : احضروا ذلك الشقى شيونج !

الرسولان الاول والثاني : ليمثل الشقى شيونج امام المحكمة !  
(يجرانه للداخل)

شيونج : يا صاحب الشرف !

كوو : شيونج يو - لان ! .. لقد نفذت ورسمت مع سو

شو - تشوان مؤامرة ، فسرقتما خمسة عشر خيطا من النقود ، وقتلتما يو هو - لو .. فهيا اعترف فوراً !

شيونج : التمس من صاحب الشرف ان تصفوا لى :

لم اصل من (سوتشاو) الى هنا الا امس الاول ،

في طريقى الى (شانجتشاو) ، طلبا للتجارة ..

وكانت الفتاة تجهل طريقها ، فرافقتها لان هذه طريقى

وما رأيتها من قبل ، ولا أحببت يوما ،

وهذه الخيوط النقدية الخمسة عشر لشراء بضائع ..

فما جرمى ؟

كوو : يا للسانك الذاق المعسول ، ايها الوغد ! .. اذا صح

انك كنت تسعى من (سوتشاو) الى (شانجتشاو) ، فكيف

تسنى لك ان تقابل سوشو - تشوان في هذا الوقت بالذات ؟ ..

اذا كنت لم تلتق بها من قبل ، فلماذا كانت تسير معك وليس

ثمة رفيق آخر لكما ؟ .. اذا كانت الخيوط الذهبية الخمسة

عشر لشراء سلع ، فلماذا قدر لهذا المبلغ أن يعادل تماما ذلك

الذى سرق من يو هو - لو ؟ .. لقد اعترفت سو شو -

تشوان بالحقيقة . أسرع ، واعترف !

شيونج : كيف اعترف وانا برىء ؟

كوو : عجباً ! .. خذوه فاجلدوه اربعين سوطاً !

(الرسل يضعون ايديهم على شيونج ليجروه الى الخارج)



كوو : ماذا ؟ .. لعلك تحتمل عقابا بسيطا ،  
 ولكنه ليس عذابا بسيطا .. اذا آبيت الاعتراف .  
 ان مضاعط السيقان في انتظارك !  
 شيونج : اننى برىء ! كوو : اذهب ! .. عذوبه !  
 ( يجز الرسل شيونج يو - لان الى الخارج . وسرعان ما يعود الرسول الاول )  
 الرسول الاول : لقد اغمى على المجرم  
 كوو : اذن ، فكفوا عن التعذيب  
 الرسول الاول : كفوا عن التعذيب ! ( يخرج )  
 ( يجز الرسل شيونج الى القاعة ، فيتهالك على الارض )  
 شيونج : أأتهم بالقتل لاننى سرت مع الفتاة ؟  
 لقد اصبت بصاعقة ! .. الا ما اقسى العذاب !  
 الرسل ( يتجمعون حوله ) : اعترف ! ( لا يرد شيونج )  
 كوو : احملوه على الاعتراف !  
 شيونج ( يختطف فرجون الكتابة مفضبا ) :  
 ان الظلم لاعمق من المحيط !  
 ( يضطره الرسل الى التوقيع )  
 كوو : مرحى ! خذوه الى الخارج فغلوه ، والقوا به فى السجن !  
 ( الرسل يجرون شيونج وهو يصرخ بأنه مظلوم )  
 كوو - او هو ! .. لم يقتضينى الوصول الى لب جريمة هامة  
 كهذه ، وقتا يذكر .. وها قد جلوتها ، فأصبحت كالنهار  
 وضوحا ! .. اجل !  
 ليس لغير الذكى ، ان يحسم قضية بهذه السرعة ! ..  
 لتنفذ المحكمة !

( تهبط الستار )

### المشهد الرابع

• ستار يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الامامى •

الذى يمثل واجهة سجن ( سوتشاو ) - يدخل اثنان من  
الموكلين باعدام المجرمين  
**الجلاد الاول** : انى احمل سيف القصاص  
**الجلاد الثانى** : لأقتص من المجرمين ( **يسميران الى باب**  
**السجن** )

**الجلادان** : افتحوا الباب !  
**حارس السجن** : سمعا ! ( **يفتح الباب** ) هذان انتما ايها  
الصديقان .. وماذا وراءكما ؟  
**الجلاد الاول** : ان الحاكم يأمر المتصرف (حكمدار) كوانج  
بالأشراف على اعدام المجرمين القادمين من مقاطعة ( ووسيه )  
بمتصرفية ( تشانجتشاو ) الليلة . وقد امرنا بان نأخذ  
( **شيونج يو - لان** ) الى ساحة الاعدام !  
**السجان** : لحظة ايها الصديقان ( **ينسحب الجلادان** ) تعال  
يا **شيونج يو - لان** !

**شيونج (من خلف الستار)** : لتكن السماء فى عونى ! ( **يظهر** )  
لكم انقم على ما حاق بى من مظالم !  
اللجنة على هذا الموظف الفبى .. وحكمه غير العادل !  
**السجان** : تهانئى لك يا **شيونج يو - لان** (١)  
**شيونج (فى اكتئاب)** : انى لارتجف لهذه التهنئة .. فهل  
تقصد .. ؟

**السجان** : لا بد من الموت وان عاش الانسان مائة عام ، فلا  
تفرط فى الأسى !  
**شيونج** : سأعدم ظلما .. فكيف ارتاح فى قبرى ؟  
**السجان** : لقد اصدر قاضى ( ووسيه ) حكمه ، فأعاد  
متصرف ( تشانجتشاو ) النظر فى قضيتك ، وأيد حاكم الاقليم  
الحكم . فليست لك الآن حيلة ، ولو كنت مظلوما !

(١) كان التقليد ان يتذر الحكوم عليه بالاعدام ، بموعد اعدامه ، بان  
تقدم اليه التهانئ !



**شميونج** : ضربة من الحظ غير موفقة ، أضاعت حياني !  
 فمنذا الذى يعنى بأبوى المسنين ، بعد اليوم ؟  
**السجّان** : لو ان متصرفنا «كوانج» هو الذى نظر قضيتك ،  
 لما كان ثمة مجال للاساءة الى العدالة ، فان كل امرئ يعرف  
 ان المتصرف «كوانج» يحب الناس كأنهم ابنائهم ! .. انه  
 خليفة المتصرف «باو» فى حب الشعب ، وسيشرف اليوم  
 على اعدامك ! (١)

**شميونج** : أيشرف المتصرف «كوانج» على تنفيذ اعدامى ؟  
 ألا ليته يتحرى .. ليرد الميت الى الحياة !  
**السجّان** : ان الأوامر التى لديه ، تقتصر على الاشراف على  
 الاعدام ، فليس فى سلطته ان يعيد المحاكمة . ولو انه عرف  
 انك برىء ، لما وسعه أن يفعل شيئا !

**الجلادان (من وراء ستار)** : هيا ، فقد حان اوان الرحيل !  
**السجّان** : سمعا !

( يرحل الجلادان مع السجين . ثم تزاح الستار الداخلية ،  
 لتبين ساحة متصرفية (سوتشاو) . يدخل حاجب وخدام  
 يتبعهما المتصرف كوانج )

**كوانج** : التزامى للقانون ، يجعلنى محبوبا ومهابا .. معا ،  
 ومع ذلك فما زلت أحاول فهم أسى الناس ،  
 ودراسة ظروفهم .. مجاهدا لأن أكون «باو» آخر !  
 لقد حظينا - مذأصبحت متصرف (سوتشاو) - بمحصولات  
 طيبة ، وغدا الناس هائئين . فلأنظر الآن فى تنفيذ هذا الأمر  
 الصادر من السلطات العليا ، لأشرف على اعدام اثنين ، فى  
 هذا المساء . ان الجلادين فى طريقهما الى هنا ، مع المسجونين !  
**الجلادون (من وراء الستار)** : هيا .. ادخلا !

(١) كن «باو تشينج» متصرف اقليم (كافينج) ، عاصمة الشمال ،  
 فى عهد أسرة سونج - التى حكمت الصين بين سنتي ٩٦٠ و ١١٢٧ - وكان  
 محبوبا لعذله .

( المتصرف كوانج ، يتخذ  
مجلسه في الساحة - يدخل أربعة  
من الجلادون يسوقون تشو -  
يو - لان وسو تشو - تشوان )  
الجلادون : ها هما ذان المجرمان  
( يقدمون أنفسهم للمتصرف ) لقد  
أحضرنا المجرمين الى الساحة !  
تشيونج وسو : اننى برىء  
يا صاحب الشرف ! .. انقذنى  
يا صاحب الشرف !



كوانج : ماذا ؟! .. من قتل  
يجب أن يفقد حياته ، فهذا مانص  
عليه بوضوح ، فى القوانين .. ارفعا  
رأسيكما !

( جلادان يساعدان تشيونج  
يو - لان وسو تشو - تشوان )

كوانج تشونج  
قام بتمثيل دوره :  
( تشو تشوان - ينج )

على رفع رأسيهما )

كان جديرا بكما ان تكونا مواطنين مخلصين ، عاملين ..  
بدلا من ان تكونا سارقين ، قاتلين ..  
ولكنكما خرقتما قوانين الانسان والسماء .. فحق ان  
تفقدوا حياتيكما !

( يعود الجلادان الى مكانيهما السابقين )

ما أقسى ان يلقى عاشقان مذنبان حتفهما بسبب الشهوة !  
ما أزرى ان يموت لسان ضحية الجشع !  
انزعوا الاغلال عنهما !

( الجلادون يطيعون ، فيرفعون الاغلال عن السجينين ويقدمون  
لهما خمرًا • ولكن تشيونج وسو يرفضان )  
كوانج : انزعوا عنهما ملابسهما الخارجية واوثقوا أكتافهما



( يطبع الجلادون الأمر )

يجب ان يشعر الشرير بقسوة القانون ،  
فالرحمة عن ضعف لا تقيم حدا بين الحق والباطل !  
شيونج وسو : ان ما نالني من ظلم يعلو على الجبال .. ان  
ما أصابني من غبن أعمق من البحر !

كوانج : صمتا ! ( الجلادون يرددون أمره )

إذا كنتم بريئين فكيف ثبت جرمكما ؟  
وما أمر الشهود والقرينة ؟

أيها الجلادون ( يجيبه الجلادون ) عندما تدق الساعة  
الخامسة ...

شيونج وسو : يا صاحب الشرف !

كوانج ( ماض في حديثه ) : اشهروا سيوفكم ( يشهر  
الجلادون سيوفهم ) واطيحوا برأسيهما !  
( يهدم اليه احد الجلادين أمر الاعدام ، فيتناول المتصرف  
فرجون الكتابة ليوقعه )

شيونج وسو : يا صاحب الشرف !

( الجلادون يصيحون أمرين إياهما بالصمت ، ولكن المتصرف  
يوقفهم بنظرة صارمة )

شيونج : يقولون انك تحب الناس حبك لأولادك ، وانك  
خليفة للمتصرف « باو » ، فهل تفض عينك عن خطأ فظيع ،  
وتتركني أموت ظلما ؟

سو : إذا اعدمت مواطنين بريئين ، فكيف تزعم انك حاكم  
صالح ، أو انك تحب الشعب ؟

( الجلادون يهمون بأن يسكتوها ، فيردهم المتصرف )

كوانج : فكرا في عدد المحاكم التي مرت بها قضيتكم . ان  
القضية تقفل بعد ان تنظر ثلاث مرات . وانكما لتصران على  
انكما بريئان ، ولكن .. كيف لى أن اصدقكما دون قرينة ؟ ..  
تقولان انكما مظلومان ، فعليكما اثبات ذلك !

**شيوونج :** يا صاحب الشرف ! .. لقد قضى على ، بدعوى اننى دبرت الجريمة مع هذه الفتاة ، ولكن ، ما من شيء يدعم هذا الاتهام

**كوانج :** وكيف لا يوجد ما يدعم هذا الاتهام ؟  
**شيوونج :** اننى من ( هوايان ) وهى من ( ووسيه ) ، ولم يسبق لنا ان التقينا قط . ولقد ضلت سبيلها ، فصادفتنى ورحت ارشدها اليه ، فهل هذا يعنى أن ثمة غراما مستترا بيننا ؟ .. اننى أجوب البلاد ، طيلة العام ، موفداً من التاجر « تاو فو - تشو » لأشتري وأبيع المنتجات المحلية لحسابه .. وهو الذى اعطانى الخيوط النقدية الخمسة عشر لابتاع بها امشاطا خشبية من ( شانجتشاو ) . فانا لم أسرقها !

**كوانج :** وأين مخدمك الآن ؟  
**شيوونج :** لقد كان يقيم - فى الوقت الذى بارحته فيه - فى فندق « الضيافة » ، المواجه لمعبد « يوانميا وكوان » ، هنا فى ( سوتشاو ) . وكنا نعتزم أن نذهب معا - عند عودتى - الى ( فوكيلين ) لنبيعها مع الامشاط .. فاذا لم تصدقنى ، يا صاحب الشرف ، فابعث برجل ليتحرى الحقيقة !

**سو ( بينما يفكر كوانج ) :** اننى لا أعرف هذا الشاب . لقد كنت فى طريقى الى ( كاوتشياو ) لأزور خالتى ، ولكن الناس ارتابوا فى أمرنا لأننى سألته أن يرشدنى الى الطريق .. وها هو ذا يوشك ان يعدم دون ما ذنب . لقد رججت به فى هذه الضائقة ! .. واذا كان بوسعك ، يا صاحب الشرف ، أن تعرف من أين وفد هذا السيد ، فستعرف ان من غير الحقيقى ان نكون قد دبرنا جريمة ما معا !

**كوانج ( لخادمه ) :** اسمع ! اذهب - بأسرع ما تستطيع - الى فندق الضيافة ، المواجه لمعبد « يوانميا وكوان » ، وتحرر صحة الامر !



( يصدع الخادم بالأمر ، فينصرف ، ويتصفح المتصرف  
كوانج الوثائق الخاصة بالقضية ، فيدرسها في اهتمام )

كوانج : كان أحدهما يعيش في ( هوايان ) والآخر في ( ووسيه ) ،  
فكيف يتسنى أن يكونا عاشقين ؟  
وكان أحدهما ذاهبا الى ( تشانجتشاو ) ، والآخر الى  
( كاوتشياو )

فليس ما يبرر ألا يسافرا معا ! .. ولا دليل يقطع  
بإجرامهما !

ومن العسير الجزم بأن خيوط النقود الخمسة عشر ،  
كانت مع شيونج لشراء سلع .. أو لغير ذلك  
فكيف يقضى بالاعدام ، دون تحرر للوصول الى الحقيقة ؟

( يدخل الخادم عائدا )

الخادم : يا صاحب الشرف ! .. لقد قمت بتحريات ، فإذا  
القصة حقيقية . ولقد رحل « تاو فو - شو » الى ( فوكيين )  
للاتجار ، ويقول صاحب الفندق أن « شيونج يو - لان »  
يعمل لحساب تاو فو - شو ، وأن هذا أعطاه خمسة عشر  
خيطا من النقود ، ليحملها الى ( تشانجتشاو ) . وهالك سجل  
فندق الضيافة ، فهلا تكرمت بالقاء نظرة عليه ؟  
كوانج ( يقرأ في السجل ) : تاو فو - شو ، وشيونج يو -  
لان ( مخاطبا شيونج ) متى جئت الى ( سوتشاو ) يا شيونج  
يو - لان ؟

شيونج : في الثامن من الشهر الرابع

كوانج : ومتى بارحتها الى ( تشانجتشاو )

شيونج : في الخامس عشر من الشهر الرابع

كوانج ( لنفسه ) : يبدو أن هذا الرجل اتهم ظلما ، حقيقة !

سو : يا صاحب الشرف ! .. اما وقد تبينت الحقيقة بشأن

هذا السيد ، فهلا عوضته عما اصابه ؟

**كوانج :** لنمض قدما في تحرياتنا يا سو شتو - تشوان ، لنرى ما اذا كنت وشيونج قد دبرتما القتل . كيف تصادف ان تركت البيت في ذات اليوم الذى اغتيل فيه أبوك ؟  
سمو : لقد جاء زوج أمى في ذلك المساء ، ومعه خمسة عشر خيطا من النقود ، قال انه حصل عليها اذ باعنى . ولم أشأ أن أكون جارية ، فهربت في اواخر الليل ، قاصدة دار خالتي . فأى دليل هناك على اننى سرقت النقود أو قتلت زوج أمى ؟





**كوانج :** اذا لم تكن قد قتلتها ، فلا بد من ان نعثر على القاتل الحقيقي . واذا كانت قد قتلتها ، فلا بد من العثور على دليل صادق . كيف تطوى قصة كهذه ، ويقضى فيها بالاعدام ، بمثل هذا الاستخفاف ؟ .. يجب الا يعدما ! ( يتذكر فجأة مركزه ) مهلا !

ان الأوامر تقضى بأن اشرف على تنفيذ الاعدام ، فليس من سلطتى ان أعيد اثاره القضية ، كيف أعالج فى ( سوتشاو ) ذنوبا من ( شانجتشاو ) ؟ ثم .. لقد جاءت الاوامر من الحكومة ، فلا بد من الطاعة ! حياتين !

( تستبد به الحيرة ) آه .. ما دمت أعلم أن ظلما وقع ، هذا الفرجون يزن ألف رطل ، وبوسعه القضاء على حياتين !

( تستبد به الحيرة ) آه .. مادمت اعلم ان ظلما وقع ، فلا بد من أن أعمل على إعادة النظر فى الحكم . فكيف لى ان ارفع رأسى كحاكم ، اذا قتلت بريئين !

ايها الجلادون ! ( يخف اليه الجلادون ) أريد أن تأخذوا السجنين الى الغرفة الداخلية ، فى الوقت الراهن ، وان تنتظروا أوامر جديدة !

الجلادون ( فيما بينهم ) : نتحدث اليه . ( يخاطبون كوانج ) هلا فكرت من جديد ، يا صاحب الشرف ! .. أن الأوامر تقضى بقتلهما ، فلا بد من ذلك دون ابطاء !

**كوانج :** كفى ! اننى أعرف ما ينبغى أن أفعل ! ( واذا بهم الجلادون بأن يسوقوا الشابين ، تنبعث دقات مؤذنة بالاربع الثالث من الساعة الثانية )

**الجلادون :** يا صاحب الشرف ! يجب قتلها قبل الساعة الخامسة على أقصى تقدير . فماذا يكون من أمرنا اذا تأخرنا ؟

**كوانج :** ها ! .. الامر يقضى بقتلهما فى الخامسة ،  
وها هى الساعة الثالثة قد اقتربت .  
من العسير ان تثار القضية من جديد ،  
وليست لدى خطة مرسومة .. فماذا أفعل ؟

( **يجهد فكره ، وقد استبد به الاستياء** ) ما دام ثمة حيف  
قد وقع ، فمن واجبى أن أنقذهما . فيجب ألا أتردد فى  
الدفاع عن الشعب ( **مخاطبا الجلادين** ) خذوا السجينين الى  
الخارج !

**الجلادون ( فى حيرة ) :** تعالوا ! **(يقودان شيونج وسو الى  
الخارج)**

**كوانج :** اسمع ! ( **يخف اليه الخادم** ) احضر لى ردائى  
المدنى ، وخاتمى .. واحضر المصباح . سترافقنى الى مقر  
الحاكم لاقابله !

### المشهد الخامس

♦ **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الأمامى ،  
يدخل الخادم والمتصرف كوانج . يسيران الى مسكن الحاكم  
**الخادم :** ها قد وصلنا

**كوانج :** اسمع ، انتظرنى خارج الباب !

**الخادم :** اجل ، يا صاحب الشرف ( **يخرج** )

**كوانج :** هل من احد هناك ؟ ( **يدخل مفتش الشرطة** )

**المفتش :** من هناك ؟ **كوانج :** انا المتصرف كوانج

**المفتش :** أهذا أنت يا صاحب الشرف ؟ .. هل نفذ حكم

الاعدام ؟

**كوانج :** انما حئت بسبب هذا الاعدام . أريد ان اقابل  
الحاكم ، فانبئه !



**المفتش :** لقد اوى سعادته الى فراشه منذ ساعات عديدة ، وهو لا يحب أن يزعجه أحد . أفلا تعود يا صاحب الشرف ، وتأتى فى صباح باكر مرة أخرى ، أثناء ساعات العمل ؟

**كوانج :** انما جئت لمسألة هامة لا تحتمل أرجاء  
**المفتش :** اننى افكر فى عملى .، فلست أجرو على ازعاج الحاكم !

**كوانج :** اراغب انت فى تحمل المسئولية ، اذا عرقلت مهمة عاجلة ؟

**المفتش :** آه .. ان فخامتك لست كالموظفين الآخرين .  
انتظر ريثما اعلنه بمقدمك (يخرج)

**كوانج :** أف ! .. يا له من جبان ! يا للسخف ! ( يدخل  
المفتش )

**المفتش :** عندما ذهبت بنياً قدومك ، غضب صاحب السعادة ، ولم ينقذنى من التقرير سوى اسمك . ان سعادته يطلب ان تنصرف ، وأن تعود فى صباح غد .

**كوانج :** انها مسألة حياة وموت ، فكيف انتظر للصباح ؟ .. سأضايقك بأن أسألك ان تستأذن لى ثانية !

**المفتش :** اننى أربأ بعنقى ان يقطع ! (يخرج مسرعاً)  
**كوانج :** ترى ماذا أفعل الآن ؟ (يرى طبلاً) ما من حيلة سوى ان أدق الطبل ! (يدق الطبل مرتين)

**ضابط الشرطة (من وراء الستار) :** اسمعوا ! (الحراس يجيبون من وراء الستار) ان الحاكم يريد أن يعلم أى معتوه جرؤ على دق طبل المحكمة فى هذه الساعة من الليل . اذا كانت لهذا الاحمق شكوى ، فاجلدوه اربعين سوطاً قبل سماع شكواه . واذا لم تكن له شكوى ، فاضربوه ثمانين جلدة ، ثم اطرده !

( يصيح الحراس مجيبين . يدخل الضابط )

الضابط (في خيلاء) : من الذى دق الطبل ؟

كوانج : انا الذى فعلت

الضابط : اذن فهو أنت يا صاحب الشرف !

كوانج : ليست لدى شكوى مكتوبة .. فما العمل ؟

الضابط : لا بد انك تسخر يا صاحب الشرف ! مهلا حتى

اعلن مقدمك

كوانج : شكرا لك . (يخرج الملازم) ثعلب يفيد من سلطان

نمر ! .. أمر يثير الاشمئزاز !

صوت ( من وراء الستار ) : صاحب الشرف مدعو الى

قاعة الاستقبال !

الملازم (وهو يعود ثانية) : ان صاحب السعادة يدعوك الى

انتظاره فى قاعة الاستقبال

( يخرج كوانج . وترفع الستار الداخلية ، فتبدو قاعة

استقبال الحاكم « شور » . الملازم يقود المتصرف كوانج اليها .

يجلس كوانج . ومع انه ينتظر فترة ، فان الحاكم لا يظهر ،

ويزداد تملل كوانج . ثم يعود الملازم فيقف كوانج ، ظنا

منه ان الحاكم موشك على الوصول . ولكن الملازم يخرج

ثانية ، ولا يبدو أثر للحاكم )

الملازم ( من وراء الستار ) : انصتوا !.. ان صاحب

السعادة يأمر الحراس بالحضور الى القاعة !

( يصيحون مستجيبيين ، من وراء الستار . يظن كوانج

ان الحاكم مقبل . وبعد برهة يدخل الملازم ثم يخرج ثانية .

ولا يظهر الحاكم رغم ذلك . تدق الساعة مؤذنة بالربع الاخير

قبل الساعة الرابعة . يشتد تملل كوانج )

كوانج : فى هذا الشك لا املك جلوسا ولا وقوفا ،

فلا يكاد يتسع الوقت لانقاذهما من السيف ،

وكانى بالحاكم لن يتحرك ، فكأنه جبل (كاي) ،

لماذا يقولون ان الوقت من ذهب ؟!..



ما أصعب دخول دار الحكومة . . . وأصعب منه لقاء موظف كبير !

( يدخل اربعة من الحراس ، يتبعهم الملازم ، ثم يقبل الحاكم شو ، فيمنحني له كوانج ، بينما يجلس هو بادی الاستمياء ، ثم يدعو كوانج للجلوس )

الحاكم : لقد تلقينا أمرا امبراطوريا بتنفيذ حكم بالاعدام ، وطلبنا معونتك يا صاحب الشرف . وقد توقعنا منك ان تشرف على التنفيذ ، فلماذا جئت هنا في جنح الليل ، ودققت الطبل ؟

كوانج : ان ذنب السجينين لم يثبت ، فجئت في جنح الليل لألتمس من سعادتك أن تسمحوا

بارجاء الاعدام ، ريثما أكشف عن الحقيقة

الحاكم : كيف تقول ان ذنبهما لم يثبت ؟

كوانج : بالرغم من أن سو شو

— تشوان كانت مسافرة مع

شيونج يو — لان ، في طريق

واحدة ، وكان شيونج يحمل

مبلغا معادلا لما سرق من يو هو

— او ، الا انني وجدت بعض

نقاط للريب في القضية . فليس

ثمة ما يرر أن نقفز الى استنتاج

أنهما كانا حبيبين ، وأنهما

قتلا الشيخ . فيا صاحب السعادة :



الحاكم شو تشين

وقد قام بدوره المثل :

( ياو تشوان — تو )

ليس لنا ان نعدمهما لمجرد انهما سارا معا ،  
والنقود وحدها ليست قرينة مؤكدة .

ان القضية محفوفة بالشك ، فلنجر تحقيقا أدق !  
**الحاكم :** تذكر عدد المحاكم التي مرت عليها هذه القضية ،  
ومن العادة ان يبت في القضية بعد ثلاث محاكمات . فلا حاجة  
لك يا صاحب الشرف بأن تهتم بها !  
**كوانج :** آه ، لا يا صاحب السعادة ! ..

أنجيز بهذه السهولة حكما يسلب بريئين حياتيهما ؟  
**الحاكم :** ان قاضي ( ووسيه ) ، ومتصرف ( شانجتشاو )  
موظفان مسئولان ، وقد عينهما البلاط ، وهما خادمان كفاءان .  
وهذان الرجلان الحصيضان المجربان ، لا يمكن ان يخطئا ! ..  
ثم اننى اقررت الحكم النهائى . ولو كان ثمة حيف لرفعته ،  
فلا حاجة بك يا صاحب الشرف الى التدخل !

**كوانج :** مادمت قد اقررت الحكم النهائى يا صاحب السعادة ،  
فهل لى ان اسأل : هل كان شيونج يو - لان مندوبا مسافرا  
لحساب التاجر تاو فو - تشو حقا ؟ .. وهل تبينتم من أين  
اتت خيوطه النقدية الخمسة عشر ؟ .. واذا كان شيونج يقيم  
فى ( هوايان ) والفتاة تقيم فى ( ووسيه ) ، فكيف تعارفا ؟ ..  
ومن الذى يستطيع أن يشهد بأنهما كانا عاشقين ؟ .. اننى ،  
على ضوء ما وجدت ، اذ اوفدت رجلا الى فندق الضيافة ،  
المواجه لمعبد يوانمياو كوان ...

**الحاكم :** مهلا ! .. ان كثيرا من المناطق الواقعة فى جنوب  
نهر ( يانجتسى ) تحت نفوذى ، وليس بوسعى أن أعنى شخصا  
بكل القضايا الهامة فيها ، فهل كنت تريدنى على أن أعنى  
بتفصيلات قضية صغيرة كهذه ؟ .. لقد استجلبت الملفات من  
( شانجتشاو ) لمراجعتها ، فهل تسمى هذا استخفافا ؟

**كوانج :** ولكن أرواح الناس ليست دمي .. ان هذه القضية  
- فى رأى المتواضع - يجب ان يعاد تحقيقها بدقة وعناية :



فالحاجة تدعو إلى دليل صادق .. وقرينة حقيقية ،  
وعلينا ان نرسي حكمنا على الوقائع !

**الحاكم :** هناك نقطة واحدة ، غير واضحة لدى يا صاحب الشرف .. اننى أرجو ان توضح لى : ما هو واجب الموظف الذى يشرف على تنفيذ الاعدام ؟

**كوانج :** ان يستوثق من المذنب ، وان يأمر باعدامه اعداما صحيحا ، فى الوقت المقرر ، وان يرفع النتيجة الى رئيسه **الحاكم :** واذا كان ثمة شئ لا شأن له به ..

**كوانج :** ينبغى الا يتدخل فيه ..

**الحاكم :** اذن ، فما دمت قد طلبت اليك مراقبة الاعدام ، فقد كان جديرا بك ان تؤدى مهمتك .. فلماذا تركت منصبك بهذه الطريقة غير الرسمية ؟

**كوانج :** ان القانون يبيح لنا - يا صاحب السعادة - ان نسأل المذنبين الذين يحتجون بأنهم مظلومون ، وأنى لأدعو الى اعادة نظر القضية .. اننى اناشدك العون لاتقاذ حياة روجين بريئتين

**الحاكم :** لقد تلقيت امرا من الحكومة .. فماذا املك ان أفعل ؟

انك تثير أزمة لاداعى لها .. فالقانون صارم ، ومنذا الذى يجرو على ان يتحداه ؟

لست الا موظفا صغيرا ، فلست اجرؤ على التهور !

**كوانج :** اننا كخدم الدولة مسئولون امام البلاط ، وامام الشعب .. ولست املك أن اطيع أمرك اذا كان يتضمن عدم اكتراث بالحياة البشرية !

( تنبث دقائق ساعة الحصن معلنة الرابعة )

**الحاكم :** لقد اقترب الوقت ، فعليك ان تسرع بالعودة .. ان تأخير تنفيذ الاعدام ، يعود بالضرر علينا جميعا !

**كوانج :** لا يا صاحب السعادة .. فالحاكم لا يفوق الشعب أهمية ..

واذا أدين الشعب ظلما ، حق على الموظفين ان يخجلوا !  
اننى لأضحى بمنصبى .. لأنقذ روحين بريئتين !  
**الحاكم :** لست أجسر على التصرف فى مسألة كهذه ، فكفى جدلا !

( ينهض ويهم بالانصراف فيبادر المتصرف الى استيقافه )  
**كوانج :** اذا كنت تخاف المسؤولية ، يا صاحب السعادة ، فالق الذنب على ، وسأكون مسئولا عن كل شيء  
لدى تخويل مبصوم بالخاتم الامبراطورى لصاحب الجلالة ،  
وبوسعى - فى أية ازمة طارئة - ان استعمل عقلى ..  
واذا ظلم زملائى ، فلى أن أسعى الى القبض عليهم ومحاکمتهم .  
فكيف اقوى على الوقوف صامتا ، اذا قضى على مواطنين بريئين ظلما ؟

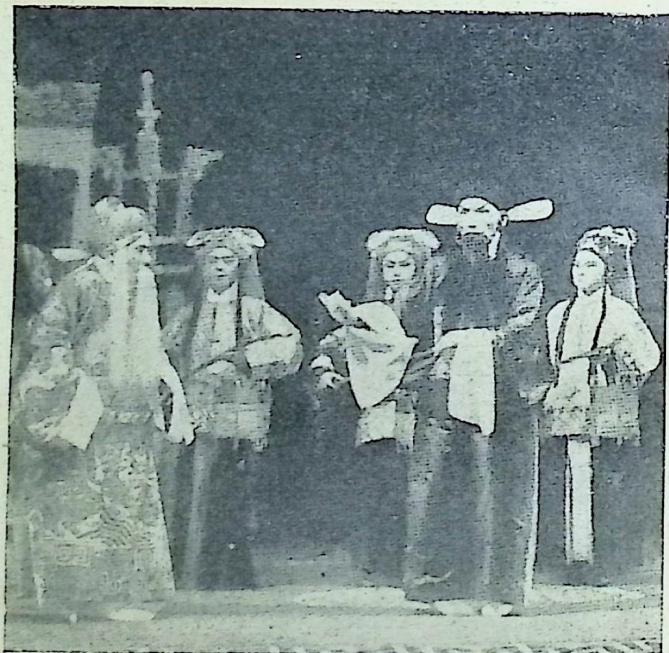
اتوسل الى سعادتك ان لا ترفض .. بل كن رؤوفا !  
**الحاكم :** مادمت مصرا على ان تفعل ما يحلو لك ، فى أية حال ، فلماذا تضيع الوقت فى الكلام ؟  
مادام لديك تخويل امبراطورى فافعل ما تشاء !  
لماذا تجشمت عناء الحضور الى هنا ؟  
اما انا .. فقد اعتدت أن ألزم أقصى الحكمة ،  
وان أصدع بكل الأوامر !

**كوانج :** أرجو أن لا تستاء يا صاحب السعادة . ان رغبتى الوحيدة هى ان أساعد الشعب

**الحاكم :** للمرة الأخيرة اقول : لا !

**كوانج :** حسن .. مادمت مصرا ، يا صاحب السعادة ، على الرفض ، فسأترك خاتمى الذهبى ضامنا ، وأسألك ان تمنحنى بضعة أشهر أغادر خلالها عملى ، لأتحرى هذه القضية فى (ووسيه) و (شانجتشوا) . وسأرفع لك تقريرا عند عودتى .





فأرجو ان تقبل هذا الرجاء !  
**الحاكم ( يضحك في سخرية ) :** ما أندر أن نعثر على متصرف  
 رحيم القلب مثلك ! استبق خاتمك ، وسأمنحك المهلة  
**كوانج :** شكرا يا صاحب السعادة ! وهل لي أن أحصل على  
 سهم السلطة ؟

**الحاكم :** وما الداعي لذلك ؟  
**كوانج :** ان (شانجتشاو) و ( ووسيه ) ليستا تحت سلطان  
 منصبى ، ومن ثم فان الحصول على تفويض منك ، يسهل  
 مهمتى كثيرا

**الحاكم :** احضروا لى سهمًا ! (١)  
**الملازم :** سمعا ، يا صاحب السعادة ! ( يسرع الى احضار سهم ) ها هو ذا السهم الرسمى  
**كوانج :** شكرا يا صاحب السعادة ! ( يتأهب للانصراف )  
**الحاكم :** لحظة ! .. يجب ان تتم هذا التحقيق فى نصف شهر ( كوانج لا يجيب ) فاذا اخفقت فى جلاء القضية فى نصف الشهر ، فسأرفع الأمر الى الامبراطور ! ها ! .. عليك اذ ذاك ان تغفر لى التخلّى عن المجاملة فى تصرفى ( يهز يديه فى غضب ، ويخطو الى الخارج - ويسدل الستار )

### المشهد السادس

♦ **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الامامى الذى يمثل طريقا فى الخلاء . يدخل الخفير « شيا »  
**شيا :** تجنب منصب الخفير ، فانه يضطرك للجرى دائما ، كلما وقعت جريمة ، جريت حتى تقطعت انفاسى  
 الا تعالوا الى هنا يا اهل الجيرة ! ( يدخل الجيران )  
**الجيران :** ما الذى تبغيه ، ايها العم شيا ؟  
**شيا :** انها قضية اغتيال « يو هو - لو » . لسوف يصل المتصرف كوانج عما قريب ، ليجرى تحقيقا ، فعليكم أن تنتظروه ، وأن تجيبوا عن اسئلته !  
**الجار الاول :** كيف يجوز لمصرف ( سوتشاو ) ان يفحص قضية من ( شانجتشاو ) ؟  
**شيا :** ان لدى المتصرف كوانج سهمًا يخوله السلطة من الحاكم  
**الجار الاول :** ولكن القاتلين قد اعتقلا ، فقيم التحقيق الجديد ؟  
**الجيران :** اجل .. لماذا ؟  
**شيا :** ان المتصرف كوانج موظف طيب ، وهو يقول ان الحكم

(١) يبدو ان السهم كان اشارة لاثبات ان حامله موفد فى مهمة رسمية .



صدر ظلما . فهيا تعالوا معى . ( ينصرفون ويتركون « الفأر » وحيدا على المسرح )

**الفأر :** آيا ! .. كنت اظن ان شيونج يو - لان وسو شو - تشوان ، قد أصبحا شبحين لقتيلين أعدما ظلما ! كيف قدر لهذا المتصرف كوانج ان يشرع فى فحص القضية من جديد ؟ أفيقدر لدورى ان يتكشف ؟ .. لا ، ان هذا محال . ما من أحد رآنى ، فى تلك الليلة ، ومن ثم فلا أحد يعرف أمرى .. لا شهود هناك ، ولا قرائن ، فليس ثمة ما أخشاه . سأذهب مع الآخرين ، كأى مواطن شريف ، مسلما قلوعى للريح ، منتهزا كل فرصة لدفع الشبهات عن نفسى . آيا ! .. لن يكفى هذا ! .. لقد اشتهر هذا المتصرف كوانج بأنه خليفة المتصرف « باو » . وانه لبارع ، واسع الحيلة .. وليس الوقوف ضده بالمهمة اليسيرة . لو اننى زلت زلة واحدة ، وفطن الى ذلك ، لعزت على النجاة . ان الأمثال تقول : « الهرب هو أفضل الخطط فى القتال » . لأذهب الى الريف ، فانطو هناك لعشرة أيام تقريبا . ولأعد عندما تهدأ الأمور كلها . هذا صواب . فلأرحل !

( يخرج ولا يلبث ان يدخل شرطيان وخادم ، والقاضى كوو ) ، والمتصرف كوانج )

**كوانج :** من أجل الشعب لا أجنب نفسى تعباً ..

**كوو :** لكم اكره هؤلاء المتفلسفين الادعياء !

**شيا (مقبلا) :** اهلا بصاحبى الفخامة .. ان الخفير يركع لكما !

**كوانج :** أنهض ! .. اين بيت « يو هو - لو » ؟

**شيا :** هو ذا أمامك **كوانج :** قدنى اليه !

( يسرون الى باب « يو » - ترفع الستار الداخلية ، كاشفة

عن البيت )

**شيا :** هو ذا بيت يو **كوانج :** افتح الباب !

**شيا :** سمعا يا صاحب الفخامة .. سأفرض الاختام

( يزيل الاختام الورقية ، ويفتح الباب )

كوانج : تفضل  
 كوانج : لندخل معا  
 ( يسيران الى الداخل )  
 ( القبار ممتراهم على المكان ، يزيلان بأكمامهما ما علق بهما منه )  
 كوو : تفضل باجراء تحرياتك يا صاحب الشرف  
 كوانج : لنقم بالتفتيش معا .. أين وجدت جثة « يو » ،  
 أيها الخفير ؟

شميا ( مشيرا الى الارض ) : هنا  
 كوانج : واين كان السلاح ؟  
 كوانج : ومتى فحصت الجثة ؟  
 كوانج : واين السلاح الآن ؟  
 شميا : لقد نقل وحفظ كقرينة مادية  
 كوانج ( مخاطبا كوو ) : هل تحررت القضية بنفسك ، اذ  
 ذاك ، يا صاحب الشرف ؟  
 كوو : ما كانت ثمة حاجة الى مزيد من التحرى ، ما دام  
 القاتلان قد اعتقلا !

( يفحص كوانج الباب ليتبين ما اذا كان القاتل قد جاء من  
 الخارج ، ويجرب مقعدة الباب ليتأكد من مدى الضخمة التي  
 تحدثها . ثم يفاق الباب ليرى ما اذا كان قد فتح عنوة ، ويفحص  
 المفصلات التي يدور عليها الباب . واذا لا يعثر على ما يشير  
 الشبهات ، يجوس ببصره في المكان ، حتى يبلغ المنضدة التي  
 كان « يو » يبيع عليها اللحم ، فيتفرس فيها مليا ، ثم يتقدم  
 ليهز السياج الذي أقيم امامها ، من ناحية الطريق ، ليستوثق  
 من متانته . واذا ذلك تنبعث عاصفة من القبار ، فيتحولون  
 لينفضوه عن ثيابهم . ثم يفحص كوانج الجدار والفراش ، فلا  
 يجد مدعاة الريب هنا كذلك . وأخيرا ، يحرق بامعان في لطخ  
 الدم التي شوهدت الأرض )

كوو ( متظاهرا بالدهشة ) : آه .. بقع دموية ! .. لا بد  
 انه دم القتل !



**كوانج** : أجل ، فليس من المعقول أن يكون هذا دم القاتل !  
**كوو** : هذا شيء وثيق الصلة بالجريمة ، فعلينا أن ندرس البقع بعناية

**كوانج** : هذا واجبنا حقا !  
**كوو** : آيا ! .. مهما تنعم النظر ، فلن تشي لك هذه البقع بالقاتل !

**كوانج** : وما رأى صاحب الشرف ؟ **كوو** : رأيي ؟ (يضحك)  
**كوانج** : من الذى فعل هذه ؟  
**كوو** ( ضاحكا ) : ولكنك يا صاحب الشرف تقول انهما قد ظلما !

**كوانج** ( مخاطبا شيئا ) : اين حجرة سو شو ، تشوان ؟  
 شيئا : هنا ، بالداخل **كوانج** : وكيف كانت الفتاة ؟  
 شيئا : كانت وادعة ، رصينة ، مؤدبة  
**كوو** : من الطبيعى ان تتظاهر الفتاة بالوداعة والرصانة ، اذا ما كان لها حبيب ، لتذر الرماد فى العيون !  
 ( **كوانج** يرمق **كوو** بنظرة ، ثم يدخل الغرفة الأخرى ليفتشها )  
**كوو** ( ضاحكا فى سخرية ) : جرمها مؤكد ، ولكنها تقسم على براءتها !

والأدلة كافية ، ولكنه يعيد فحص القضية !  
 ما أغباه .. اذ يصر على ان القاتلين مواطنان صالحان !  
 ( يعود **كوانج** الى الفرافة الخارجية )

**كوو** : هل وجدت ما يثير الريب يا صاحب الشرف ؟  
**كوانج** : هل وجدت انت ؟  
**كوو** ( باستخفاف ) : آه .. كل شيء يبدو محملا بالشبهات !  
**كوانج** : وما هى الشبهات ، ولماذا ؟

**كوو** : اذا لم يكن ثمة ما يثير الشبهات ، فلماذا تقوم بالتحري ؟  
**كوانج** : تقصد انه كان خليقا بى ، ألا أقحم نفسى ؟  
**كوو** : آه ، لا ! .. انك يا صاحب الشرف نصير للشعب

**كوانج :** وانت ؟

**كوو :** انا بليد وجاهل . لقد قضيت في هذه القضية استنادا الى القرائن ، ولكن فخامتك تعتمد - ولا شك - على سبب معقول ، اذ ترى حكمى خطأ !

انك ذكى ومجرب .. وستكشف الحقيقة بعد التحرى !

**كوانج :** اخشى أن يكون مجيئى لغير طائل .

**كوو :** لقد كونت لنفسك نظرية ، فما احسبك جئت لغير داع . ( يضحك ) ألا امض فى بحثك !

**كوانج :** حسن جدا . آه ، ها هى ذى قطعة نقود على الارض ( يلتقطها ويتأملها )

**الشرطى الثانى :** وها هى ذى قطعة أخرى ( يقدمها الى كوانج )

**كوو :** ما الذى تتوقع أن تعرفه من هاتين القطعتين ؟

**كوانج ( مخاطبا الشرطى ، ومتجاهلا كوو ) :** تأمل ما حولك جيدا ، مرة أخرى ( يشترك الآخرون فى البحث )

**الشرطى الأول :** هناك ما يزيد على نصف خيط من النقود خلف السرير ، يا صاحب الشرف !

**كوانج ( يسرع ليتأمل النقود ويفكر ) :** ما اغرب العثور على هذا المبلغ هنا !

**كوو :** لقد كان يو هو - لو قصابا ، يا صاحب الشرف ، ولا بد أنه أسقط النقود خطأ . فلا غرابة فى ذلك !

**كوانج :** لنستدع الجيران ! شيبا : يا اهل الجيرة !  
**كوو ( لنفسه ، على حدة ) :** لقد كان الجيران جميعا شهودا فى هذه القضية . ولقد جذبوا كلهم حكمى . سلهم ، اذا شئت ، فلن يؤثر هذا فى الامر

**الجيران ( يدخلون ويركعون ) :** يا صاحب الشرف !

**كوانج :** انهضوا . كيف كانت حال « يو » المالية ؟  
**تشين :** لقد أغلق حانوته زمنا ، وكان يعيش على الاقتراض



ورهن متاعه .

**الجيران :** لم يكن يعرف مصدر الوجبة التالية التى قد يحظى بها

**كوانج :** آه ! .. اذا لم يكن لديه فائض من مال ،

فكيف تسنى لهذه النقود أن توجد على الارض ؟

**كوو :** لقد كان « يو » احمق سكيراً . لا بد انه ترك هذه النقود هنا ، قبل أن تكسد تجارته ، ثم نسيها !

**كوانج :** غير معقول ! .. قد ينسى ثلاث قطع أو اربعا ، وليس نصف خيط من النقود بأكمله

**( الجيران يتأملون النقود ، ويتبادلون بعض التعليقات )**

**كوو :** من أين ترى هذه النقود قد أتت ؟

**كوانج :** هذا ما يحيرنى .. من اين جاءت ؟

**تشين :** عفوا يا صاحب الشرف .. اظن أن نصف الخيط ربما كان من الخيوط النقدية الخمسة عشر !

**الجار الأول :** وما الذى يفصل نصف خيط عنها ؟

**الجار الثانى :** ربما كان القاتل قد أسقط المبلغ فى تعجله الانصراف !

**الجار الاول :** ولكن الخيوط الخمسة عشر التى كان القاتل يحملها ، لم تكن تنقص قطعة واحدة من النقود

**الجاران الثالث والرابع :** لعل الرجل الذى اعتقل لم يكن القاتل !

**تشين :** انى لأجرؤ على القول بأن شيونج يو - لان .. ..

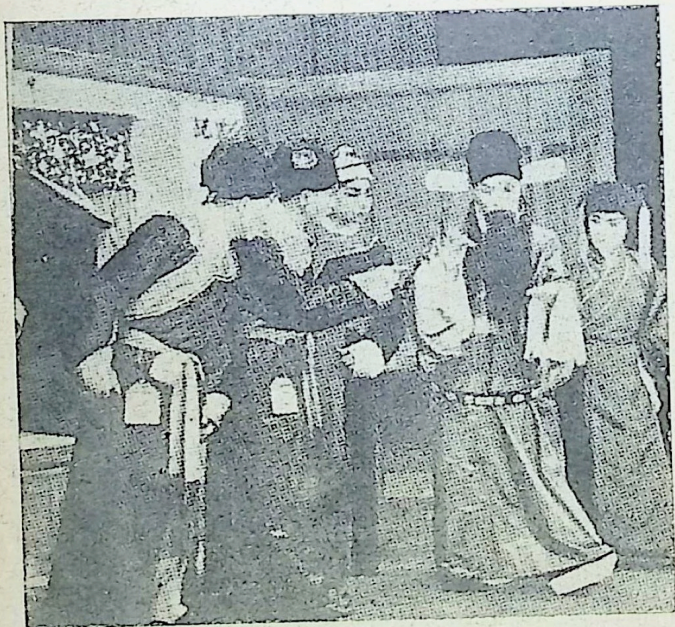
**( يسعل كوو ، فلا يجرؤ « تشين » على المضي فى كلامه )**

**كوو :** ارى أن شيونج يو - لان لم يكن يعرف ان ثمة نقودا وراء السرير . ولو انه علم ، لأخذها هى الأخرى .

**كوانج ( للشرطى الأول ) :** احمل هذه النقود ، كقرينة

**الشرطى الأول :** سمعا ! ( بعد أن يجمع النقود ، يعثر على

صندوق صغير ) لقد عثرت على صندوق خشبى صغير ،



يا صاحب الشرف !

كوانج : لنر ما به ! ان فيه زوجا من الكعوب .. ما أثقلهما !

الشرطي الأول : ربما كان بهما رصاص !

كوانج : اجل ! .. من المحتمل ان يكون الأمر كذلك !  
( يتبادل الجيران الهمسات )

كوو : ان القوم هنا اشرار ، والميسر شائع ، وانك لتجد  
كعبا كهذين في كل بيت .. فلا غرابة في الأمر !

كوانج : يا صاحب الشرف .. ان الكعيبين مثقلان ،



وهو أمر غير شائع ، فلا بد انهما لمقامر . . غشاش !  
**كوو** : أما وقد كان يو هو — لو سكيراً ، فلا بد انه كان  
 مقامراً كذلك . ثقب انه كان صاحب هذين الكعبين !  
**كوانج ( للجيران )** : حدثوني أيها القوم ، أكان يو هو — لو  
 مقامراً ؟

**الجيران** : كان سكيراً مسرفاً في الشراب ، ولكنه لم يكن  
 يقامر قط !

**كوو** : اذن ، فلا بد أن أحد أصدقائه أغفلهما هنا !  
**كوانج** : أفكان أحد من أصدقائه الحميمين مقامراً ؟  
**الجيران** : اننا نعرف كل أصدقائه ، وما كان بينهم مقامر  
**كوانج** : أرجو ان تتركونا برهة . ( يخرج الجيران ) أيها  
 الخفير شيئا ! .. هل بين هؤلاء الجيران مقامر ؟

**كوو** : طبعاً !  
**كوانج** : وهل هناك سواهم من الجيران يمارس الميسر ؟  
**كوو** : لقد قال انهم لا يقامرون ؟  
**شيبا** : اجل ، هناك واحد  
**كوانج** : وما اسمه ؟

**شيبا** : « لو » الفأر !  
**كوانج** : وهل كان يكثر من التردد على « يو هو — لو » ؟  
**كوو** : أجل ! .. والا فكيف كان من الممكن ان يغفل كعبي

النرد هنا ؟

**شيبا** : كان يأخذ كثيراً من لحم الخنزير من « يو هو — لو » ،  
 دون أن يدفع الثمن ، مما كان سبب شقاق بينهما

**كوو** : يا صاحب الشرف ! .. انك تضيع وقتك بهذه الأسئلة ،  
 فلن تجد حصراً للقرائن التي من هذا النوع !

**كوانج** : لن ادع حجراً الا قلبته ، لأصل الى الحقيقة !  
 اذا كان لك أعمال أخرى ، وتؤثر ألا تمضى في هذا التحقيق . .  
 فعد الى مقر عملك ، وسأواصله وحدي ! ( تسدل الستار )

## المشهد السابع

♦ ستمار يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الأمامى الذى يمثل سفح جبل ( هوى ) ، بالقرب من معبد رب الجبل . يدخل خادم متنكر فى زي بائع متجول ، مع « تشين » تشين : بعد بحث استغرق أكثر من عشرة أيام ، سمعت أخيرا أن « الفأر » يقيم فى ذاك الكوخ . ( يشير للخادم نحو المكان )

الخادم : وما شكل « الفأر » ؟ ( لا يجيب تشين ، وإنما يحدق أمامه )

تشين : آه ، يلوح أن « الفأر » هناك ، أمامنا ! .. أجل ، انه هو .. يجب ألا أدعه يرانى .. يحسن بى أن أختبئ ( يخرج )

( يواصل « الفأر » سيره ، حتى يلتقى بالخادم ، الذى يدق طبل الباعة المتجولين . يجفل « الفأر » . يخرج الخادم )

الفأر : من هذا ؟ .. من تراه ؟ .. آه ، ان البريء لا يفزع اذا طرق بابه فى بهيم الليل . لقد أصبحت فى رعب مذ أقبل المتصرف « كوانج » - لعنة الآلهة عليه - الى ( ووسيه ) . اننى لا أستطيع أن اطمئن . لقد ظللت طيلة الأيام العشرة الأخيرة ، متواريا فى الريف ، ولكننى ضقت بذلك ! .. ان كاهن معبد رب الجبل صديقى ، وكثيرا ما يذهب الى المدينة ليشتري بخورا وشموعا ، لذلك فلأذهب وأسأله عن انباء المدينة ، ولأستطلع ما يضره لى الحظ !

ان الاختباء فى الريف مهمة تعسة ،

ولسوف اعود اذا ما رحل المتصرف كوانج !

( يخرج . يعود الشيخ تشين مع الخادم )

تشين : ها هو ذا .. سأصرف الآن ( يخرج )

الخادم ( يرى « الفأر » وهو يلج المعبد ) : لقد تنكر متصرفنا



وراح يفتش يمنة ويسرة.. وان حميته وقلقه ليشندان ،  
لاقتراب أجل المهلة . أما وقد وجدت «الفأر» ، فسوف يسر !  
**الشرطى الأول ( يقبل متنكرا )** : كيف تسير الأحوال ؟  
**الخادم** : ان « الفأر » فى المعبد ، فعد بالنبا الى صاحب  
الشرف فورا

**الشرطى الأول** : لأدخل وألق القبض عليه  
**الخادم** : ان صاحب الشرف يقول انه بالرغم من تكاثف  
الشبهات حول « الفأر » ، الا انه لا يستطيع بعد أن يجزم  
بأنه القاتل ، لذلك ينبغي الا نتسرع . سأراقبه بينما تذهب  
أنت الى السفينة فتخبر صاحب الشرف !

( يخرج الخادم . ثم يتبعه الشرطى . وترفع الستار  
الداخلية لتكشف عن بهو المعبد - يقبل «الفأر» من الداخل )  
**الفأر** : لقد ذهب الكاهن الى المدينة لبتاع بخورا ، ولم يعد  
بعد . لاستطلع الحظ أثناء انتظارى اياه . آيا ، يارب الجبل ،  
إذا كان حظى خيرا ، فاطهر لى ما يشير الى ذلك ! ( يهد يده  
لبتناول عودا من الغاب الذى ينم عن المستقبل . بينما يدخل  
كوانج متنكرا فى زى قارىء للطوابع )

**كوانج** : اسمع يا أخى ! **الفأر** : لقد أفزعتنى .. ماذا تريد ؟  
**كوانج** : أتريد أن أقرأ لك طالعك ؟

**الفأر** : اننى استطلعه هنا . أتريد أن تقرأ حظى ؟ .. لا ، لا !  
**كوانج** : ان هذا الغاب لا يفوقنى فى استقراء الطالع . لا ..  
إذا كنت فى شك من ذلك ، أو كنت راغبا فى تعرف ما سيكون  
عليه حظك ، فليس عليك الا أن تسألنى ، فأبسطه لك كوضوح  
النهار . وإذا كنت تبغى أن تبدل الحظ السئ بالحسن ،  
والنحس بالشر ، أو أن تعثر على شخص مفقود ، أو أن تسترد  
منصبا ، أو أن تكسب فى الميسر ، فكل ما تحتاج اليه هو أن  
تسألنى . أبدا لم أغرر بأحد !

**الفأر** : اذن ، فمن الخير أن استطلع الحظ ، اليس كذلك

( يضع قصبته الحظ ) هل لى أن أسالك عن الطريقة التى تنتهجها ؟

**كوانج :** سأنبك ! .. اننى أفحص الكلمات ، وقد ذاع صيتى فى الآفاق !

**الفأر :** اذن فستستطلع الحظ من الكلمات؟ كيف تفعل ذلك؟  
**كوانج :** اذا كنت تفكر فى شىء يا أخى ، فاكتب أية حروف تروق لك ، وبوسعى أن أنبك بقدرك ، اذا ما نظرت اليها !  
**الفأر :** هذا لا يجدى .. لا يجدى ! **كوانج :** ولماذا ؟

**الفأر :** لأننى لا أستطيع الكتابة أو القراءة .. هذا هو السر  
**كوانج :** اذن فانبئنى بالكلمة التى تختارها ، وهذا يكفى  
**الفأر :** آه ، أيكفى أن أنبك بالكلمة التى أختارها ؟ .. حسنا ، يا سيدى . ان اسمى هو « لو الفأر » . فهل تصلح كلمة « الفأر » ؟

**كوانج :** بالتأكيد **الفأر :** لأبحث لك عن مقعد

**كوانج :** تحت ستار انبائه بحظه ، اسعى الى الحقيقة ، فامل أن أصل اليوم الى غايتى .

**الفأر :** ألا اجلس يا سيدى !

**كوانج :** والآن ، عم تريد ان تسألنى ؟

**الفأر ( يتلف حوله ثم يهمس ) :** عن قضية

**كوانج :** آه ! قضية ؟ ( يضع الفأر يده على فم كوانج ، ويحذره من الحديث بصوت مرتفع ويشرع كوانج فى تحليل الكلمة ) ان كلمة « الفأر » تتألف من أربعة عشر خطأ . وهذا عدد زوجى ، اى عدد معتم ، كما ان الفأر حيوان أسمر . انه لأمر شديد الظلام .. فاذا كان الأمر قضية ، فهى عسيرة الايضاح

**الفأر :** اعرف انها عسيرة الايضاح ، ولكن .. هل تؤدى الى عناء فى المستقبل ؟

**كوانج :** اتسأل عما يتعلق بك ، أو عما يتعلق بسواك ؟



**الفأر:** آه ، بشخص آخر .. بشخص سواى  
**كوانج:** ما كان لى أن أتوقع أن يكون العسر لشخص آخر ،  
 على ما أرى من الكلمة ( **الفأر يجفل** ، **افيتظاهر كوانج بالدهشة** )  
 عجبا ، ان الفأر هو منبع الشر

**الفأر:** منبع النهر ؟ **كوانج:** لم اقل النهر ، بل الشر !  
**كوانج ( بينما يبدو الذعر على الفأر ) :** ان الفأر هو الأول  
 بين الحيوانات الاثنى عشر التى تتالف منها الدورة الفلكية ،  
 ولهذا فهو منبع ومورد . ومن الكلمة أرى ان المتاعب نشأت  
 من جراء اقدامك على سرقة رجل . أهو كذلك يا أخى ؟  
**الفأر:** انك تهيم فى الشوارع ياسيدى ، بينما ارتاد أنا دور  
 الميسر ، فنحن على شاكلة واحدة ، ومن ثم فلا تعبث بى على  
 هذا الفرار . لا ، لا تعبث بى ! كيف حدثت ان هناك نقودا  
 سرقت ؟

**كوانج:** ان الفأر ماهر فى السرقة ، ومن هنا عرفت الأمر .  
 وهناك شىء آخر : ألم يكن الرجل يدعى «يو» ؟ ( **يذعر الفأر ،  
 فيهوى عن المقعد** )

**الفأر ( ناهضا ) :** اسمع ، لقد انذرتك ألا تعبث بى ، فاذا  
 بك تعود الى العبث ، لست أفهم كيف حدثت الاسم . كيف  
 حدثته ؟

**كوانج:** ان لدى ما يرشدنى **الفأر:** وما هو ؟  
**كوانج:** ان الفئران تسرق الزيت . أليس كذلك ؟ (١)  
**الفأر:** بلى ! .. ولهذا يقول الناس ( **وهو يقلد حركة الفأر  
 فى سرقة الزيت** ) الفأر يسرق الزيت ، والفأر سارق الزيت ! ..  
 لا بأس يا سيدى ، سيان ان يسرق الزيت أو الملح . هل ترى  
 شدة فى انتظارى ؟

**كوانج:** طبعاً . فلن تلبث المسألة أن تفتضح  
**الفأر:** لماذا تقول هذا ؟

(١) ينطق الصينيون الكلمة المقابلة للزيت - فى لغتهم - كما ينطقون «يو»

**كوانج :** لقد أملتني كلمة « الفأر » ، ونحن الآن في شهر  
 الفأر . أى أن الأوان قد حان . أخشى أن الأمر سينجلي سريعا  
**الفأر ( لنفسه ) :** آيا ! .. ليس بوسعى أن أجلوه أنا !  
**( يتفصد العرق البارد منه )**

**كوانج :** أنبئني بالحقيقة يا أخى . أتسأل عن طالع شخص  
 آخر ، أو عن طالعك أنت ؟ .. اذا بحث لى بالأمر ، فقد أجد  
 لك منفذا

**الفأر :** لحظة يا سيدى ( يسير الى اقصى المكان ، ويفكر ،  
 وهو يتلفت حوله ) . انه هناك .. وانا هنا .. اننى أسأل ،  
 يا سيدى ، عن طالع ...

**كوانج :** ان الرجال جميعا أخوة يا صديقى ، فاذا كان ثمة  
 ما يهكم ، فليس عليك سوى أن تفضى به الى .. قد أستطيع  
 أن أساعدك .

**الفأر :** الحق اننى أسأل عن طالعى

**كوانج :** آه ، طالعك أنت !

**الفأر ( يستوقفه ، ويشير اليه كى لا يرفع صوته بالكلام ) :**  
 اتظن يا سيدى أن بوسعى أن أخرج من الشدة ؟  
**كوانج :** حسن .. اذا كان حظك هو الذى تسأل عنه ، فلا  
 حاجة بك الى أن تمكث فوق شجرة

**الفأر :** ما الذى تعنيه ؟

**كوانج :** اذا اضفت كلمة « شجرة » الى « فأر » ألا تحصل  
 على كلمة « انسحاب » ؟

**الفأر :** ما هذا ؟

**الفأر :** وهل سأستطيع الهرب يا سيدى ؟

**كوانج :** طبعاً ، اذا شئت . كل ما هناك من عناء ، هو ان  
 الفئران ميالة للريب بطبيعتها . واذا ظللت ترتاب فى الناس  
 — يمنة ويسرة — فان الذعر سيمنعك من ان تقدم على خطوة  
 واحدة . ومن ثم فلن تتمكن من النجاة .



**الفأر (في اعجاب) :** ان استطلاعك الحظ رائع حقا ياسيدى .  
فلقد اعتدت أن أجنح الى الريب . وما الوقت الذى ترى انه  
خير وقت للرحيل ؟  
**كوانج :** اذا شئت الرحيل ، فاشرع اليوم ، فان الفرصة  
ستفلت غدا .

**الفأر :** وما السر فى هذا ؟  
**كوانج :** ان راس كلمة « فأر » مؤلف من شقى كلمة « يوم » ،  
مما يعنى يوما كاملا . فاذا حل غد ، فمعنى هذا انقضاء  
يومين ، وتكون الفرصة قد ولت .

**الفأر :** آيا ! لا يزال الوقت مبكرا .. وكيف أرحل ؟  
**كوانج :** أن الفئران تختفى بالنهار دائما ، وتظهر بالليل .  
ان خير ما تفعل ، هو ان ترحل الليلة بالذات .  
**الفأر :** هلا تكرمت بالقاء نظرة لتعرف أسلم اتجاه لى !  
**كوانج :** دعنى أر... يجب أن تتجه نحو الجنوب الشرقى !  
**الفأر :** الجنوب الشرقى ؟ .. هلا تكرمت فرأيت أسلم طريق  
لى .. البر أم البحر ؟

**كوانج :** دعنى أر ... يجدر بك ان تركب الماء  
**الفأر :** الجنوب الشرقى ، على النهر . هناك ( ووسيه ) ،  
و ( وانجتينج ) ، و ( سوتشاو ) ... ( يرتجف )  
**كوانج :** وهناك بعد ذلك ( كاشينج ) و ( هانجتشاو ) ..  
ان ( هانجتشاو ) ملائمة .

**الفأر :** آه ، لو اننى وجدت سفينة مناسبة ، تسعى الى  
الجنوب الشرقى ، لقفزت الى سطحها ، ورحلت !  
**كوانج :** ان لدى سفينة متأهبة للرحيل . وسنقلع الليلة  
الى ( سوتشاو ) و ( هانجتشاو ) . والشىء الوحيد ...  
**الفأر :** هلا أخذتمونى معكم يا سيدى ؟ أعدكم بأن أدفع  
اجرا طيبا .

**كوانج :** النقود ليست ذات بال ، فالكرم يعادل ألف قطعة

من الذهب . انما الأمر هو ان سفينتنا بطيئة . فاذا لم يضرك ذلك ، فتعال معنا !

**الفار :** آد ، انك لست قارىء طالع !

**كوانج :** ماذا ؟

**الفار :** لا ، فانما انت منقذ «الفار» ! . ان حياتى بين يديك

**كوانج :** لاتحملهما . اننى أضمن لك السلامة على السفينة .

**الفار :** سمكة تنجو من الشبكة . . وتقفز الى البحر الواسع !

**كوانج :** أمل ان تنتهى متاعبك . . وتحسن كل شيء !

**الفار :** سأطير بعيدا . . بعيدا جدا ! أين سفينتك ياسيدى ؟

**كوانج ( يتقدم الفار خارجين ) :** انها راسية الى الضفة . .

هناك !

**الفار :** اننى اقيم فى الكوخ على الضفة المقابلة . هذا أجر

ما قرأتلى طالعى ، وأجر سفرى ، فهلا تقبلته ؟ . سأذهب

لاحضار بعض الثياب والمال . ولسوف أعود سريعا .

**كوانج :** اسرع ما استطعت . سأنتظرك على السفينة .

**( يخرج الفار ولا يلبث الشرطى الأول والخادم أن يقبلا )**

**كوانج ( للشرطى الأول ) :** اقتف اثر هذا الرجل ! **( يخرج الشرطى )**

**كوانج ( للخادم ) :** اذهب فورا ، فاستدع رسل الحاكم ،

واجمع الجيران لتفتيش بيت ( الفار ) . فاذا وجدت ما يثير

الشبهات ، فاحضره الليلة الى ( سوتشاو ) . واحرص على

ان تفعل هذا دون ابطاء !

**( يخرج الخادم . ثم يتبعه كوانج . تهبط الستار )**

**المشهد الثامن**

♦ **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الأمامى

الذى يمثل الساحة الممتدة أمام محكمة متصرفية (سوتشاو) .

يدخل خادم كوانج

**الخادم :** نقبت كما امرت ، وعدت مبكرا بفضل الريح ،



حاملًا معي قرينة صادقة ، كما سأروى لفوري !  
 عندما ذهبت الى دار «الفار» لتفتيشها - بالأمس - عثرت  
 على مخبأ تحت السرير ، به كل انواع المفاتيح وادوات القمار  
 وغش الناس . كذلك كان ثمة كيس نقود ، شهد الشيخ تشين  
 بأنه كان كيس « يو هو - لو » . فاذا كان كيس القتل لدى  
 « الفار » ، فهذا دليل على انه القاتل . على ان الشيخ تشين  
 تطوع للحضور معي ، اذ خفنا ان يعمد « الفار » الى الانكار  
 ( ينادى ) ايها العم تشين ، هيا بنا ! (يدخل تشين) تعال معي  
 يا عماء . وبوسعك ان تنتظر في الغرفة الخارجية ، ريثما أدخل  
 لأحمل النبا الى صاحب الشرف  
 تشين : حسنا ( يخرج جان . وترفع الستار الداخلية ،  
 فتكشف عن محكمة المتصرفية . يسمع رنين ، ويدخل الشرطي  
 الأول )

الشرطي الأول : هيا يا رفاق ! .. ها هي ذى الساعة  
 الثالثة ، فلا بد من ادخال الملفات من الباب الاول ، والمتهمين  
 من الباب الثانى . وسيتخذ صاحب الشرف مجلسه فى المحكمة ،  
 فاسرعوا واستعدوا

( يخرج - ثم يدخل الشرطيان ، يتبعهما كوانج )

كوانج : بحثنا فى أدنى البلاد واقصاها ،

فعثرنا على آثم حقيقى ، فى النهاية .

فالصخر يظهر اذا انحسر النهر ، والسحب تتبدد مع  
 الضباب ،

وبخوض المخاطر ، وعدم التفاضى عن شىء ، انقذت  
 بريئين !

هيا ! .. افتحوا المحكمة ! ( يصدع الشرطيان بالأمر )

كوانج : أحضروا سو شو - تشوان ( يحضرها الشرطيان )

كوانج : أتعرفين هذا الكيس يا سو شو - تشوان ؟

سو : انه كيس نقود أبى . كيف وصل الى هنا ؟

**كوانج :** ما الدليل على انه كان لايبك ؟  
**سو :** لقد أحرق أبى ثغرة فيه ، فرفوتها وطرزت عليها زهرة . فهلا تحققت من هذا يا صاحب الشرف !  
**كوانج :** لك ان تغادري المحكمة **سو :** سمعا يا صاحب الشرف  
**( يقودها الشرطيان الى الخارج . ثم يدخل الشرطى الثالث )**  
**الشرطى الثالث :** لقد أرسل الحاكم رجلا لمقابلتك ، يا صاحب الشرف

**كوانج :** دعه يدخل !

**الشرطى الثالث :** سمعا يا صاحب الشرف  
**( يخرج الشرطى . ثم يدخل ضابط الشرطة بدار الحاكم )**  
**الضابط :** تحية لك يا صاحب الشرف  
**كوانج :** هل لى أن أسألك عن مهمتك الكريمة ؟

**الضابط :** عندما ذهبت ، يا صاحب الشرف ، الى (ووسيه) لتحرى قضية معينة ، أوضح لك صاحب السعادة أن مهلتك لا تتجاوز أربعة عشر يوما ، تنتهى اليوم . . وهو لم يتلق بعد تقريرك . ويقول سعادته ان قضية « يو هو - لو » قد انتهت بعد ان تم العثور على القاتلين والأسلاب ، وبعد ان نظرتها ثلاث سلطات . ولكن فخامتك انحزت الى صف المتهمين - استنادا الى الحق المخول لك من الامبراطور - فأرجأت تنفيذ حكم الاعدام ، وأهنت رئيسك ، وعارضت قرار الحكومة . وهذه مخالفات خطيرة . لذلك يأمرك صاحب السعادة بالمشول بين يديه فورا . فاذا كانت العدالة قد تحققت فعلا ، فسيغفو عنك . اما اذا لم تكن قد عثرت على شيء ، فلا بد أن تسلمه خاتم السلطة ، وان تنتظر أوامر جديدة .

**كوانج :** مهلا ! ( للشرطة ) احضروا له مقعدا ( يقدم أحدهم مقعدا للضابط ) والآن ، احضروا «لو الفأر» ( يحضره الشرطة )  
**كوانج :** عمل بارع ذلك الذى أتيت به يالو الفأر  
**الفأر :** ما ارتكبت ذنبا قط





كوانج : انك قتلت يو هو - لو ، وسرقت خيوط نقوده  
 الخمسة عشر . فهل تجرؤ على الانكار ؟  
 الفار : اننى برىء ، يا صاحب الشرف  
 كوانج : برىء حقاً ! ( يشير الى الشرطة نحو كعبى النرد )  
 اعرضوا عليه هذين ( للفار ) هل هذان الكعبان لك ؟  
 الفار ( مجفلاً ) : لا .. لا يمتان الى !  
 كوانج : تطلع الى . اتعرف قارئ الحظ فى المعبد ؟ ( يتطلع  
 اليه الفار ، ثم يجفل ، ويشحب وجهه خوفاً ) ايها الكلب !  
 اسرع واعترف !  
 الفار : ما من دليل ضدى ، ولا شهود . ليس بوسعك ،

يا صاحب الشرف ، ان تظلم مواطنا بريئاً  
**كوانج ( مشيراً للشرطة نحو كيس النقود )** : أعرضوا عليه  
 هذا ! ( للفأر ) هل تعرف هذا الكيس ؟

**الفأر ( مرتجفاً )** : من أين جىء بهذا ؟

**كوانج** : كيف لا تعرف شيئاً كان في مخبأك ؟

**الفأر** : انه كيسى **كوانج** : هل من علامة تؤكد ذلك ؟

**الفأر** : علامة ؟ .. لا أتذكر !

**كوانج** : احضروا الشيخ تشين !

**الشرطى الثانى** : ليمثل الشيخ تشين أمام المحكمة ! ( يدخل ،

ويركع )

**كوانج** : انهض ( يقف تشين ) ان « لو » الفأر يقول ان هذا

الكيس ملكه يا شيخ تشين . فما قولك ؟

**تشين** : انه كاذب . اننى أعرف ان هذا الكيس كان ليو

هو - لو ، وقد كنت و«يو» جارين قديمين ، وكثيراً ماعاونته

في شراء الخنازير . اننى أعرف هذا الكيس تمام المعرفة .

وقد حدث في العام الماضى ، أن ثمل « يو » فأحدث في الكيس

حرقاً بحجم ابهام اليد ، فطرزت ابنته على الشجرة زهرة .

فأرجو أن تفحصه يا صاحب الشرف

**كوانج ( للفأر )** : ماذا لديك من قول ، بعد هذا ، ايها الكلب ؟

**الفأر** : آه ، حسناً ! .. لا سبيل الى الإنكار . سأعترف

في ساعة جد متأخرة ، من تلك الليلة ،

فقدت كل نقودى في القمار ، وكان باب «يو» مفتوحاً ،

فدخلت لأحصل على بعض اللحم بالنسيئة ، فاذا

شو - تشوان قد اختفت ، و « يو » غارق في النعاس ،

فقتلته طمعاً في نقوده .. قتلته بالشاطور ،

ورميت الذنب على سواى .. اقسم ان هذه هى الحقيقة !

**كوانج** : هل لك شركاء ؟ **الفأر** : لا ، بل كنت وحيداً



**كوانج :** دعوه يوقع اعترافه ( **يوقع الفأر وثيقة** ) ايها الكلب! .. لقد قامرت ، وسرقت ، وقتلت ، منتهكا القانون . ضعوا الاغلال في عنقه ، وسوقوه الى السجن ، ليعدم . انصرف ايها الشيخ تشين

( **توضع الاغلال في عنق الفأر ، ويساق الى الخارج . وينصرف تشين** )

**كوانج ( للضابط ) :** بالرغم من ان القضية عرضت على ثلاث سلطات ، واعتبرت منتهية ، الا ان القاتل لم يقع الا الآن . الا ترى هذا غريبا ؟ ( **الضابط يظل صامتا** ) ادعوا سو شو - تشوان ، وشيونج يو - لان .

**الشرطة :** سو شو - تشوان ، وشيونج يو - لان ( **يدخلان** ) **كوانج :** لقد اعترف القاتل الحقيقي « **لو الفأر** » يا شيونج يو - لان ، ويا سو شو - تشوان ، ومن ثم فأنتما بريئان ( **يطفى الفرح على الشابين** ) اخلعوا عنهما الاغلال ( **يرفع الشرطة الاغلال** ) انهض يا شيونج يو - لان ، واليك خيوط النقود الخمسة عشر ، فخذها ! ( **يقدم اليه الشرطة النقود ، فيذهل عنها لفرط فرحه** ) واليك يا سو شو - تشوان عشرة « **تايل** » من الفضة ، ولك ان تذهبي الى خالتك في كاوتشياو ( **تذهل الفتاة بدورها عن الفضة** ) خذها !

**شيونج وسو :** يا للسماء الرحيمة ! ..

لقد اضاءت بعدالتك ظلامنا ، فبات واضحا كمرآة ناسحر ، ووجهت ذكائك الينا ، كما كان يفعل المتصرف « **باو** » العظيم .

ولولا كرمك الضافي ، لمنا ظلما .. ولما كنا اليوم على قيد الحياة !

**كوانج :** لكما ان تنصرفا !

**شيونج وسو :** نشكر لك يا صاحب الشرف ان انقذت

حياتينا ( **يستديران ليخرجا** )

**الضابط :** مهلا ! ليس لنا ان نطلق سراحهما ، قبل ان يرفع الأمر للحاكم

**كوانج ( ضاحكا ) :** اننى اسرح قاتلين زائفين ، واعطيه قاتلا حقيقيا واحدا ، فأى اعتراض يستطيع ان يشيره ؟ ( مخاطبا الشابين ) لكما ان تنصرفا !

**سو :** يؤسفنى يا سيدى أن أقحمتك فى كل هذا **شيونج :** لا تقولى هذا يا آنسة ، تلك كانت غلطة القاضى كوو اللعين . ما أظنك تحسبين اننى ألقى عليك لوما ! .. لنصرف ( يفادران المكان )

**الضابط :** ان متصرفا مثلك ، يفتح عيون الشعب ! **كوانج :** وكم من أناس بحاجة الى ان تفتح عيونهم ! **الضابط :** لقد صححت حكما ظالما ، وهذه حسنة كبرى تسجل لك

**كوانج :** بالرغم من اننى ناصرت المتهمين ، وارجأت تنفيذ الاعدام ، الا أن القضية قد حلت حلا سليما نهائيا . ومع ان ايام المهلة قد انقضت ، الا اننى لم أتجاوز الموعد المضروب . فهيا بنا لرفع ما جرى معا . تفضل !

( يسدل الستار )



# (أدب القنارة الصفراء)

ماذا تعرف عن الأدب الصيني، القديم والحديث؟.. عن القصة الصينية، والتمهيد الصينية، سواء في عصور الصين القديمة، ذات الحضارة العريقة، المتعددة الألوان.. أو في عصرها الحاضر، الذي يقفز فيه شعبها العظيم قفزات ضخمة، كي يسترد مجده السابق، ويأخذ بموكب العالم الحديث في بيان لعالم والصناعة والمدنية الحديثة؟

إن "مطبوعات كتابي" تقدم لك في هذا الكتاب الذي بين يديك باقة رائعة من روائع الأدب الصيني، القديم والحديث، في مختلف أطواره، منذ أقدم العصور.. حتى يومنا الحاضر!

فتعال معي نبدا هذه الجولة القصصية الممتعة عبر آلاف السنين، على بساط الأدب الزاهر بأزهى الألوان، وأعمق العواطف والمساخر..



## مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة الأمانة لشيوخ الكنب العالمية

